كتاب بصرياثا القصصي

مرافئ

مجموعة كتّاب

إعداد
نقوس المهدي

تقديم
أ.د. محمد عبد الرحمن يونس

إشراف
عبد الكريم العامري

من سلسلة إصدارات مجلة بصرياثا الثقافية الأدبية - 2 قصص

2023

مرافئ
كتاب بصرياثا القصصي

سلسلة اصدارات مجلة بصرياثا الثقافية الأدبية
٢/ قصص

مرافئ
كتاب بصرياثا القصصي

اعداد
نقوس المهدي

تقديم
أ.د. محمد عبد الرحمن يونس

إشراف
عبد الكريم العامري

مجلة بصرياثا الثقافية الأدبية
www.basrayatha.com

الكتاب: مرافئ- كتاب بصرياثا القصصي

المؤلف: مجموعة من الكتّاب

الناشر: مجلة بصرياثا الثقافية الأدبية

ISBN: 978-9922-21-514-3

جميع الحقوق محفوظة باستثناء اقتباس فقرات قصيرة لغرض النقد أو المراجعة، فانه لا يجوز إعادة انتاج أي جزء من هذا الكتاب أو تخزينه في نظام الاسترجاع أو نقله بأي طريقة من دون الحصول على إذن مسبق من الناشر.

All rights reserved. Except for the quotation of short passages for purposes of criticism or review, no part of this publication may be reproduced, stored in retrieval system, or transmitted, in any form or by any means, without written permission of the publisher.

الطبعة الأولى

٢٠٢٣

كلمة الناشر

هـذا هـو الكتـاب الثـاني مـن سلسـلة إصـدارات مجلـة بصرياثـا الثقافيـة الأدبيـة بعدمـا اصدرنـا كتابـا للشـباب يتضمـن قصصهـم القصـيرة جـداً ضمـن مسـابقة أقمناهـا لهـم عـام ٢٠٢٣ وقـد حرصنـا عـلى تقديمهـا في كتـاب.

يـأتي كتـاب (مرافـئ القصـصي) في وقـت نـرى فيـه أن كثـيراً مـن كتّـاب القصـة القصـيرة في الوطـن العـربي لم يحظـوا بفرصـة النـشر لهـذا كانـت المبـادرة في تقديـم أكـبر عـدد منهـم في كتـاب مشـترك ليطلـع عليـه القـارئ العـربي في كل مـكان ونأمـل أن نجـد الفرصـة في ترجمـة هـذه الاصـدارات الى اللغـة الانجليزيـة.

شـكراً للإسـتاذ الدكتـور محمـد عبـد الرحمـن يونـس عـلى تقديمـة القصـص المنشـورة والكتـاب والشـكر موصـول للقـاص والناقـد نقـوس المهـدي الـذي كان لـه الـدور الكبـير في إعـداد الكتّـاب بفـترة قياسـية، ونأمـل أن نكـون قـد وفقنـا في هـذا المنجـز الأدبي المهـم والـذي يحمـل أسـماءً مهمـة في مجـال القصـة القصـيرة مـن الكتّـاب العـرب.

حرصنـا عـلى أن تشـمل المشـاركات كل بلـدان وطننـا العـربي الكبـير، مـن المحيـط الى الخليـج، ونعتـز بـكل مَـن قـدّم لنـا يـد العـون في اصـدار هـذا الكتـاب ومـن اللـه التوفيـق.

عبد الكريم العامري

تقديم

أ.د. محمد عبد الرحمن يونس

نائب رئيس جامعة ابن رشد للشؤون العلمية، التعليم عن بعد
مدير تحرير مجلة جامعة ابن رشد الأكاديمية المحكمة

مجلة بصرياثا تبحر في مرافئها لتصطاد أجمل المحارات

تعد القصة القصيرة فنا إبداعيا جميلا، يعمّق إحساسنا في فهم أعماقنا و أعماق من حولنا، و في فهم مجمل العلاقات السوسيولوجية و الإنسانية القائمة في مجتمع من المجتمعات. إنها الفضاء الكتابي الإنساني الذي يمتح من أزمنة متعاقبة و متزامنة، و من أمكنة قد تكون قريبة أو بعيدة، و من شخوص تتباين و تتعارض، و تتداخل علاقاتها في ما بينها، لتشكّل نسقا فكريا له امتدادات خارج حدود النص. و هذا الفضاء يمثّل بؤرة مركزيّة، لكن هذه البؤرة تمتح من فضاءات أخرى واقعية و رمزيّة و تاريخية وحضارية و تراثية شعبية و فولكلورية و ميثولوجية. ومن هنا فإن اللغة التي تشكل القصة لا يمكن أن تكون مفتعلة أو تقريرية، أو مباشرة الطرح، لأن لغة القصة هي لغة إحالية أو إيحائية (démotive) ،بتحديدات رومان جاكبسون لوظائف اللغة.

إن فضاء القصة بنية نامية تتحدد بالمقدرة و الموهبة و الوعي العميق للصيرورة الحضارية و التاريخية. و تمثّل المثاقفة بين الأمم و الحضارات و الآداب العالمية، بمختلف توجهاتها، و هي تمثل أيضا وعيا حضاريا و فعلا إبداعيا و ثقافيا قادرا على تمثّل الآفاق العالمية التي يطرحها الأدب الإنساني عامة. و هذا الفضاء في مكوّناته ليس شرطا أن يكون مقصورا على القصة، بل قد يكون في مختلف الأجناس الأدبية. القصة القصيرة هي الإحساس العميق بالذاتي و الموضوعي في حياة الإنسان، و تشعبات هذا الذاتي و الموضوعي داخل حقول مرجعية متعددة.

وقد يتأثّر النص القصصي الواحد مع عشرات النصوص الفكرية و التاريخية و الأسطورية التي سبقته، أي أن معاناة الفرد وخبراته تتضافر مع كثير من الحقول المرجعية الأخرى،

لتشكل مجتمعة نصّه القصصي.

و تأتي مجلتنا الثقافية، مجلة بصرياثا، المجلة الإلكترونية الأكثر انتشارا، و الأكثر أهمية من بين المجلات العربية التي تعنى بالشأن الثقافي بكل تجلياته و أشكاله، لتحتفي احتفاء كبيرا بالإبداع العربي، نثرا و شعرا و بالثقافة الإنسانية العالمية أنّى كانت بلدانها، و أنّى كانت أطروحاتها و نظرياتها المعرفية،
و لتنجز هذه الكتاب الموسوم بـــ (مرافئ) الذي يُعَدّ موسعة مصغرة للقصة القصيرة الجديدة ، وعلى قدر كبير من الإبداع و الجمال، محتضنا مجموعة من الأقلام القصصية المتميزة التي لها باع في كتابة القصة القصيرة في فضاءات كثير من دول الوطن العربي.

إن هذا الكتاب، سيحتل، بعد نشره، مساحة مهمة بين الخطابات القصصية المنشورة في دور النشر العربية، سواء أكان النشر ورقيا أم إلكترونيا. و إذ تقاعست هذه الدور في أن تضمّ هذه الكوكبة من القاصين و القاصات المتميزين المبدعين، فإن مجلة بصرياثا كانت القادرة على احتضان هذه الكوكبة، و تقديم قصصها الإبداعية إلى جمهور قراء العربية، و بخاصة قراء الفن القصصي و متابعيه.

و لا يسعني إلاّ و أن أتقدم ببطاقات الشكر و الامتنان و المحبة للعزيزين الأديبين، و الصديقين الكبيرين، إبداعا و ثقافة، و فكرا إنسانيا رحبا، الأستاذ الأديب والروائي و الناقد عبد الكريم العامري رئيس تحرير مجلة بصرياثا، و الأستاذ الأديب و المدوّن المهدي نقوس، صديق الأدب و الفكر، و صاحب الموقع الأدبي الشهير (الأنطولوجيا)، على إنجازهما هذه المجموعة القصصية ، و دعوتنا للكتابة فيها، فلهما وافر الاحترام، و باقات العبق و الفل. و أحيي دورهما الكبير و النبيل في رعاية الفكر و الإبداع العربي المعاصر، من خلال نشره، و تقديمه في أبهى صورة و أشكاله للقارئ العربي في بلده، و في المنافي و القارات البعيدة.

كما أغبط و أحيي أصدقائي و زملائي المسهمين في هذه المجموعة، على نصوصهم القصصية هذه التي تفتح صدرها للإبداع الحرّ و الجريء، المنفتح على نوافذ المعرفة الإنسانية، بقيمها و اتجاهاتها المتباينة و المتعددة في آن، هؤلاء الأصدقاء المعروفون بكتاباتهم القصصية في الوسط الثقافي المعاصر، و المشهود لهم بقيمة نصوصهم الإبداعية، و قدرة هذه النصوص على أن تقدّم فنا جميلا يقارب واقعا أسود رديئا، و يكشف عن مظاهر القبح و الغباء و الاستبداد فيه، تمهيدا للتبشير بمستقبل أكثر إضاءة، و أكثر بهاء.

و آمل أن تستمر مجلتنا الإبداعية المتميزة، مجلة بصرياثا، في إصدار هذه الكتب الدورية المتميزة في فن القصة و في غيرها من الفنون، على أن تنجز كتابا دوريا يصدر مرتين في السنة، مرة لفن القصة القصيرة، و مرة للدراسات و الأبحاث النقدية في مواضيع متعددة، حتى تحتفي هذه الإصدارات بما هو جديد في فن القصة القصيرة، و لتقدم مبدعين جددا في هذا الفن، على تنوّع بلدانهم، و تنوّع ثقافاتهم، و تنوّع طرقهم السرديّة في تشكيل خطاباتهم القصصية، و بالتالي تشكّل هذه الإصدارات مرجعا مهما لدارسي هذا الفن، و متذوقيه، و مرجعا مهما لطلاب الدراسات العليا الذين يريدون إعداد رسائلهم و أطروحاتهم الجامعية في فن القصة.

إنّ هذا التنوع القصصي الثر الذي احتفت به مجلة بصرياثا، لجدير بالاهتمام و الدراسة، و الإشادة به، و بمجلة بصرياثا في آن، كون هذه المجلة نشرت هذا الكتاب، و من دون منّ أو أذى، أو استدرار مبالغ نقديّة إزاء النشر، كما تفعل الكثير من دور النشر العربية المعاصرة، و التي تمنّ على الكتاب إن هي نشرت كتبهم، ثم تسرق حقوقهم المالية، و تغتصب، فيما بعد حقوقهم في إعادة نشر أعمالهم، إذ تعلن صراحة مثل هذه التحذيرات: ((يمنع نسخ أو استعمال أي جزء من هذا الكتاب بأي وسيلة تصويرية أو إلكترونية أو ميكانيكية بما فيه التسجيل الفوتوغرافي و التسجيل على أشرطة أو أقراص مقروءة، أو أي

وسيلة نشر أخرى)) و غيرها من التحذيرات الأخرى .

كتب في هذه المجموعة (٦٤) أربع و ستون قاصا و قاصة ينتمون إلى البلدان الآتية : المغرب، مصر، العراق، سورية، تونس، السعودية، اليمن، الجزائر، الأردن، السودان، الصومال، لبنان، السويد، إرتيريا.

و هنا نثبت أسماء هؤلاء الكتاب الذين ينتمون إلى هذه البلدان، وفقا لعدد القصص المنشورة لكتاب كل بلد من هذه البلدان:

قصص من المغرب وعددها (١٦) قصة

قصص مصر و عددها (١٢) قصة

قصص من العراق وعددها (٩) قصص

قصص سورية و عددها (٦) قصص

قصص من تونس و عددها (٣) قصص

قصص من السعودية وعددها (٣) قصص

قصص من اليمن و عددها (٣) قصص

قصص من الجزائر وعددها قصتان

قصص من الأردن و عددها قصتان

قصص من السودان و عددها قصتان

قصص من الصومال وعددها قصة واحدة

قصص من لبنان وعددها قصة واحدة

قصص من السويد و عددها قصة واحدة

ونلاحظ أن المغرب و مصر و العراق احتلت الصدارة في عدد الكتاب المنتمين إليها، أي في المرتبة الأولى و الثانية و الثالثة، و تأتي سورية في المرتبة الرابعة، أما بقية الدول الأخرى فتكاد تتساوى في عدد الكتاب الذين نشروا في هذه المجموعة .

و قد غابت قصص كتّاب البلدان العربية التالية عن هذه المجموعة: الإمارات العربية المتحدة، الكويت، قطر، سلطنة عمان، البحرين، ليبيا ، موريتانيا، و نأمل في المستقبل أن يكون كتاب هذه البلدان مسهمين بنصوصهم في إصدارات أخرى تُعدّ لها مجلتنا، مجلة بصرياثا، لأن في هذه البلدان كتابات قصصية على غاية من التميز و الإبداع .

ليس لي في النهاية إلاّ أن أقول : السلام عليكم يا ناشري الفن القصصي ، عبد الكريم العامري مشرفا، و المهدي نقوس معدا، و يا مبدعي هذا الفن في هذه المجموعة، و بطاقة احترام ، لا حدود لها، على ما أبدعتموه من قصص مهمة نأمل أن تنال ما تستحقه من الدراسة و الاهتمام، و رحمة الله و بركاته عليكم و على جهودكم، و على إبداعكم أنّى كنتم، و أبهى ما أبدعتم .

كتاب مرافئ.. على سبيل التقديم
نقوس المهدي - اليوسفية - المغرب

تستكمل مجلة بصرياثا الثقافية الأدبية عامها التاسع عشر، في حو من العطاء والإبتكار والتجدد، تسع عشرة شمعة تنيرها بصرياثا وهي أكثر تفاؤلا وإيمانا بأهمية وجدوى الكلمة الحرة، مراهنة على احتضان الجمال، رافعة لواء التحدي، مشيدة شعارها على التعريف بالإبداع الادبي والفكري بالوطن العربي، محتضنة كل الحساسيات الابداعية.. محفزة لها، منفتحة على الحياة الثقافية بكل اشتهاءتها، محلقة في التوهج.. ممعنة في الاختلاف.. ليس الاختلاف المبني على التضاد، والهدم، بل المختلف عن السائد في الساحة العربية.. وعلى هذا الطريق كانت غرة شهر غشت من عام ٢٠٠٤، نقطة المنطلق، لتكون أول مجلة الكترونية أدبية ثقافية داخل العراق الغارق وقتئذ في مستنقع يخنق كل ما هو خارج السرب، ويتكلم فيه المبدعون همسا، وكان إصرار وقوة عزيمة مؤسسها الأستاذ عبدالكريم العامري التي توزعت انشغالاته ما بين الشعر والرواية، والمقالة السياسية، والكتابة والاخراج المسرحي، والفن الفوتوغرافي، والميدان الاعلامي، وحرصه المكين على التميز، وتوخي الجودة فيما ينشر، مع إيمانه بمدِ جسور التواصل الإيجابي بين مبدعي الشعب العربي، كشرط أساسي من سمات نجاح اي مشروع فكري، وهكذا استطاع مراكمة قسط وافر من التجربة والسبق الإعلامي تجلى في إصدار أعداد نصف شهرية خاصة من مجلة بصرياثا الثقافية الأدبية، وهو عمل جسيم وشاق تستطيع القيام به مؤسسة رسمية متكاملة..

ويسر مجلة بصرياثا الثقافية الأدبية إصدار كتاب «مرافئ» الإلكتروني الخاص بجنس القصة القصيرة، يحرره نخبة من القصاصين العرب الموهوبين، الذين يحتفلون معنا بهذه المناسبة،

وهو الإصدار الثاني ضمن مشروعها الثقافي الذي دشنته بكتاب «الشباب يكتبون» الخاص بمسابقة القصة القصيرة للشباب، على أن تليه إصدارات إبداعية خاصة بالشعر والمسرح وفنون أخرى في المستقبل القريب..

ويسرني في خضم هذه الاجواء الاحتفالية البهيجة أن أشكر أكثر الاخ رئيس التحرير عبدالكريم العامري على إشراكي في إعداد هذا المشروع الثقافي الواعد

وكل عام وأنتم بألف خير

القصص

أصوات أجنحة جيم
جابر خليفة جابر- العراق

اتجهوا جنوباً، مخلفين النهر وراءهم والرطب المائع، وانتشروا على الساحل والصحراء، رمالاً ناعمة، ذرات بشرية وبنادق، حفروا قاماتهم وغاياتهم وتوغلوا في الارض، قلبوها ونبشوا البادية (اسمنتا مكيفا وسيارات / ذهبا ابريزا / شرائط فيديو عارية ودشاديش حرير بيض)، شكّوا البر بحرابهم والشاليهات وتشكلوا، خنادق واقواس نار، خوذا او نقاطا صغيرة على خارطة الصحراء، خوذا وحيدة، عزلاء، وسط دوائر نارية متعددة متداخلة أحاطت بهم (خليجا اجاجا ودخانا / دخانا ورمالا / رملا وروماً) دوائر ودوائر تكالبت عليهم، لاهثة باطشة، دامية، فهاجوا وماجوا عجاجا احمر تجاه الجنوب، طووا أشرعة البر والمطلاع حين نكصوا وبقيت خنادقهم محفورة بقسوة.

جمل قصار، نافرة، متوترة، تدفقت فائرة وتناثرت من فم الدليل ممزوجة بلعابه على الزجاجة الامامية قريبا من وجهي، كأن حرائق صغيرة اشتعلت في ذاكرته وكوته عندما عرضت عليه - وانا اركب سيارته الجيب – ان يكون دليلي لتقصي آثار (جيم)، سألني عن كل غامضة وواضحة، أجرته، موعد الرحلة، اسبابها وترتيباتها. وكنت اجيب، كان رجلا فارِعا جاوز الاربعين بعدة خرائف، مشدود البنية، مخيفا كصل حماد، حاد الذكاء، ذي نظرات قلقة ومتوجسة وشهرة جعلتني اختاره من بين ادلاء كثيرين يقطنون حدود الصحراء، وبعد ان اوقف سيارته، سألني عن جيم، فقلت زافرا:

- قضى وظهره الى الجدار.

واردفت وانا اناوله (CHANGER) دفتر يوميات جيم الازرق.

- قضى تاركا لنا هذا وهو الذي عد محظوظا لنجاته من الحرب قبل ذلك بأيام.

تصفح الدفتر بعصبية واشعل سيجارة نفثها الى الاعلى بحرقة محدقا في دوائرها الدخانية المتداخلة ثم ركز نظره في وجهي وقال بصوت متحشرج خفيض، لنمضِ..

اتفقنا على كل شيء، حدث هذا في الاربعاء الاخير من تموز، وقبله، في ظهيرة الجمعة تماوجت فكرة الرحلة في رأسي وانبثقت بومضة قلب غامضة، رسالة تخاطرية من مجهول ربما، او لرفيف اجنحة ملائكية ازاحت الحر اللاهب وتهادت لتحوم حولي على حافة ماء يروي قنطارات ثقال العثوق، استرحت في ظلهن، ويمسد جذور نخيل الساير وسيد الرطب البرحي، حامت بعد ثلاث آبات حين حل قيظ ظهيرة خانقة وارتحل.

حلَّ وارتحلَ ثم حلَّ. ثخين الخضرة والقنطار المائع يتلألأ من طرف الثيل، بستان عامر، سبع برحيات والثامن فحل، فحَّ آب وحل وتصافقت أجنحة جيم.

اشرقت الخوذة / فولاذا متربا.

بدلته الخاكي.

بسطاله بسواد فاتر.

ومن قلب قنطارة غرق ثلثها في النهر، تلألأ جيم وتشكل خيالاً بليلا بالغربة والمطر الآخر، هيمانا لم يطأ الظل وكملاك آسر رفرف بأجنحة زاهية ودار ثلاثا حول الماء الجاري ثم بادلني (CHANGER) بحبات رطب مائع وتلاشى، ذاب ضبابا وترك بين يدي دفتر يوميات كان يسرد احداث قصة على صفحاته بحبر اسود، بادئا بكتابته من اليمين صعودا ضد تسلسل ارقامه المزدوجة، من الورقة المائة الى الاولى وحتى الغلاف الايسر حيث رُسمَ المانشيت الابيض DUBEL CATEBOOK CHANG-ER. على امواج لونه الازرق الباهت.

قرأته مرارا وبعد كل مرة كنت اضمه الى صدري بالفة غريبة، وحين عدت الى البيت لففته بقماشة خضراء لامعة وعزفت عن الكلام، ثمة قوة تشدني اليه، تيار يشبه السحر، وعندما

اعطيته الدليل بعد ايام ذكر لي احساسا مشابها، قال انه شعر بآلام لذيذة وجاذبية مخدرة، بقي لديه ثلاثة ايام جهزت خلالها ما تحتاجه الرحلة من متاع ومؤونة.

وأعدَ الدليلُ ادواته واجهزته، مرقب تكبير، وخرائط للنجوم بينها ورقة صفراء كبيرة باهتة اللون، الصقت اجزاؤها الممزقة بشريط شفاف، ورسمت عليها بخط اسود عريض دائرة للبروج، وجلب معه اشياء اخرى متنوعة جمعتها حقيبة جلد عتيقة، وفي الموعد المحدد دار الدليل بنا متشمما حروف (CHANG-ER) وخرائطه ويداه على المقود تجتذبه رائحة جيم - الجندي الاسمر الممصوص – وصراخه..

يصرخ جيم فترتد صرخاته جارحة مذبوحة الى اعماق صدره..

يصرخ ليشتعل صدى صراخه حقولا ممغنطة تجتذب ادلاء البر وقصاصي الاثر..

يصرخ ويُسوّد دفتر يومياته ذي الزرقة الغامضة المشوبة بالبياض، يسوده بعجالة ويخاتل الجميع ليخفيه عن فضولهم في الجيب الداخلي لقمصلته الصوف ويحتفظ به كأثر وحيد سيتفرد بالنكوص معه شمالاً تجاه الجنوب، وبين دفة (CHANGER) وقيدومه، رتب جيم ايامه ورسم مملكته، حدودها واحاديثها..

(مملكة الغائط كما رسمت في CHANGER)

بين رتلين متوازيين من اشجار الاثل اكتشفت مملكتي، كانت جزيرة خضراء صغيرة وسط احتراق البادية، بعيدة عن الظمأ وعن انظار الجنود على مسافة ثلاثمائة متر تقريبا من موضع البطرية وعلى ارضها تراكمت طبقة كثيفة من اوراق الاثل الابرية الميتة.

تتخللها حشائش واعشاب نضرة واخرى حائلة تنتهي عند اجمة قصب تعترض الرتلين لتحد المملكة شرقا، وعلى هذا البساط الاخضر الظليل تغوطت لاول مرة، ثم كررت المرات حتى انتشرت الالغام الطرية واليابسة على مساحة المملكة -

منذ الحرب السابقة اعتاد الجنود على تسمية الغائط بالالغام - وعشش على بعضها عفن ابيض، وثمة شظايا باشطة، استقرت على الارض بحدة، وانفاق للنمل الاسود احيطت فوهاتها بسواتر دائرية صغيرة من حبيبات الرمل فبدت كموضع اسلحة م/ط، وعلى اعشاب مسحوقة دست ببسطالي الاسود ملبيا نداء الطبيعة تحت انظار ملكية مشبعة بالنار والدخان.

***

دار الدليل ودارت القافلة القصيرة، ثلاث سيارات (نيسان باترول) بمحركاتها الناشطة وأطرها المفلطحة كخفاف الابل، تجتاز الرمال والاسفلت بخفة ورشاقة ساكبة البطاح الملتهبة وراءها لتسيل صفراء مشتعلة ضحى الفاتح من آب، كانت سيارتا الامتعة والمؤن في اثرنا ونحن نقص البر، نفليه تتبعا لبصمات بسطالك.. بسطالك القادم من الجنوب او المتجه اليه..

بسطالك الممزق بالحاويات العنقودية او بكلاشنكوفات المفارز المتحركة أو النافق عطشا، لا فرق.. آه ايها الجندي الاقرب الى دقة القلب..

كم من اقرانك الان يذرعون الشوارع بحثا عن غد غامض او عن كيلو طحين، كم رصاصة فتشت وتفتش عن صدر او عن حائط في الجنوب ليحتضنها، كم وكم حتى نتحاضن في ظل قنطارة تعطي النهر نصف رطبها، او لنقر في قلب مقبرةٍ يضم البطائح كلها والطرق الدائرية وقصور الساحل جميعاً ويضم (CHANGER) حيث تدفقت قصتك كما لم تتدفق قصة من قبل.

أفقت من مناجاة جيم لأخوض مع الدليل في مطاردة طويلة وتقص لخطوات جيم طوينا خلالها دورات ودورات من الرمل والاسفلت حتى بهتت آثاره وانمحت بصمات بسطاله، فتوقفنا للاستراحة وتقاسمت البطون الثلاثة فخذا مشويا بالتوابل وارغفة خبز محمصة كثيرة واقداح شاي مهيل علامة الوزة، وتقاسموا القيلولة الا انا فقد اكتفيت بالشاي اذ كنت عجلا متلهفا الى الوصول لمملكة الغائط، فانتظرتهم فائرا لأنهض وينهض الدليل

متمعنا في خرائط (CHANGER).

- من معركة الجمل ومزارع الطماطة الى ملعب الفروسية مرورا بدوار العظام والدائري السابع -

ازاح حقيبته الجلدية جانبا ومشت بهدي الخرائط قافلتنا، كما مشى جيم يوما الى مملكته ومعه مشت زوادة الطعام خطوة خطوة حتى اتى عليها الرجال، تحت الارض وجدهم.

في البدء لم ير سوى اعناق المدافع ثم بدت حافات الخنادق...

خوذهم / تروس سلاحف خضر غامقة او سلاحف من جنفاص باهت.

وجوههم / صابرون وضامرون بلحى خفيفة مشتعلة وشوارب ثخان.

بدلاتهم / خاكي وتراب، ظهروا يرحبون به ويستغربون.

ويستغربون، يسألونه:

- لماذا اتيت ؟

ويسألون انفسهم، همسوا له بأسرارهم ونسوا اسرارا، وبعد كل هذا كانوا يضحكون ويضحكون حتى تشققت اشداقهم، يجوعون وتجوع القصاع قبلهم.

وبعد دقائق ينهمكون بإعداد المقالب، بعضهم لبعض، ويرقصون كأطفال، رقصوا الهيوة والدبكة واعتادوا الصبر والسرقات، طيلة ستة اهلة رقصوا وسرقوا وثلاث جمع، وتراقص الجوع معهم والشاي المر وزوادة جيم، ولعبوا الكونكان والـ(٢١)...

- من البصرة ولا تلعب الورق !

- اهتم بالكتب.

- الكتب !! عليك بالمرشد الكيمياوي فقد حصل على كثير منها.

طيّ الارض وجده، هادئا بأنف افطس وعينين عكرتي الاحمرار،

وقصيرا بوجه اسود مدور، وجده غارقا بين الاقنعة والتجهيزات الكيمياوية والكتب، ومن كتاب مذهب العنوان اندلعت ثورة الزنج بين يديه.

- اهلا.. قال وسهلا وقال:

- لا حرام في سرقة الكتب.

واتفقا ألا حرام، تأبط جيم كتاب (ارتقاء الانسان ل ج. برونوفسكي) وارتقى معه مدخل الملجأ الى الارض الخلاء، انعشته طراوة البحر واريج الصحراء ممتزجا برائحة الخيول، لم تكن ثمة خيول كالسابق ولا فرسان، الخيول المستوردة حملتها الشاحنات شمالا والفرسان اختفوا، لم يبق سوى الملعب، مدرجاته / اسطبلاته / اعشابه، وثلاثة خيول، حصانان وفرس، اضطر بعدَ اسابيع في زمن الجوع، الجوع الكافر - كما يقول (-CHANG ER):- لإطعامها صمونا من حصته، يجوع الجسد فيغدوا كافرا، يرفض اطعام الخيول ويحاول جر الروح معه، تأبى، تقاوم، تتشبث وتطعم الخيول الجائعة صمونا يابسا او طريا.. لا فرق فالجوع لا يفرق بين انواع الصمون، والجنود ايضا لا يفرقون، ثمة نوع واحد يحلمون به ويتشاجرون عند توزيعه هو الصمون، الجوع والجنود اتحدا، اصبحا روحا واحدة، كلاهما يبدأ بالجيم وكلاهما لا يفرق بين انواع الصمون.

بعد مائتي متر او اكثر قليلا هبط ومعه (ارتقاء الانسان) الى ملجأ الحضيرة ليحتضن ليلته الاولى - سماها في (-CHANG ER) ليلة القضاء على زوادة جيم - استقبلته ستة اسرة لثلاثة جنود فروا وثلاثة ينتظرون، رابعهم جيم او سابعهم، بعد اسابيع لن يبقى معه الا واحد منهم هو الاحدث عهدا بالجيش، بقي معه حتى مزقته الحاويات بعد انتصاف الليلة الاخيرة، ام الليالي وأتون الآخرة، ذكر ذلك جيم في الورقة الختام من (-CHANG ER) وذكر فيها انه وعدد من الناجين حلموا به يتخطر بينهم برداء ابيض وسط حدائق ملونة كأفرشة يطغاتهم التي بقيت على الاسرة الفارغة، افرشة قطيفة باذخة بألوان طاووسية

حالمة استوردتها القصور لمخادعها، وبطانيات فراء ناعمة تتحفز عليها نمور متوثبة.

رحب الثلاثة به وبزوادته وقضوا عليها كما انقضت نمور البطانيات على ليلته الاولى وأغارت على احلامه بانيابها البيض الباشطة مشكلة بمخالبها النافرة دوائر ودوائر احاطت به وتكالبت عليه، لاهثة، باطشة، دامية، فرفرف باجنحته البنفسج وتهادى عائدا من حيث اتى تجاه الجنوب.. الجنوب دائما يوقظ جيم - وهكذا في (CHANGER)- فيتمطى ضاربا على صدره وينهض واطئا بصمات بسطاله / أكياس الرمل المرصوفة كسلم / انفاسه الخادرة الرخية / فجر الصحراء البارد / اصوات النار في صباحه الاول..

وطأها جميعا ومزجها مع صباحات موضع البطرية حيث ساحت عيناه النرجسيتان ومسح ماؤها الارجاء المحيطة، غاسلا بالنرجس قوس النار ودكات المدافع الستة وسبطاناتها، وغمر حدب الملاجئ ومخابئ العتاد، وتماوج النرجس الى احزمة الاثل الخضراء والى مرمى البصر وتطوفن صاعدا مباني المطار القريب وبرج الاتصالات ومدرجات ملعب الفروسية، فامتطى جيم الموجة حاملا ابريقه ليبحث عن مكان مستور لقضاء حاجته، وعندما اكتشفه سماه مملكة، وهناك بين صفين من الاثل انسحب الخاكي الى الاسفل فاضحا مؤخرته واقعى متغوطا، شعر براحة وهو يفرغ امعاءه بعيدا عن الانظار وبلذة نغصتها عليه طائرات (JOINT FORCES) وهي تلقي بهداياها جحيما راعدا

او منشورات علق بعضها بالأغصان الأثلية.

* البقاء هنا يعني الموت / صورة تابوت وعلم.

* هذا هو الانذار الاول والاخير - اهرب حالا / صورة B52 وحاوياتها.

* اطباق طعام دسم وفاكهة طازجة تحيط بها عيون شائهة

لأسـرى شـرهين.

شـدته المنشـورات الورقيـة وتشـاذى بخـار الطعـام الحـار مـن بيـن حروفهـا شـاحذا خياشـيمه فتمطـق بالعـا لعابـه وهـو ينظـر الـى حـرارة مـا طـرح علـى الارض.

***

اعـدت المنشـورات الـى طيـات الدفتـر، اغلقتـه حيـن اناخت سـيارات النيسـان باتـرول، قريبـا مـن موضـع البطريـة علـى مبعـدة مـن موقع (مملكـة الغائـط) كمـا حـددهُ جيـم فـي خرائطـه فلـم يجـد اثـرا لمهبـط جيـم ومعراجـه الـى الجنـوب، اختفـت مملكتـه، واختفـت الغـام الغائـط واشـجار الاثـل، سـوتها البلـدوزرات، فتمشـينا - بعـد احتسـاء الشـاي - انـا والدليـل الـى موضـع البطريـة الـذي تـرك كمـا هـو وتمشـى (CHANGER) فـي يـدي، لأقـرأ، ان طيـارا اسـيرا فعلها في ملابسـه الانيقـة، ولنتابـع فـي اوراقـه مشـاهد تتويـج جيـم ملـكا بعـد فشـلنا فـي مشـاهدتها علـى الطبيعـة، حيـث اقعـى علـى العـرش مفتتحـا الحفلـة - والخـوذة تاجـا - بإراقـة مـاء اليوريـا علـى الاعشـاب وقطـر دم البواسـير علـى ميـدان الاحتفـال السـابح فـي اخضـرار لامـع بهـي، والغـارات قيامـة تطحـن الـروح وتعصرهـا، فيطحـر جيـم ويعصـر امعـاءه ليطـرح لغمـا حـارا وروائـح كبريتيـة حـادة جيّفـت المملكـة واذابـت الموجـودات امامـه، اشـجار الاثـل والبطريـة، لتـذوب حـدود الحـرب برؤيـا خضـراء (يتـراءى الاهـل اقمـارا ويحتشـد البـر نخيلا وسـواقي، وتـرنُ الصفقـة البصراويـة يـا الطـاف الله، والخشـابة كفـا واحـدة، تشـتد الصفقـة ويمـوع صبـي الشـدة، امـرد كالزئبـق يسـيح ويلتـم، يتـلألأ وجهـه، يتلـون، احمـر، فضيـا، رجـراج، والمـرواس يـدن.. يـدن.. يـدن، تشـيع مقامـات الرسـت، اغانـي الصبـا تسـيل البسـتات والكاسـور يـدوخ يريـد (سـويكا) يـدوخ جيـم فيختـض اللنـج - لا صيـد الآن - تلاعبـه الامـواج، الاعصـار يهـب وتكتـظ غلاصيـم البحـر وترتـج، فيحـط الـه الخـوف باجنحـة سـود.

تسـيح الارواح حتـى هـدأ البحـر، البحـارة هـدأوا - الصيـد وفيـر - عـادوا للتجديـف والاشـرعة البيـض، تـذوب ضبابـا، تتخافـق بيضـاء،

رداء صبي ابيض، تتلاشى بقصف ساخن).

ليعود البر / البطرية / مملكة الغائط / كوليرا الحرب، وتعود اصوات جهنم، فيعاود جيم النظر الى اسفله، يتطهر وينهض عجلا ليلبي نداء النار.

مانشيتات النار

المانشيت الاول (لن تبقى العنقاء حية الا اذا احترقت بالنار / ما يكل انجلوا).

المانشيت الثاني (كما البشر الاوائل كنا نرعى النار في الغابة / الحرب، كنا نلقمها وقودا كي لا تنطفيء، كنا وقودها، ومثلهم لم نكن نحن الذين نشعلها/ جيم).

المانشيت الثالث (- مدفع ٥ حاضر

- ارم / من لغة المدفعية)

- تلتهب البطرية وقصور الساحل والآبار، ويختبيء الكمأ، عظايا البر، ويترعبل اهل الديرة والعربان، ويكتوٍي البرد القارس بألوان النار، والدخان المتصاعد يتصلد جبالاً سوداء، تسد الافق، وترش الليل على الاشياء (ويلتهب القلب الى اقصاه فأغلق (CHANGER)، اغلقه وافتحه عدة مرات ثم اغوص كصائد لؤلؤ في اوراقه) املأ سلالا من ليل دائم ولآليء سود، نهارات حداد ومانشيتات نار، وارى شمسا تتخامد عبر سحب دخان حتى تغدو كرة حمراء، قمرا كئيبا كابيا يخمش لب الارواح ويخنقها، وأقرأ عن ذيول من قرمز لنفاثات تتثعبن في سماء الحرب كدروب جهنم، وأرى جوعا وجنودا ودقائق كاربون تتهاطل كالوفر، تسخم وجه الارض/ المدافع / وتكسو سطوح براميل الماء، وخضار البر يرسمه جيم سوادا ويرسم شياطين، سودا متصالبة تتبارقٍ في اكباد الجو وعلى الرمل رسم لطخات مخاط أسود ودما.

خيم الليل بعد قراءة مانشيتات (CHANGER) واوراقه السود، فقضيت الظلام ضجرا بانتظار الفجر الذي عقبناه بنهارين

قائظين لنعاين ما خلفه جيم والآخرون من شواهد وآثار، لم نجد سوى خنادق دارسة واسلاب (خوذ / بساطيل/ خرق عسكرية / اعتدة فاسدة / زمزميات) ووجدنا مقابر، نعم، مقابر في كل مكان. قررنا بعدها العودة الى الجنوب متتبعين خرائط النجوم وبصمات البساطيل الناكصة وكنا نتساءَل فيما بينا بمرارة..

لماذا ؟ لماذا ؟

وكذا تساءل جيم في (CHANGER) وكان الجنود يسألونه بعد احتساء الشاي بلا سكر..

لماذا ؟ لماذا أتيت ؟ ثم يسألون انفسهم ويستغربون حتى اهتدى احدهم الى الجواب، وجده في كيمياء الروح او في جغرافية الجسد، منضدة رمل تؤشر المسالك الى بساتين النخيل، وجدها ومشى، سبر غور الصحراء والطرق الدائرية، تتبعه جندي آخر، ثم آخرون، ارتدوا الليل معاطف وتسللوا، ببساطيلهم وزمزمياتهم، ابتلعتهم شعاب البر وخيوط النجاة، محت الكثبان الناعمة المتموجة آلافا منهم وشطبت مفارز الاعدام المتحركة حياة آخرين فهاجوا جنوبا وماجوا عجاجا أحمر لتدفنهم الرمال إلا بقية مضت بمناضدها، بقوة الآلام والآمال مشوا وخلفوا وراءهم آثارا سيتذكرها الساحل طويلا وتتذكرها الصحراء.

العودة إلى المنزل
فرات صالح- العراق

كان لزاماً علي كي أتمكن من فتح الباب أن أقف على أطراف أصابعي وأمد يدي معقوفة من بين الزخارف الحديدية أعلى الباب إلى أن تصل إلى المزلاج، هكذا كنت أفعل كل مرة عند عودتي من سفراتي الإجبارية المنتظمة توقفت قبل القيام بتلك الحركة التي كنت غالباً ما أقوم بها دون وعي تقريباً هذه هي المرة الأخيرة التي غادرت فيها المنزل فأنا قد عدت إلى الأبد ولن يجبرني شيء على ترك منزلي أبداً، في كل مرة أكون على علم تام ومنذ عودتي بأنني سأترك المنزل بعد الفترة المقررة لبقائي فيه لهذا كانت هذه الحركة ــ حركة فتح الباب ــ تتم تلقائياً وببرود، ولكنني اليوم عائد إلى الأبد فيجب علي أن أطبع في ذاكرتي كل ثانية وكل حركة في هذا اللقاء. بل وقررت في أثناء طريقي الطويل إلى المنزل أن أدخل متسللاً دون صوت بعد أن أخلع حذائي الثقيل خارج المنزل إلى أن أصل غرفتي فأوقظ زوجتي التي سأجدها نائمة حتماً لأنني كالعادة ونظراً لطول الطريق وصعوبته سأصل بعد الساعة الثانية ليلاً، فتكتمل بذلك المفاجأة الكبرى، لكن من يضمن لي أنها لن تصرخ ظانة أني لص خطير فتوقظ أطفالي وأهلي ولكن الأمر بدا لي يستحق المجازفة وبالمناسبة فنحن ومنذ نزلت عائلتنا هذا المنزل، ربما قبل قرون، لم يعرف بابنا القفل أبداً. كل الذي نفعله ليلاً هو أن نرفع المزلاج قليلاً ورغم هذا الزمن الحافل باللصوص والقتلة إلا أنني لم أتخل عن عادة أجدادي تلك. ركزت ثقلي على أطراف أصابع قدمي.. مددت يدي إلى الأعلى.. مررتها بين الورود الحديدية ثم أنزلتها قليلاً إلى الأسفل.. إلى اليسار قليلاً.. تجمعت كل أحاسيسي في أصابع يدي، التصقت شبكات حريرية لعناكب مجهولة بها فسحبتها بسرعة كالملدوغ، من أين جاءت هذه العناكب؟ وكيف لها أن تبني بيوتها هكذا على مزلاج بيت

مليء بالأطفال والنساء يخرجون منه ويعودون إليه عشرات المرات يومياً. تذكرت أني ومنذ دخلت قريتي هذه الليلة قد مرت بي أشياء غريبة لكنني لم أعرها انتباهاً يذكر بسبب شرود ذهني ولهفتي للقاء المرتقب، حاولت أن استجمع أفكاري فبدا لي أنني قد شممت رائحة غريبة تغلف الجو، ثم أني لم ألتق أحداً طوال الطريق منذ مغادرتي الحافلة حتى وصولي إلى منزلي، صحيح أن الوقت متأخر جداً ولكن في كل مرة كنت أجد باعة الخضار وهم يستعدون ليوم عمل جديد، والحراس الليليون أين هم؟ حتى الكلاب الشرسة التي كنت أخشاها كل مرة وأسير مسرعاً بين الأزقة خوفاً أن تراني فأثير تساؤلاتها وغضبها لم أرَ أياً منها هذه المرة، بل لم أسمع نباحها الذي يلقي في قلبي الرعب. انسحبت إلى الخلف قليلاً مبتعداً عن الشرفة المطلة على مدخل المنزل ونظرت إلى السماء فلم أرَ أثراً لنجمة واحدة فالسماء ممتلئة بالدخان اللزج. يا لغباوتي كيف لم أنتبه لكل هذا، لابد أن أمراً جللاً قد حدث لقريتي الوادعة، لكن أن يحدث شيء لمنزلي أنا بالذات فهذا ما لم يخطر لي ببال، ثم أنا البقاء هكذا في الخارج لن يضع حداً لأفكاري التي ما أن تبتدئ حتى لا أستطيع إيقافها: تقدمت قليلاً، أزحت الخيوط اللزجة للعناكب السرية ودفعت المزلاج قليلاً ثم دلفت إلى المنزل بخطوات مترددة فالظلام دامس، تصورت أن الجميع لابد أن يكونوا الآن نياماً على سطح المنزل كعادتهم، لكن ما جعلني أشك في ذلك هو الظلام الدامس والرائحة العفنة التي تملأ المنزل بل القرية كلها.. أدرت مفاتيح الكهرباء ولكن بلا نتيجة، لابد أن التيار كان مقطوعاً.. في الممر إلى غرفتي أحسست بلوح زجاجي يتهشم تحت قدمي، أشعلت عود ثقاب.. كانت صورة أخي الأصغر مبتسماً بملابس لم أره فيها من قبل وكانت الصورة موحشة بوشاح أسود.. صرخت: لاااا، ها أنا أفقد آخر إخواني.. بكيت دونما صوت لأن التعب قد أفقدني القدرة حتى على البكاء بصوت عالٍ.. أشعلت فانوساً اصطدمت به قدمي مصادفة وتوجهت إلى غرفتي .. يا للفظاعة: كانت زوجتي عارية على الأرض وثدياها قد اقتلعا من مكانهما كأنما

بفعل آلة وحشية وكانت الدماء المتيبسة تكون بركة حولها، أذهلني الألم .. تراجعت إلى الخلف، ثم بقفزة واحدة ركضت صاعداً السلم متجهاً على السطح دون أن أدري لذلك سبباً، لربما أردت أن أطمئن على باقي الأهل، بعد صعودي بضعة درجات هالني المنظر المروع: كلب هائل الحجم ينزل السلم، عيناه حلقتان من نار، أنيابه البيض تحمل آثار الدم، كان كمن يضحك ضحكة شامتة.. صرخت بأعلى صوتي.. نزلت السلم راكضاً.. تعثرت.. بدا لي أنه ينزل السلالم خلفي بهدوء كالواثق من عدم قدرتي على الهرب. ركضت.. اصطدمت بالحائط وبأشياء لم أستطع تمييزها يلاحقني ظل ضحكة وقحة بينما كنت أطلق صرخات طويلة لا نهاية لها في دروب القرية، لكن صدى الضحكات الشرسة كان يتعالى وأنا قد نال مني التعب.. توقفت.. كانت رائحة الجو تزداد عفونة والضحكات تعلو ولهاث غريب يملأ المكان، استدرت حول نفسي، كانت مئات العيون المشتعلة تحملق بي باشتهاء مخيف والأنياب الملتمعة تؤطر نهايتي، لكنني لم أكن أحس بالخوف، فالتعب تسلل إلى عظامي. آه كم كنت متعباً ونعساناً، لذا كورت نفسي.. ونمت.

العمى الأزرق
سي حاميد اليوسفي (المغرب)

أكد الطبيب لعمر بأن الأمر سيكون سهلا. عملية جراحية بسيطة، وسيعود يبصر كأنه في سن العشرين. تكاليف العملية حوالي مئتين وخمسين ورقة زرقاء من فئة مئتي درهم. كل ورقة تذبح ديكا. انتابته بعض الشكوك. المبلغ كبير، والطبيب لا يجري هذه العمليات إلا في مصحات خاصة لا تربطها أية شراكة مع القطاع التعاضدي. عليه أن يدفع المبلغ نقدا، وبعد ذلك يجمع وثائق الملف، ويرسلها إلى التعاضدية، وينتظر التعويض الذي قد يهبط إلى أقل من أربعين بالمئة بسبب جشع الأطباء وأرباب المصحات، ونفخهم في الفواتير. لم يكتف الطبيب بتحديد المبلغ، وتعليل ارتفاعه بغلاء الأجهزة الطبية، بل هدده بأنه إذا تراخى، ولم يجر العملية في أسرع وقت، سيفقد بصره بالمرة. وما زاد من قلقه وتوتره طلبه لمبلغ أسود من تحت الطاولة. تساءل بمرارة:

ـ يا إلهي كيف انتقلت عدوى المبالغ السوداء من بيع العقارات للتهرب من أداء الضرائب إلى قطاع الطب؟

فكر في تقديم شكوى للقضاء، لكنه تراجع عن ذلك في آخر لحظة، خوفا من أن ينتقم منه طبيب آخر، ويفقأ عينيه، أو توجه له المحكمة تهمة الإساءة إلى سمعة إطار وطني كبير.

ترحم في صمت على ابي قراط وقسمه، وجيل السبعينات من الأطباء!

تخيل نفسه أعمى لا يرى شيئا. لا يمكنه أن يقرأ أو يكتب أو حتى يخرج لأنه لن يتمكن من هبوط السلم بمفرده، وإذا فعل قد ينزلق ويتدحرج إلى أسفل. أكيد ستتكسر عظامه. وافترض أنه إذا ساعده شخص ما في الهبوط، كيف يمشي في الشارع؟ هل يشتري عكازا يتحسس به الطريق؟ وهل يسلم من شغب

الأطفال، واعتداء اللصوص في الأزقة الخالية من المارة؟

وإذا بقي سجينا في البيت، كيف يتنقل إلى المطبخ أو المرحاض؟ يمكن أن يستعين بلمس الحائط، ويسير ببطيء، يصل إلى الثلاجة ويفتحها، ثم يتدرب على تحسس محتوياتها، حتى يعثر على قنينة الماء أو البيرة. الشقة صغيرة يمكن أن يتدرب بسرعة على التنقل بين مرافقها. لكن إذا لعبت البيرة برأسه، ولم ينتبه لبعض الحواجز يمكن أن يتعثر ويسقط. لا بد أن يسقط، ويُجرَح ليتعلم السير في الظلام.

هو الآن ليس أعمى. لكن يمكنه أن يغمض عينيه، ويتنقل بين الغرف. عليه أن يحفظ الطريق أولا.

لم تكد تمضي بضعة دقائق حتى أحس بالضجر. تعجب للعميان كيف يقضون حياتهم في الظلام. لا يعرف بالضبط الألوان التي تتراءى لهم في النهار. لا بد أنها لا تشبه ألوان الليل. لا لا يمكن أن يرى الأعمى اللون، هو فقط يتخيل الألوان. يخلق لها صورة في ذهنه، لكنه لا يراها في الواقع.

عندما كان طفلا سمع الكبار يقولون بأن الأعمى يرى بقلبه ما يرى الناس بعيونهم. وعندما تقدم به العمر لم يجد أي تفسير لذلك. عليه أن يجلس مع شخص أعمى، ويسأله ليشبع فضوله.

تساءل مستغربا:

ـ كيف يحب الأعمى امرأة لم ير وجهها هل هو جميل أم قبيح، وجسدها بدين أم نحيف؟

ـ قد تصفها له أمه أو أخته.

ـ لكنها قد تخطئ في الوصف. ما تراه الأم جميلا قد يراه هو عكس ذلك. ومن يضمن له بأنها لن تخونه مع شخص آخر مبصر.

سمع الكبار أيضا يقولون بأن حالات العمى والعرج والصم والبكم يعوض الله عنها خلقه بحالات أخرى أكثر قوة. والبعض

يـرى أنهـا عقوبـات ينزلهـا الله ببعـض الأشـرار مـن خلقـه.

أغمـض عينيـه حوالـي سـاعة. رأى فـي الظـلام مـا لـن يخطـر علـى بـال أحـد. كل شاشـات الهواتـف والقنـوات التلفزيـة تحتلهـا الجـرذان. جـرذان ترتـدي وزرات بيضـاء وبـدلات سـوداء، أصابهـا العمـى الأزرق، وهـي تطـارد القطـط، وتـأكل فـي طريقهـا حتـى أعمـدة الكهربـاء، وتفتـرس بوحشـية أي بشـر يمـر مـن أمامهـا. النـاس فـي هلـع تهـرب فـي كل الاتجاهـات، والجـرذان العميـاء تطاردهـا.

مراكش في ٢٠ يونيو ٢٠٢٣

وليمة سقراط الأخيرة.. قصة قصيرة
نقوس المهدي - المغرب

« وجاء يتهمني أمام المدينة وكأنها الأم، ذلك أنه يقول إنني مخترع آلهة»

سقراط

إلى حدود اللحيظات التي لفظ فيها أنفاسه الأخيرة، ظل المعلم سقراط محافظا على صفائه ورباطة جأشه وسخريته اللاذعة والعهدة على الرسام جاك-لوي دافيد، الذي خلده في إحدى أشهر لوحاته الفنية، مادا يمينه عن طيب خاطر وبثبات وعزم مكين إلى قدح الشوكران.. فيما كانت يسراه معلقة في الهواء وقد شرد به الخيال إلى أقصى حدود اليقين، وهو يشرح إحدى نظرياته الفلسفية التي ألبت عليه الإكليروس، منتهرا طلابه الذين أخفوا سحناتهم في أطراف قمصانهم مستغرقين في نوبات بكاء مرير

أفلاطون الخلاسي الذي كتب على باب أكاديميته « من لم يكن مهندسا فلا يدخلن علينا»

وأرسطو ابن نيكوماخوس الذي ابتدع فيما بعد فلسفته المشائية، وكتب الكتاب الفريد والممتع «سر الاسرار» المعروف بكتاب السياسة والفراسة في تدبير الرئاسة

وكريتون أقرب الطلاب إلى نفسه، والذي أمره بدفع ثمن ديك لـــ «إيسكولاب» إله الطب دون مفاصلة. حتى وهو يعالج السكرات الأخيرة من الموت قبل أن تفيض روحه ويغمض عينيه في تلك الصبيحة من صباحات أثينا الربيعية

كان في قمة الصفاء الروحي ورباطة الجأش عينها والسخرية اللاذعة ذاتها التي واجه بها القضاة الخمسمائة بقيادة الرجال الثلاثة «ميليتوس» و»أنيتوس» و»بوليقراط» الذين لم يثنهم كبر

سن الرجل ووهن عظمه، ولا ليونة أنامل الداية (فيناريت) على طراوة أجسادهم ساحبة إياهم من أرحام أمهاتهم، الأم/ أمه التي ظل طوال حياته يبرهن من خلالها على نقاء فصيلته، وعلى عدم عقم الفلسفة. بالسخرية اللاذعة ورباطة الجأش والصفاء الروحي نفسه الذي لازمه حتى وهو يصب السائل الحريف في جوفه دفعة واحدة كأنه يعب خمرا، في ذلك الصباح المبكر من صباحات الربيع

وحتى تلك اللحظات التي كانت خلالها طيور السنونو تراوغ ظلالها، واللقالق تسافر بعيدا لسماوات أخرى، والطيور تغادر أوكارها، لم يكف سقراط عن التأمل والدفاع عن الفضيلة والسخرية والحرية والتفكير في مآل الفلسفة، وفي حساء العدس المحبب كثيرا إلى نفسه، شيء وحيد لم يستحمله المعلم وهو على أبواب الآخرة، لا مآل الفلسفة، أبدا، لأنه يعرف أي الرجال هم الذين لقنهم خلود المعرفة، ولا مستقبل أثينا لأن الديكتاتوريات تدول وتزول، بل عويل ونواح إكزانتيب المرأة الشديدة التي كانت دائما تدلق عليه طست الغسيل وتردد في وجهه الأفطس أنت وتخريفاتك!!!، وهي تذرو على رأسها التراب وتتمرغ في الوحل خارج أسوار السجن، والذي ظل يتناهى إلى مسامعه ويمزق نياط قلبه حتى اللحيظات التي أسلم فيها الروح في ذلك الصباح الباكر البعيد من صباحات فصل الربيع

- من مجموعة (...إلخ)، منشورات رابطة أقلام أحمر، ٢٠١٤
- سفي غراف - آسفي – المغرب

بطاقات حب لسيدي بلعباس

سيدة مدن الدهشة الآسرة

أ. د. محمد عبد الرحمن يونس- سوريا

رفع حاجبيه عالياً.. سماء من السحب والضياء تسافر بعيداً .. المساء رطب.. المدينة هادئة تستمتع بالموسيقى، ونسمات سيدي بوسعيد ولا كانيا والبلفيدير، عينان باهتتان صغيرتان مليئتان بالقذى تتوسدان هذا الوجه الأصفر. ووجه منمش بحبيبات قديمة ورثها عن الأجداد الذين يكرهون السفر ويحكون لنسائهم حكايات ألف ليلة وليلة، إذا ما انتصف الليل وغاب القمر.. رغم بحار الملح المتراكمة فوق عينيه لم يسقط منهما دمعة واحدة.. وأحسّ أنه يرتحل وملاحات العالم في عينيه، يخبىء في قلبه سيوف الأجداد وسيرهم.. عند أول مقعد رآه في الحديقة العامة تهالك عليه كسجين خارج لتوه من سجن سياسي.. وقد سلخ ظهره ويداه واقتلعت أظافره.. عاين الفراغ الموحش شعر بغصة مرة في حلقه.. أسراب السيارات والنساء تمر أمامه بنمرها المختلفة قاطعة شارع الحبيب بورقيبه، صوب الشاطىء والأحلام البعيدة التي تمتد إلى سوسه وبنزرت.. وصفارة رجل البوليس الواقف عند مفترق زوايا الشارع تدق قوية في أذنيه.. غشاء الطبل في طريقه إلى التمزق.. يتألم.. كالعذراء.. وتساءل كيف تتألم العذراء حينما تفض أشياؤها السرية ليلتها الأولى.. لكنه لم يجد تعليلاً مقبولاً لهذه الظاهرة.. لم يستطع أن يركز بصره على زاوية معينة أو مساحة ضوء.. تدور الزوايا وتهرب مسرعة وتدخل مقهى نزل تونس الدولي لتحتسي البيرة.. تعب أعمى في عينيه.. واستغرب لماذا هذا التعب المبكر رغم أنه لم يتجاوز الرابعة والعشرين.. وأخرج قطارة ووضع في عينيه عدة قطرات منها ، وفتح زجاجة وتناول جرعة من كبسولات «سيتامول» وتعجب مستغرباً من قائل القصيدة الشعرية التي حفظها أيام كان طالباً في الجامعة.

«أيها المشتكي وما بك داء كن جميلاً ترَ الوجود جميلاً».

أي متفائل هذا القائل الذي يوزع على عشيقاته سكاكر أعياد الميلاد وزجاجات العطر.. أيّ بالونات هذه المخدرات التي ينفخها من يظنون أن البحر والشط والحيوانات والناس بخير..؟ رفع رأسه باتجاه السماء والنوارس والغربان.. كان بوده أن يقول شيئاً للعظيم خالق الكون والسماء المغروسة بفقاعات بيضاء وغربان ، وسحائب سوداء... لكنه أحس لسانه مشدوداً يعاقر صمتاً أبدياً موحشاً.. وهل هذا الغفور الرحيم سيستمع إليه وأخفض رأسه.. لم يكن يوماً ما قديساً ولا ولياً صالحاً.. لكن جدار الله لم يسقط في نفسه أبداً .. غير أنّه في حيرة عاصفة من هذه الجدران.. استغفر ربه من أفكاره السوداء المضطربة الملحدة.. وأغمض عينيه وكانت قطرة الدواء تحرق عدسة العين.. لم هذا العالم يطعنه؟.. يقتلعه من جذوره بلا شفقة.. يحرمه من عينيه وطفولته وشبابه؟ .. الفراغ يحيط به من جوانبه عدا تداعيات وذكريات مبهمة غامضة .. لا يستطيع تحديد بواعثها.. يبتلعه ثم يلفظه وحيداً.. أصوات السيارات تئن، ونساء يتلوين على أنغام «خوليو» . ريح شمالية عاصفة تقتلعه من رصيف الشارع فيفرش جريدة ويجلس عليها أمام المسرح البلدي.. ترتجف أوراق الأشجار وتعانق أمها باكية .. تهتز الفنادق العالية أمامه.. يحس أنها تميل تدريجياً.. وبعد قليل ستسقط كلها دفعة واحدة على رأسه. لا شك، أنا وحيد منبوذ .. من يقول عكس ذلك مخطىء.. وتأمل نفسه والناس .وقال: يبدو أن لي خلاناً وأحبة وشيوخاً ومريدين منهم وتؤلمهم عيونهم مثلي.. ارتجفت عينه طالبة قطارة الدواء.. يبدو أن الدواء غير ناجع في حالات تراكم الملح.. شكر الله .. توسل رافعاً يديه: رب اغفر لي ولأجدادي ومشايخي يا تواب يا رحيم.. تحسس عينيه.. باغته الفرح.. ستدمعان دموعاً ساخنة.. رفع يده إلى وجهه ليتأكد، لكن الدمعة لم تسقط.. قلما تسقط من عينيه.. فالملاحات التي تحاصر البؤبؤ سرعان ما تمتص الدمع، وتنقله إلى شغاف القلب.

ورث عادة الملاحات واللابكاء عن أبيه الذي أحبه وتخاصم معه كثيراً حول الجواري والنساء والسرو والأرض، ومحي الدين بن العربي والحلاج.. ما شاهده مرة يبكي.. كانت جواريه ونساؤه العشرون بما فيهن من مطلقات وحرائر لا يزلن تحت ظله، وأمه معهن يغسلن كآبته وهمومه بضفائرهن الطويلة وأجسادهن المصقولة كأعمدة رخام.. منذ سنين خلت رآه باهت الوجه عندما فقد أخاه وأحد جواريه في حادث سيارة.. كيف له أن يعزيه بوفاة عمه وخالته الجارية؟. لا يدري ماذا قال في تلك اللحظة الراعفة .. بدأ لسانه وقد حاصرته تأتأة وذهول.. ومع ذلك تقتضي اللياقات أن ينسى الفرد حساسيته التقليدية وخصوماته حين يحضر الموت والسيف وهامات الأجداد وخيولهم المغبرة .. ودّ أن يقول شيئاً ما، وكان يعرف مسبقاً أنه لا قيمة لما سيقوله.. تقدم وسط جمهور المعزيين.. سلّم عليه.. قبّل يده، وقال بصوت مكسور: العوض في سلامتك.. رحم الله عمي وخالتي: ثم تراجع بحياء..

وفي المساء قال الرجل لزوجته: ولدك الجاحد عزاني.. يبدو أن الله سيهديه.. وقالت المرأة: بحق سيدي ومولاي «خضر الأخضر» أن يصلح بينكما.. يا رجل نحن على أبواب آخرة, والدنيا دار فناء. صالحه .. لا تدعه يطفش.. ولم يتجاوز الأسبوع حتى تزوج جارية جديدة وكتب لها مهراً عشرين فداناً وشقة جديدة.

وطفش الولد الصائع الجاحد.. محتضناً أملاح عينيه.. وصباباته المغدورة وبحره ونخيله وزوادة من خبز ذرة أسمر وسلسال ذهب أهدته له صديقته المعلمة قائلة: الغربة كربة.. خبّئه ليومك الأسود.. وأتى اليوم الأسود والأغبر.. وباع السلسال في أسواق البزّ والنساء ، وانتهت زوادة الذرة.. وعلق مكان السلسال المباع عيني صديقته، ورمشها ووداعة أمه وصفاء عينيها.. وخيبتها.. ونكران الخلان والأحبة والأقارب وخطيبته التي تزوجت بعد شهر من أطول سماسرة المدينة.. وطفش.. ولا يعرف كم تطول طفشته.. وغزا عينيه ملح البحر وغبار الدروب والبطالة في

بـلاد الله الخيّـرة ومقاهـي وأرصفـة الدرجـة العاشـرة.

- ٢ -

عندمـا تسـلم برقيـة بضـرورة الحضـور الفـوري.. اسـتدان ثمـن التذكـرة.. وسـافر علـى طائـرة «سـوبر كارافيـل» .. كانـت طـول الطريـق ترتجـف وقـد أحاطتهـا غيـوم سـوداء.. أمّـا المضيفـة الشـابة فقـد كانـت تطمئـن الـركاب وتقـدم لهم أقـداح الخمر الحلـو وزجاجات البيـرة المثلجـة.

ـ من فضلك يا آنسة كأس ويسكي.

ـ بـاردون.. سـي فينـيٍ.. هـل تشـرب «أولـد برانـدي»؟.. قبـض الـكأس.. كانـت علقمـاً.. «برانـدي مـرة» .. وتأمـل الأراضـي الفسـيحة والقـرى التـي تهجـع تحت سـماء الـرب العريضـة.. والغيوم السـوداء مـن النافـذة.. وسـرعان مـا شـعر بانقبـاض حـاد.. أحاطـه هاجـس.. قريبـاً تلتهمـه هـذه السـحب والطائـرة.. أغمـض عينيـه وكانـت ذرّات الملـح تخدشـهما، وأفـرغ قطـارة الـدواء فيهمـا.. ودعـا الله: يـارب.. لا تأخـذ عبـدك الطافـش قبـل أن يـرى أمـه الجاريـة مـرة واحـدة.. يـا رب وبعـد ذلـك لا يهـمّ المـوت.. وتحسـس موضـع سلسـال صديقتـه المعلمـة.. همـس خافـت موشـى بذكريـات حـب قديمـة يرقـد مكانـه.. إذا سـقطت الآن.. مرابـط خيلنـا فـوق أثينـا.. وكيـف سـينقلون هـذه الجثـة، مـن سـيعرفني؟ وكيـف ستسـتقبل أمـه ولدهـا الحلـم الطافـش أبـداً؟..

وبحركـة عصبيـة ضغـط الـزر الأبيـض فـوق رأسـه.. حضـرت المضيفـة الشـابة.. قذفتـه بابتسـامة سـريعة وببعـض مفـردات اللغـة الباريسـية بغنتهـا.

لم يكن يعرف ماذا يريد.. ولماذا دعاها.

ـ هل لك أن تجلسي قليلاً؟. أرجوك.

تأملتـه.. حالـة حصـار أسـود يغطـي ملاحـات عينيـه.. جلسـت.. قـدم لهـا سـيجارة «إلهـام» الجزائريـة.

قالت: أنا لا أشرب إلاّ المارلبورو الأبيض.. لتكن أمه.. أخته.. صديقته.. امرأة رقيقة نبيلة من هذا العالمِ الموحش الشاسع.. طالما أن العاصفة ستلتهم هذه الطائرة قريباً ولن يشاهد أمه أبداً ولا أقرباءه الشامتين.. وطالما وهذه المضيفة سيسقطان جثتين فوق مدينة الأباطرة والحكمة.. لتكن والدته لدقائق معدودة.. يعانقها العناق الأبدي.. آخر أنثى يدغدغ مسكوناً بالرهبة يديها الناعمتين، وحلمة عينيها.

ـ من أين الآنسة؟

ـ من سيدي بلعباس.. ياخويا.

ـ .....

ـ أتعرف سيدي بلعباس؟

ـ جيداً.. من أي الأحياء؟

ـ من «فيلاج تيار»*

«فيلاج تيار» ... يا لله ما أبدع المصادفات التي تأتي هكذا فجأة كما ملح البحر، وماء المطر .. فيلاج تيار زهرة البنفسج.. واحة الظامئين المعطاءة.. السنونوة المعانقة خمائل الله وغدرانه.. البحر والجدول النهر.. والسماء الصافية والزرقة وشجيرات البرتقال الأليفة التي تحتضن أسطحة المنازل القرميدية .. والنوارس المغتربة.

ـ إذاً .. أنت من «فيلاج تيار».

ـ لماذا اضطربت؟ وتعرف «فلاج تيار» أيضاً؟ يالعفريتت.

ـ كما العصفور عشه يعرف، وكما الوردة أكمامها.

ـ آه.. يادين الرب.. ياالكلوشار، يالعاشق. فضحتك.

ـ من تعرف في «فيلاج تيار»؟ (*)

ـ لي بعض الأصدقاء.

ـ هيا قل لي.. لا تكذب.. هل أعجبتك نساء سيدي بلعباس ... آه.. يالحلوف أنت تذهب إلى سيدي بلعباس.

وقالت الفتاة بشكل عفوي: سيدي بلعباس مدينة النساء، والمجاهدين، والبرتقال، والراقصات الفاتنات العاشقات اللواتي لا يخلصن لرجل في العالم كله أيضاً، مدينتي وأعرفها أكثر منك.

وأحس أن هذه المرأة التي تتحدث عن مدينتها بهذا السيلان، تفجأ حبه وعشقه للمدينة. وقال لها: أنت تظلمين الناس وصفاء المدينة. أرجوك أن لا تتحدثي عن مدينة أعشقها حتى الثمالة بهذه الطريقة الفجائعية.

ـ أي صفاء هذا.. ياولدي.. مامعنى أن يحب غريب مثلك سيدي بلعباس.. أنت عاشق للبورديلات السرية .. آه يا لحلوف.

وأقسم لها برأس والدها بأنه لا يعرف أن في المدينة بيتاً واحداً للدعارة وقال لها:

ـ هل لك أم؟..

ـ في فرنسا تزوجت من فرنسي بعد أن مات والدي.

ـ هل تريدين أن تكوني أمي؟.

ـ «وقيلا أنت أحمق» (*) .. أنت أكبر مني أليس لك أم؟

ـ لم أشاهدها منذ زمن .. مريضة في المطار تنتظرني.. لكن الطائرة لن تصل.. انظري الغيوم تفترسها.. قريباً ونسقط معاً هنا، أيتها المرأة فاتحة النهايات والبوابات وأسرار سيدي العباس.

ـ آه يا ميمتي.. «فال الله ولا فالك ياشيخ».. أبعد هذا الوسواس أرعبتني، سأصحبك الى سيدي بلعباس (*) تتخذ خليلة ، وأما، وستعرف أني لا أكذب عليك.

وهي تتأمل عينيه الغارقتين بالترحال والكآبة، وجسده النحيل، والشيب المفترس مساحات الرأس، وشعوره بأن الطائرة ستسقط

قالت له:

ـ وكل الله.. اقرأ الفاتحة والكرسي ويس.. أكيد أنت شربت أكثر من اللازم.. هات الكأس. وربتت مكفهرة على كتفه، ونهضت لتقدم زجاجة لأحد الركاب الذي أصرّ على إحضارها في الحين.

ـ ٣ ـ

لا يزال يفترش درجات المسرح البلدي.. يتزاحم الناس... يركضون كلما لاحت حافلات الوردية وسيدي بوسعيد.. ولكنهم سرعان ما يعودون لإأخذ مواقعهم.. سيدات بشعور سوداء طويلة لا ينتظرن أحداً ولا يصعدن الحافلة.. ولا يعرف لماذا ينتظرن.. منذ ساعة وهو يراقبهن. بدون كتماثيل رخامية وهن يسندن جدران المسرح البلدي.. لكي لا يفكر بالسقوط.. مرت أمامه فتاة ترتدي سروال جينز، بدا صدرها نافراً ولأول مرة يشاهد صدر امرأة يصدم الريح والضباب والسيارت والمقاهي ولا يخاف رجال الشرطة: وتذكر مقطعاً من أغنية عربية :

«ياناس.. قولوا لبويا.. كبر نهدي.. شق ثوبي.. ياطول وجدي من رقادي وحدي».

نهدها يتشامخ كالعمّ «سام» .. وكأدغال أفريقيا السمراء.. يا ناس زوّجوها فالأرق يقتلعها.. وهذا النهد المشاكس سيشق الثوب وأشياء أخرى إن لم يجد من يضمّخه بالغار وتوابل الأجداد.

يقابله فندق «ميريديان» منتصباً كتنين صاعد من البحر الأسود المتوسط.. ويجاوره البنك العربي الدولي. عبثاً يحاول عدّ طبقات الفندق، فالملح كثيراً ما يمنع مساحات بصره من الرؤيا.. لكن عينيه تزوغان في اتجاهات أخرى.

في أحد الطوابق القريبة امرأة تراقب الشارع.. تأكد أن صدرها عار... لكنه لا يستطيع التأكد فيما إذا كانت جميلة أم لا.. وقدّر المسافة بينهما.. لاشك أنها سنة ضوئية من الأحلام والمنى التي تؤرقه في أحيان كثيرة.. وتساءل: من يرقد الليلة فارداً جوعه

وفحيحه في سريرها.. من هذا القادم من بوابات الصحراء التاريخية، سابحاً فوق بحر من الذهب، والذي سيعطيها شيكاً مصرفياً دولياً تذهب به ذات يوم إلى البنك العربي للانماء والتعمير لتصرفه؟. ما أكثر مصائب العرب.. أموالهم تضيع وتسافر بين أفخاذهم وأكفالهم.

لماذا لا نبني اقتصاد الأمة ونعيد مجدها الغابر، ونصقل سيوف الأجداد. لا تزال هذه الأرض تحتفظ بإمكانات هائلة للأبناء؟.

كمن يلقي خطبة في الوطنية والصراع الطبقي وظروف القهر.. أحسّ برغبة في التقيؤ.. ما أسخفني من سياسي مبتدئ .. يتعلم كيف يتقن فن المزاودة.. لو كنت رجل سلطة كبيرا لرفعت راياتي البيضاء، وحجزت غرفة في طابقها، ولرشوت موظف الاستقبالات وعامل التنظيفات كي يساعداني، ولا يبوحا بسري, ولذهبت فارداً قلبي وسلطتي وهمومي أمام فخذيها الناعسين وجياد شعبي وخيراته.

- ٤ -

تذكّر مرّة وعندما كان طالباً يشترك في المظاهرات الثورية والتقدمية.. أنه فكّر بالانخراط في أحد الأحزاب السياسية ، دافع غريب مجنون أشعله.. هذيانات عامة، وساوس بالثورة والعدل والآفاق المفتوحة.. فتقدّم بطلب كتب عليه: لي الشرف أن أحظى بقبولي عضواً في حزبكم الطليعي وتابع، ووقع في نهاية الطلب. وبعد عدة اجتماعات تبين أن مسؤوله المباشر والذي لا يزال في خطواته الأولى باتجاه الثورة.. والذي ما فتئ يصرخ راسماً آفاقاً واسعة لدولة علمانية عريضة تقوم على العدل والمساواة.. وأشياء أخرى لم يستوعبها بعد، هو من كبار تجار المدينة ولصوصها المحتالين .. وله أسهم مهمة في شركة «شفروليه» المحدودة المغفلة لبيع السيارات واستيرادها وله أسهم أخرى في أحدث مشروع سياحي لإنشاء مدينة يؤمها الأوربيون، لينعموا بالشمس والدفء والبحر والخمور الوطنية والأجساد المحلية والضيافة العربية التقليدية وله أرصدة في

البنـوك، وتبيّـن لـه أن ثـلاث رخـص لشـراء الغـاز وبيعـه باسـم زوجتـه سـليلة السـيوف التاريخيـة وتجـار الحريـر، وأن ابنتـه المحروسـة «كارمـن» لا تذهـب إلـى ثانويتهـا إلا بمرافقـة سـيارة خاصـة مـع سـائق وحـارس وكلـب «سـلوقي». وتذكّـر فجـأة وهـو يتأمـل الفنـدق المتشـامخ خطابـاً ألقـاه أحـد القـادة السـابقين : لعنـه الله علـى مـن يمـدّ رجلـه إلـى رجـل آخـر مثلـه وربمـا أفضـل منـه ليمسـح حـذاءه (*). لقـد أصبحـت مدننـا الأثريـة الطحلبيـة غاصّـة بماسـحي الأحذيـة مـن مختلـف الأعمـار وتذكـر... وتذكـر . ياسـيد الخطبـاء.. أمّـا مـن خطـاب آخـر؟

- ٥ -

شـابة راعشـة العينيـن تتهـادى كصيـف إفريقـي وكريـاح الشـمال سـاعة يعربـد البحـر لافظـاً أبنـاءه وأحبتـه.. مرفـوع ثوبهـا إلـى أعلـى ركبتيهـا.. تتقدم بأنـاة. ظـنّ أنهـا قائـد فيلـق عسـكري يخطـط لمعركـة بعـد عنـاء يـوم شـاق مـن التدريـب والمنـاورات .. أحّـس برغبـة عميقـة لدعوتهـا إلـى كأس بيـرة فـي مقهـى «باريـس» .. ولـو أنّ فـي ذلـك مخاطـرة . كان يعلـم أن الجنـرالات العسـكرية لا تشـرب البيـرة فـي المقاهـي العامـة، فشـرف الوطـن والجيـش، أن يشـرب قادتـه فـي نـوادٍ خاصـة وفضـاءات حمـراء وخضـراء مغلقـة تشـحذ الذاكـرة وتنقيهـا ، حتـى يسـتطيعوا العمـل بإخـلاص ووطنيـة بعيـداً عـن الرعـاع والهمـج والطبقـات الدنيـا التـي لا تعـرف كيـف تقـدّر عظماءهـا التاريخييـن.. فكّـر بدعوتهـا ثـم رجائهـا أن تسـحب أسـلحتها الفتاكـة, وتؤجّـل اسـتعمالها لوقـت آخـر.. تحسـس جيوبـه بأصابـع مرتعشـة.. لـم يجـد المبلـغ الكافـي، قـد تطلـب أكثـر مـن زجاجـة.. وهنـا تكـون المصيبـة.. تركهـا.. ابتعـدت تهتـزّ بتناسـق، وخطـوات عسـكرية متزنـة علـى أنغـام صالـة «ميرديـان» «يـا أرض اشـتدي مـا حـدا قـدي».

صـوت زميلـه كمـال الشـايب ،هـذه الواحـة الخضـراء المضيئـة مـن طبرقـة حتـى جندوبـة، والـذي ينتظـره منـذ أكثـر مـن سـاعة ونصـف يخطفـه مـن ذكرياتـه المتداخلـة.

ـ آسف لتأخري عليك.. أنت تعب وقلق .. تعال أنعش روحك الظامئة.. وخذ زجاجتين من «سلتيا «(*).

نهضا مسرعين.. سارا باتجاه حانة تربض كسروة في إحدى الزوايا، وترصد الناس والفضاء الرحب وطيور المساء التونسي.. غابا بين جموع السكارى وكانت لوحات سريالية تثقب تداعيات أفكاره وألم عينيه وبحرهما، وطفشه الدائم.أمّا الموسيقى في نادي «الميرديان» فقد كانت تعلو مبتهجة معلنة رحلتها صوب القامات الممشوقة والعيون الخضراء وجنرالات الجيش الشرفاء الذين عرفوا بتذوقهم للموسيقى الشفافة، وللجمال الساحر والمؤخرات الناعسة.

كتبت هذه القصة في تونس العاصمة- فندق سيدي بلحسن

إشارات

فيلاج تيار : أحد الأحياء الجميلة في مدينة سيدي بلعباس الجزائرية التي تقع في الغرب الجزائري.

وقيلا أنت أحمق : ربّما أنت أحمق .

- هذا المقطع من خطاب ألقاه الرئيس الجزائري الأسبق أحمد بن بلة .
- سلتيا : نوع من البيرة التونسية.

عيون القلب

ليلى مهيدرة - المغرب

أحتضن الفلسطيني ذو الخمسين عاما عوده كطفل صغير وراح يدندن وعيناه مغمضتان حتى خلته لم يلمح وجودي وأنا المتطفلة التي قررت أن تجلس بمجلسه اليوم دون إذن مسبق . كانت عيناي تفترسان كل شيء ، أناقته المتناهية ومكتبه وكل الخلفية حتى باغتني بالسؤال:

- لمن تحبين أن تسمعي ؟

أجبت ودون تفكير:

- نجاة

ابتسم للاسم ثم نظر إلي بعينين فاحصتين وقال

- آه من عيون القلب

ثم قهقه عاليا ،ربما لأنه لمح بعض الخجل المرتبك في نظراتي وراح يغني بانسجام تام

(انت تقول وتمشي

وانا اسهر منامشي

يا لي ما بتسهرشي

ليلة يا حبيبي)

بقدر حبي للأغنية إلا ووجدتني أحس بتناقض تام ، فكيف لهذا الفلسطيني ،الذي عاش عمره تحت وطأة الاحتلال أن يتصرف بكل هذا الهدوء وان يكون بهذه الأناقة وان يعيش مع كلماتها . لم تكن الأغنية إلا خلفية موسيقية للصخب بداخلي فلم استمتع بها كما افعل كل مرة وإنما أغمضت عيني فتراءت لي مشاهد تعودتها لذلك الصراع اليومي في القدس إلا أن كسر المشهد فلسطيني مغترب ، قال:

لـم لا نقيـم يومـا فلسـطينيا نناقـش فيـه القضيـة و نسـتمع للاغانـي الفلسـطينية؟

كلامـه أعـاد بعـض التـوازن فـي فكـري أيقظ حماسـة تنتفض بداخلي كلمـا طـرح الأمـر ، كانـت دندنـات العـود تخفـت قليـلا وكأنـه يعلـن استسـلامه للقـرار ، لكـن الأمـر لـم يكـن كمـا توقعـت

- عمـا سـنتكلم ؟ عـن التطبيـع ؟ عـن المسـتوطنات ؟ عـن مـاذا سـنتكلم ؟هـل تغيـر شـيء لنتكلـم عنـه؟

الكلام أخرسنا جميعا ، صمتنا لبرهة ثم أردف:

:- مـا تغيـر شـيء. المفاوضـات كمـا هـي وفـي كل مـرة نجلـس مـع العـدو يقـول لنـا

هذا لنا وهذا ليس لكم

هذا لنا وهذا ليس لكم

هذا لنا وهذا ليس لكم

وبعـد أن يأخـذ مـن بلادنـا الكثيـر يعـود لقطعـة صغيـرة فيقـول: هـذا لنـا وهـذا لكـم ، فنفـرح كالصغـار ونقـول أحرزنـا تطـورا فـي المفاوضـات فـي غمـرة اندهاشـي مـن رده وبالمـرارة التي تجسـدت بصوتـه رأيتـه يلتفـت إلـي ويقـول:

- نجاة صح

ثم بدا يغني من جديد

(انت تقول وتمشي

وانا اسهر منامشي

يالي ما بتسهرشي

ليلة يا حبيبي)

ساعتها فقط أيقنت أن نجاة لم تكن تغني إلا عن فلسطين

حارسة البوابة
تماضر الطاهر- السودان

«قال لنا المالك وهو يهرول مبتعداً بعد أن سلمنا مفاتيح المنزل: إياكم أن تقطعوا هذه الشجرة».

****

اضطرت أسرتي للانتقال إلى منزل صغير في الحي القديم ، استأجره والدي من مالكه صاحب الطاحونة. وقد كانت قيمة أجرته المنخفضة مثيرة للدهشة في هذا الزمن، لكنها تعتبر منطقية بحسب حالة المنزل التي شهدناها.

بدا لنا للوهلة الأولى مثل بيت أثري، تتدلى من سقفه خيوط العنكبوت، وعلى جدرانه الداخلية طبقة سميكة من الغبار تقول للناظر إليها إياك ان تحلم برؤية لون الطلاء.

كانت أطنان الأتربة المتراكمة في كل ارجائه تدل دون أدنى شك على أنه منزل مهجور، لم تسكنه روح إنسان ، أو تطأ أرضه أقدام البشر منذ سنوات طويلة، أو ربما منذ تشييده.

تصلبت أبواب الغرف والشبابيك لطول أمد إغلاقها ، فتحها مالك المنزل بصعوبة، وبقي بالخارج وتركنا لنتفقدها وحدنا.

يتكون المنزل من غرفة وصالون ومطبخ وحمام، و(عريشة) شيدت في الفناء أو (الحوش)، نسجت أخشابها بعناية تحت شجرة (الدوم) ، وقد رصفت ارضيتها - دون قصد- بثمار الدوم الصغيرة، التي تساقطت عبر فتحات السقف قبل اكتمال نموها، وتلونت بلونها البني الشاحب، فصارت أشبه بآثار بقع جلدية داكنة، انطفات على خدٍ فقير لم تتمكن صاحبته من معالجتها.

ثلاثة أسرة خشبية قديمة، منضدة مستديرة حولها عدد من(البنابر)، و(زير) كبير وضع على قاعدة حديدية متينة، وجهاز (راديو)، ملأت بها والدتي أجزاء من مساحة العريشة.

نجحت محاولاتنا في إحياء المنزل بعد مرور أيام مضنية من العمل على ترميمه ونظافته وفرشه ، وقد كان لنا في العريشة بعد ترتيبها خير مستقر ومتكأ.

مضى أسبوع كامل على انتقالنا للمنزل دون أن يطرق بابنا أحد من الجيران على غير العادة في الأحياء الشعبية، فقررت والدتي ان تلقي عليهم التحية عندما تخرج صباحاً لشراء احتياجات المنزل.

حملت والدتي (قفتها) وخرجت للسوق القديم، واختارت في طريقها أقرب الأبواب إلينا، طرقت الباب وانتظرت قليلاً، أتاها صوت أمراة من الداخل يستعلم عن الطارق، فاجابت (انا انوار جارتكم الجديدة)، فانتظرت وانتظرت ولم يفتح لها احد.

أحست والدتي بانقباض وإحراج وحزن، ماذا هناك؟ ولماذا كل هذا الجفاء أو لنقل العداء.

لكنها لم تخبرنا بما حدث معها إلا بعد ان تكرر الأمر مع جارة اخرى، وثالثة ركضت خوفاً ورفضت مصافحتها.

كان التقصي عن المنزل، وجمع المعلومات عنه، اصعب واشق من تلك المواقف المحرجة التي قابلت والدتي، وقد كان شقيقي الاكبر اوفر حظاً مني، لما سمعه من (المكوجي) الذي يقع دكانه على ناصية الشارع المؤدي للسوق.

قال له : يقال ان بوابة لمملكة الجن تقع تحت شجرة (الدوم) وتحرسها قطة سوداء ، وهي تفتح على فترات متباعدة، فتصيب أهل المنزل ومن يصادقهم بالجنون وبعض الأحوال الغريبة والمخيفة إن قاموا بقطع الشجرة او إحراقها او إهمالها.

أما المعلومة التي عثرتُ عليها، فقد كانت مختلفة تماماً، لكنها تتعلق أيضاً بشجرة (الدوم).

قال لي (غفير) المدرسة « ان سيدة كانت تسكن ذلك المنزل قبل مائة عام، قامت بذبح قطة سوداء، ودفنها في (حوش) المنزل، فنبتت مكانها شجرة (الدوم)، وهي تعود مع اكتمال القمر لتنتقم

من سكان المنزل ومن يصادقهم من الجيران.

اما بائعة (الدكوة) التي تجلس أمام المخبز، فقد قالت لوالدتي إن اصحاب المنزل(بعاعيت) من (ترب البنية) الذين اشتهروا بالعودة للحياة بعد الموت، ويقال ان لهم كنز مدفون تحت شجرة (الدوم) . قصص مختلفة ومرعبة حول المنزل، ضحك عند سماعها والدي وسخر شقيقي، والتصقت شقيقتي بوالدتي وهي فزعة، وعندما التقت انظارنا أنا ووالدتي، شعرت بالخطر، واجتاحت حلقي مرارة (الملاريا)، وايقنت أن الأمر جد خطير.

غاب الشعور بالاستقرار الذي نعمنا به في الأسبوع الاول من انتقالنا لهذا المنزل، وفارق النوم عينيِ وعين والدتي، وصار المقيل في تلك العريشة صعب جداً علىِ والدتي، التي كنا نتركها وحيدة بالمنزل بينما نذهب جميعاً للعمل.

تحدثت والدتي عن خوفها من تلك القصص، وقد بدأت شكوكها تتحول إلى يقين منذ ذلك اليوم الذي استيقظنا فيه على صراخها.

بعد ان سمعت صوت سيدة في منتصف الليل تناديها (يا أنوار أحرسي الشجرة) وعندما نظرت باتجاه الصوت، رأت قطة سوداء تقف تحت شجرة (الدوم).

كانت أمي تصرخ وتطلب منا مغادرة المنزل فوراً كلما اكتمل القمر، لكنها تعود لطبيعتها في بقية الأيام.

تغيب صاحب المنزل ثلاثة أشهر عن الحضورٍ لأخذ قيمة الإيجار، فقرر والدي أن نذهب انا وشقيقي-صباحاً- للطاحونة لنعطيه ماله، ونسأله عن حقيقة الأمر.

ذهبت برفقة شقيقي ، وعند وصولنا لطاحونته، وجدنا بابها وقد أغلق بواسطة أقفال ثقال.

سألنا عنه صاحب الدكان المقابل للطاحونة، فقال لنا: رحم الله الرجل الطيب، فقد توفي منذ سنوات طويلة،

تفضلوا هل أنتم أبناء حفيدته المرحومة (أنوار)؟.

وللمهمّشين نصيبهم من الحياة

فتحي البوكاري- تونس

عند بزوغ فجر هذا اليوم الصيفي، الذي ظهرت فيه سحابة رماديّة موحشة ورياح هائجة مزعجة اهتزّت لها الأرض غبارا وأتربة، ابتعد «مصطفى حليلة» مسافة طويلة عن الحيّ الذي يقطنه في منطقة سيدي حسين وتوقّف في إحدى الطرقات الفرعية على أطراف سبخة السيجومي، حيث لاح له الطريق السيّارة المؤدّية لأحياء المروج وبن عروس كحزام يطوّق البحيّرة ويحضن أسراب طيور النحام الورديّ المهاجرة.

التفت «مصطفى حليلة» يمنة ويسرة ولمّا تأكّد من خلوّ الطريق من النّاس سحب الكمّامة من جيب سرواله، ووضعها قناعا على وجهه لإخفاء ملامحه وسحب كيس قمامة عملاقة من جيبه الخلفي ثمّ واصل سيره إلى غايته.

انطلق كمقاتل النينجا مع حافة الطريق السيّارة، متدثرا بثوبه الفضفاض، متنقّلا من حاشية إلى أخرى يجمع قوارير البلاستيك التي ألقاها أصحابها من نوافذ سيّاراتهم المرفهة بعد أن أفرغوا ما فيها في بطونهم الضخمة، يضغط عليها بكفّي يديه ككلاّب متين لتقليص حجمها ويقذف بها مكوّرة في الكيس الأسود، ثمّ يرفع الحمل كلّه إلى ظهره، ويواصل سيره بحثا عن المزيد.

قبل أن يبلغ محطّة شال المشيّدة حديثا، انحاز إلى جهة اليسار، مبتعدا عن المحطّة وهو يتظاهر بالتفرّج على طيور الفلامينغو الورديّة وأسراب البطّ والغرنوق تسبح بالقرب من منفذ لمياه الصرف الصحّي وتقتات من النفايات المنزليّة.

قال متفكّرا: «من أجل هذه النفايات في المنطقة الرطبة تجيء الطيور من عمق القارات لتعشّش هنا وتتكاثر، ومن أجلها يأتيها «سطوفة» من ظلمة الأحياء ليوفّر ما يجابه به المصاريف اليوميّة لأسرته. فيا ترى ما نوع النفايات التي يحرق إليها

أنـداده فـي البلـدان الغربيّـة؟ ولأيّ سـبب؟»

لـم يكـن «مصطفـى حليلـة» متقدّمـا في السـنّ كأغلب «البرباشـة» الناشـطين فـي جمـع العلـب البلاسـتيكيّة الفارغـة، فقـد كان ذا قـوّة وفتـوّة، فـي عقـده الثالـث مـن عمـره، مـارس فـي صغـره مهـن شـتّى، كان آخرهـا العمـل، لسـنوات طويلـة، بمعمـل الكابـل وصناعة ملحقـات السـيّارات المنتصـب علـى الطريـق الموازيـة الرابطـة بيـن سـيدي حسـين وفوشـانة، خلـف محطـة شـال مباشـرة.

أكثـر مـن عشـر سـنوات قضّاهـا عامـلا هنـاك قبـل أن يتـمّ الاسـتغناء عـن خدماتـه بسـبب جائحـة كورونـا، فـلا يمكـن لأيّ مؤسّسـة صناعيّـة مصـدّرة أن تسـتمرّ فـي توفيـر أجـور عمّالهـا تحـت وطـأة قـرارات الحجـر الصحّـي الشـامل التـي تفـرض عليها الغلق لأسـابيع متكـررة.

كان زمـلاؤه فـي العمـل يلقّبونـه بـ»سـطوفة الباهـي» لوسـامته ورفعـة أخلاقـه، حتّـى زوجتـه «مفيـدة»، التـي تعـرّف عليهـا هنـاك فـي المعمـل، كانـت تناديـه بهـذا اللقـب. كانـا قـد تآلفـا فحملهـا، بعـد أشـهر قليلـة، زوجـة إلـى بيـت مكتـرى، فـي أفقـر حـيّ سـكني علـى سـاحل البحيـرة المغلقـة الـذي ارتفـع فيهـا منسـوب الترسـبات فلـم تعـد قـادرة علـى اسـتيعاب أمطـار الفيضانـات، فعـادت الميـاه مرتـدّة لتغمـر الأحيـاء كلّ شـتاء، وتلـوّث محيـط المنـزل الـذي أثّثتـه «مفيـدة» بالكمبيـالات.

تشـبه هـذه الطريـق الصـراط، إذا عبـره «سـطوفة» إلـى مـا بعـد مجمّعـات الخـردة وأطنـان هيـاكل السـيّارات وبقايا الأجهـزة المنزليّة الصدئـة، ابتعـد عـن الروائـح الكريهـة وأسـراب الذبـاب والبعـوض، وإذا مـا قلّـب نظـره علـى الصـراط وجـده يفصـل مـا بيـن مظاهـر العمـران والبـداوة. فـإذا صـرف بصـره تلقـاء اليميـن شـاهد بقايـا عمليـات البنـاء والـردم تقـرض الهكتـارات المتبقّيـة مـن مسـاحة مـلاذ الطيـور الآمـن وتتوسّـع الأحيـاء السـكنيّة علـى حسـابها، وإذا صـرف بصـره ناحيـة الشـمال رأى حوضـا مائيـا بديعـا وجـزرا صغيـرة متناثـرة ومسـاحات عشـبيّة كأنّهـا باديـة قـد حطّـت عليهـا،

يومـا مـا، مضـارب البـدو، خيـام مـن الأسـمال الباليـة، وأقيمـت عليهـا مواقـد نيرانهـم.

قبـل أيّـام، كان «سـطوفة» يـرى إبلهـم ومواشـيهم ترعـى هنـاك قرب المـراح. والقـوم علـى جانـب الطريـق معصوبـيّ الـرؤوس يقفـون، كفزّاعـة الطيـور، رافعيـن أيديهـم بحليـب الإبـل والأغنـام للمـارّة، وهـا هـم قـد انتزعـوا أوتـاد خيامهـم حملوهـا مكوّمـة فـي الصناديـق الخلفيّـة لسيّاراتهم الديماكـس وارتحلـوا إلـى أرض محصـودة.

بعـد أن تجـاوز مركـز الحراسـة لإدارة الغابـات المواجـه لمفتـرق طـرق دائـري، نـزل «سـطوفة» إلـى ضفّـة السـبخة مبتعـدا عـن الطريـق، فبـدت لعينيـه مبـرك الجمـال، وآثـار الأوتـاد التـي كانـت فـي مـا مضـى تشـدّ الخيـام وتثبّـت ركائزهـا، وشـاهد رمـاد قدورهـم تفيـض علـى الأثافـي. انحنـى «سـطوفة» علـى المناصـب الحجريـة الثـلاث وأزاح عـن جانبهـا قطـع الأغصـان اليابسـة التـي غطّـى بهـا عربـة الأطفـال الخفيفـة بعـد أن طواهـا لإخفائهـا عـن الأنظـار، أخرجهـا وأعادهـا واقفـة علـى عجلاتهـا، ثـمّ جرّهـا إلـى الطريـق، ومشـى منهكـا يدفـع العربـة الصغيـرة أمامـه رغـم أنّـه مـا يـزال فـي بدايـة يومـه وأمامـه مسـافة طويلـة ليقطعهـا.

كانـت العربـة وسـيلته فـي حمـل أثقـل مـا يمكـن جمعـه، كان يتركهـا قريبـا مـن هنـا، ثـمّ يعـود إليهـا بالحمـل الـذي علـى ظهـره ليضـع الكيـس علـى مقعدهـا كأنّـه طفـل صغيـر نائـم، وفـي المسـاء، بعـد أن يبيـع محصولـه إلـى نقطـة التجميـع فـي شـارع البيئـة بالزهـور الرابـع، يعيدهـا إلـى مسـتودعها الخفـيّ، وينحـدر خفيفـا إلـى بيتـه، سـعيدا بالمـردود المالـي اليومـي الـذي كسـبه.

كانـت أجرتـه الشـهرية تعـادل أو تفـوق مـا كان يكسـبه فـي معمـل الكابـل قبـل أن يتخفـف المصنـع منـه. ليـس فقـط لأنّ نقطـة التجميـع التـي يبيعهـا «سـطوفة» حصـاد يومـه، سـخيّة جـدّا معـه، إذ تقـدّم لـه سـعرا تفاضليـا أعلـى مـن الثمـن الـذي حدّدتـه الوكالـة الوطنيّـة للتصـرّف فـي النفايـات للكيلوغـرام الواحـد، بـل أيضـا بفضـل حمّالة «الـرزن» هـذه التـي عثـر عليهـا ذات يـوم فـي مصـبّ للنفايـات مـع

أشياء أخرى جديدة لم يتوقّع من أيّ عاقل أن يرمي بمثلها في المهملات.

يومها وجد مع العربة أثاث غرفة نوم كاملة، سريرا مزدوجا من خشب الزان الأحمر مفكّك الهيكل، إلى جانب عدّة أشياء أخرى، فراش طبّي ووسادتين وأغطية فراش مطرّزة وعدد كبير من أغطية مخدّات من القماش المطرّز، وملابس نسوية ومصابيح إلكترونية ولوحات تشكيلية في أطرها، وصندوق مجوهرات، بالإضافة إلى مثلث تحذير ما يزال في قرطاسه، وقطع غيار سيّارة صالحة للاستعمال وكتب فيزياء وغيرها. ولأنّ الوضع الصحّي كان آنذاك استثنائيا، يعيش فيها البلد حالة من الرعب بسبب جائحة الوباء في موجتها الأولى، رغم أنّ الإصابات كانت وقتها قليلة تعدّ بالأصابع، والتخاطب مع النّاس يتمّ من وراء حجب، و أحيانا بواسطة الروبوت، فقد خمّن «سطوفة» أنّ صاحب هذه الأشياء هو أولى ضحايا الفيروس القاتل، عجّل أعوان الفرق الصحّيّة بالتخلّص من جثّتها بوضعها في كيس بلاستيكي ورميها في حفرة دون وداع، وعجّل أهلها بالتخلّص من أدباشها الملوّثة بأنفاسها لتجنّب انتقال العدوى.

ارتجفت يداه وهو يتذكّر كيف قلّب تلك الأشياء الموبوءة دون خوف، وضع ذات الأحجام الصغيرة في سلّة تخزين العربة تحت المقعد، وراكم بعضها فوق بعض على المقعد، ولمّا كان علي وشك أن يتحرّك من مكانه ويدفع العربة إلى الطريق، توقّفت بجانبه شاحنة ثقيلة وسأله سائقها إن كان لا يرغب في الحشيّة، فهو يحتاجها عندما يجبر على التوقّف لاستراحة تمنع عليه النوم على مقود القيادة. أشار له «سطوفة» بأخذها وابتعد.

دفن الغنيمة في إحدى زوايا البيت قبل قدوم زوجته من المعمل، لم يستخرجها إلاّ بعد مرور ساعات ظنّها مدّة كافية للقضاء على الفيروس دون تعقيم، ولم يخبر «مفيدة» عن مصدرها إلاّ تلميحا، قال: «في زمن قبيل الكورونا، كانت ممتلكات الميّت، باستثناء الملابس، تغري القريب وتصنع الضغائن، اليوم، نفثة الخوف من المجهول جعلت الأسر تفرّط في إرثها للمهمشين.»،

ولم يزد، ولم تعقّب على ما قاله، ربّما لأنّها لم تسمعه. كانت منشغلة بتقليب قشرة مخدّة في يدها، وكانت أصابعه المدرّبة تخرق العربة لتذهب عنها الأطماع، قطع حزام أمانها المبطّن الذي يثبّت الطفل ويمنعه من الانزلاق، وأتلف مظلّتها الواقية. أحزنه أن يفعل ذلك ولكن لكل غرض صورة خاصة تلائمه.

في ديسَمبر يسْتيقظُ الألم

ثورية الكور- المغرب

على صدر المكان فوق كرسي الزمن على قيد النسيان يتأمل ينتظر لم يعد يقوى على شيء

اختلط عليه وقت الفصول والساعات على قيد النسيان يستيقظ الألم ما زال يميز تلك الوجوه المتعددة بنفس الملامح مع ابتسامة صفراء وعدم الشعور بالآخر

صخب مترف وأنين ترددده تلك الجدران

التي ألفت صدى الوجع وهي تذكر كل من مرهنا

تعددت الأسباب والألم واحد كلعنة تصيب المكان

على قيد النسيان يستيقظ الألم هناك سرير شاغر في آخر القاعة جلس هناك يتفقد أشياءه

هاتفه الخلوي الذي لا يفارقه وبعض من ذاته

وهو يهمس في سره لا يمكن أن يكون ما حدث لي من القدر

يهلوس بصوت مبحوح يا إلهي الغرفة مزدحمة

لا مجال للإلتفات فات الآوان.....

على قيد النسيان يستيقظ الألم مازال يتذكر كل شيء ولا يذكر أي شيء ..وهو يتمتم أنا لم أعد أنا حتى اسمي بالكاد أتذكره... واعرفني ملامحي لم تعد تشبهني.....

وها انا أهذي بيني وبين نفسي..لا أحد يسمعني إلا الوسادة

مثقل الرأس فوقها الباب مغلق والستائر مسدلة

ولا صوت سوى صدى الأنين المتردد بركن الغرفة

ووقع لأقدام في ذاك الممر وكأنها لطيف ينتابني شعور بالخوف

...أحتـاج لحضـن أمـي لأشـعر بالأمان

أجـل هكـذا نحـن البشـر مهمـا كبرنـا نظـل نحمـل بقلـب كل منـا طفـل علـى قيـد النسـيان يسـتيقظ الألـم لا شـيء يلفـت انتباهـه

سوى وجه هؤلاء الذين يرتدون تلك البذلة البيضاء

يعتقـد أن خلاصـه بيـن أيديهـم ولأنـه وصـل متأخـرا فهـو مـادة ثريـة ليلطخـوا أقمصتهـم بعـد ممارسـة نجاحهـم الفاشـل

وهو يتألم بما يكفي يعي أن قدميه لن تحملاه ثانية

لقـد اكتفـى مـن صفعـات الحيـاة استسـلم أخيـرا وهـو يبتسـم باكيـا دمعـة ودمعتـان مـع حشـرجة فـي الحلـق

وهاهم يلتفون حوله ليلتقطوا صورة لأجلهم .

التغريبة الهلالية.. (ظفر نعام)

ليلى تباني - الجزائر

.

كان الشيخ غانم هلاليا أصيلا، وهو شيخ قبيلة ضاربة بخيامها في منطقة «بوسعادة» وكان متزوّجا من بربرية شاوية وله معها ابن وحيد اسمه «ذياب» أنْجَبه عن كِبَر.

في يوم من الأيام بينما كان ذياب يلعب خارج خيمة والده، فإذا برَجُلين بَرْبَرِيَيْن يتَسَلّلان إلى القبيلة ويختطفانه ويفرّان به. تعالت صرخات الطفل فرآهما بعض من أهل القبيلة، فسارعوا مباشرة الى والده الشيخ غانم يخبرونه بالأمر. امتطى جواده وانطلق يقتفي أثرهم مستشيرا كل من رأى في طريقه من رعاة إبل وأولاد لكنّه لم يجد له أثرا فرجع الى قبيلته مهموما حزينا والتف حوله رجال قبيلته وقرروا مساعدته في البحث وانطلقوا في الصباح الباكر وتفرقوا ضاربين في السباريت، وكلّما تصادفوا بقبيلة نزلوا فيها على أنّهم ضيوف وجاسوا أخبارها وفتّشوا عن الطّفل فيها، ظلوا على تلك الحال أكثر من شهرين إلى أن عثروا عليه في إحدى القبائل لكن سارقه أصر على الافتراء ونسَب الطّفل له، كان هناك خلاف كبير بين البربر أصحاب الأرض الحقيقيين، وبين قبائل بني هلال العربية الدّخيلة، إذ كانت تندلع الحروب بينهم لأبسط الأسباب لذلك آثر الشيخ غانم وقد كان لوذعيا حكيما على التعامل مع الأمر بحكمة ورويّة فعرض على الرجل بأن يحتكما إلى جمع من رجال قبيلته البربرية فلم يجد الرجل سارق الطفل بدّا من التهرب سوى القبول ظنّا منه أن رجال قبيلته سيقفون في صفّه.

اجتمع رجال القبيلة وقالوا للشيخ غانم أثبت أنّه ولدك فقال لهم: اتركوه بعيدا يلعب مع أقرانه من أطفالكم وأعطوا لكل طفل عودا وانظروا كيف يتصرف ففعلوا ما اقترحه عليهم، فإذا بأطفالهم يتّخذون من العيدان عصيا ويشيرون بها كأنّهم يهشون

على غنم أو ابل ويُصدِرون أصوات الرّعاة على طريقة أهاليهم بينما أخذ ذياب عوده وتمطاه وركض به كما اعتاد أن يفعل مع والده وأهل قبيلته من الرّجال فصاح الشّيخ غانم ما تقولون يا رجال؟ أليس هذا الطفل هِلاليا؟ ثم قال لهم لايزال هناك دليل آخر على أنّ الطفل ابني فنادوه هو وطفل آخر من أولادكم ـــ وكان الهلاليون يشتهرون بطلاقة اللّسان والفصاحة على عكس البربر الذين كانت لغتهم هجينة بين رطانة لغتهم الأصلية والعربية الدّخيلة بعد إسلامهم ـــ فأتَوا له بالطّفلين وكان ذياب حينها بالكاد ابن أربع سنوات، فقال لأحدهما: اسألوا الطفلين السؤالين التاليين: علاه راسك كبير؟ علاه رجليك عوجين؟ فسُئل الطفل البربري فلم يَنبُس ببنت شفة، ثم جاء دور ذياب فسُئل: علاه راسك كبير؟ فأجاب بكل طلاقة وبديهة: من الرأي والتدبير. علاه ساقين عوجين؟ فقال لهم: من ركوب الخيل. إثرها حكم الرّجال بأنّ الطفل هلاليا وسلّموه لوالده.

ترعرع ذياب وسط أهل قبيلته وعكِف والده على تعليمه الفروسية والضرب بالسّيف وعادات العرب الأصيلة، وأنشأه على الشّجاعة والإقدام وضرورة الذّود عن قبيلته وأهله، فرغم حبِّه الشّديد له إلاّ أنّه كان يتعمَّد استخدام القسوة والصّرامة معه، بينما كانت أمّه «ظفر نعام» تحرص على تدليله وتبالغ في الخوف عليه، خاصة وأنّه وحيدُها وكانت تفعل ذلك من وراء ظهر زوجها.

شبّ الولد ذياب واخضرّ ربيع عَذاره وفُتِلت عضلاتُه وصَحُلَت حنجرته، فأصبح من الواجب عليه مغادرة القبيلة وتدبير شُؤونِه وجَلب رزقه بنفسه وحراسة حمى القبيلة والذود عنها، حسب ما تقتضيه أعراف العرب آنذاك.

فزاد همّ والدتِه «ظفر نعام» وأشفقت على ابنها الوحيد، ولم يهنِ عليها خروجَه إلى القفار مكابدا خطر قطّاع الطرق والأعداء من البربر. فجمعت أغراضه في رزمة وزاده في مكتل، وطلبت منه الذهاب إلى خالِه بضْع سنوات أخرى حتى يكبر أكثر ويصبح أكثر قدرة على تحمل المشاق. خرج ذياب

من قبيلته واتجه إلى قبيلة خاله الذي استقبله وأصبح يصطحبه معه يوميا لرعي الإبل والغنم إلى أن اعتاد على حياة الرعي فأصبح يتولى المهمة بنفسه.

كانت علامات الحيرة والقلق والخوف تبدو على «ظفر نعام»، كيف لا وقد دفعت بابنها الى مخالفة أعراف القبيلة، ولو علم زوجها بالأمرِ لما نجَت لا هي ولا ابنها من أعسَر عقاب قد يكون فيه طلاقها خاصّة لو اكتشف أهل القبيلة ذلك .لكن الشّيْخَ «غانم» كان فَطِنا لبيبا واسَتشعر أنّ هناك أمرا يُحَيِّرُ زوجَته ويقضّ مضجَعها، وما خاب ظنُّه حينما ربط ذلك بابنهما ذياب وما يحتمل أن تفعله في سبيل إعفائه ممّا تفرضُه عليه أعراف القبيلة. كان يعلم أنّها لا ملجأ لها سوى أخيها، وحتّى يتأكّد من الأمر طلب منها أنْ تذهب لزيارة أخيها وتسأله عن: الحُرّة في الطيور، والحُرّة في الشجور، والحُرّة في الحجور؟

وكانت «ظفر نعام» امرأة ساذجة حيلتُها أصغر من أن تكتشف نوايا زوجِها، فخرجت من قبيلتها قاصدة قبيلة أخيها، وفي الطريِق صادفت ابنها ذياب يرعى الغنم والإبل فاحتضنته مُجهشَة بالبكاء حامدة الله على سلامته وخلاصِه من مشاقّ حراسة قبيلته، فسألها عن وجهتها فأخبرته أنّ والدَه أرسلها عند أخيها ليستفتيه عن خبر: الحُرّة في الطيور والحُرّة في الشجور والحُرّة في الحجور. فأحسّ ذياب أنّ وراء سؤال أبيه غرِض إن لم يكن قد اكتشف أمرَه، فطلب من أمِّه أن تسلك طريقه عند عودته.

وصلت «ظفر نعام» إلى قبيلة أخيها وقصدت خيمته فرحّبوا بها وأحسنوا ضيافتها وعندما همّت بالرّجوع إلى بيتها أخبرت أخاها أنّ الشيخ غانم يسأله عن: الحرة في الطيور والحرة في الحجور والحرة في الشجور، فضحكوا عليها وأجابوها أنّ الحُرّة في الطيور: هي الخُطّاف، وأنّ الحُرّة في الشجور هي الصّنوبر، وأنّ الحُرّة في الحجور هي حَجَرُ الزّناد. قفلت «ظفر نعام» عائدة إلى قبيلتها وتذكّرت ما أوصاها به ابنها، فقصدت مرعاه فوجدته ينتظرها: فقال لها ما أجابك خالي يا

أمّـاه؟ حاولـت «ظفـر نعـام» أن تتذكّـر مـا قالـه أخوهـا لكـن دون جـدوى، وكانـت الشـمس قـد زالـت، وليـس لهـا وقـت للعـودة إلـى قبيلـة أخيهـا فاحتـارت واغتمّـت وخافـت مـن سـخط زوجهـا فمـا كان ذيـاب سـوى أن يجيبهـا هـو عـن الأسـئلة فقـال لهـا: لا تحزنـي يـا أمّـاه وقولـي للشـيخ غانـم: الحُـرّة فـي الطيـور النّحلـة، والحُـرّة فـي الشـجور النّخلـة، والحّـرة فـي الحجـور حجـرة مكّـة...

هو الأب، وأنا الإبن، ولكن من منا الروح القدس؟
أيمن مارديني - سوريا

وأصل الى سقف السماء أفتح كوة وأسأل الله:

هل رأيت ابني؟

أنا أبحث عنه. ولد صغير يبلغ من القهر عتياً، ولكن حلمه صغير؛ فقط لعبة يحضنها عند نومه. له من شيب الخوف الكثير، إلا يدي تخفف عنه الوطأة. آخر مرة رأيته فيها كان يلاحق الاسماك الصغيرة تحت زرقة البحر. كان يعدها ويتردد في الرقم التالي ويفرح عند تذكره. كان يسألني متى الوصول الى الجزيرة. وكان يذهب عني خوفي أن يأتي القرصان الأسود ويقول: انظر إليّ... أنا أيضا لديّ فوق عيني غمامة القرصان. لا تخف سيكون صديقي ولن يقترب منا.

الله هل لديك ابني؟

أعلم أنك تحب الصغار، وتضحك عند ضحكهم. ولكني أخاف أن يأتي اليك وأرتعد من فراقه، ولن يكفيني موتي والعالم عند ......

لن أكمل، ولكن...

إن أتاك فاعطه شالي هذا يدفئه. كم أحب أن يختبيء تحت طرفه وأنا أرتديه ويقول: رائحتك تدفئني.

ولا تنس رسمته هذه أيضاً، هو لم يكملها بعد.

وعند نومه هو يحب أن تمسد له ظهره، هي ثوان قليلة وينام بعدها. ولكن لا تغادر سريره يا الله. ستفاجئه رعدة صغيرة... لا تقلق، هي فقط مجرد لهو اليوم الفائت لم يغادره بعد، وسيكمله في صباح اليوم التالي.

الله ترى إن لم يأت لديك أين يكون الآن؟

هل سرقته الجنية في غفلة مني وعنك؟

هل جذبته بسحرها وأغوته بحديقة الحلوى والسكر؟

هل ذهب إليها طوعاً أم هي أجبرته عنوة؟

هل ستهدئ قلقي ووجلي يالله؟

هل ستزرع فيه بردك وسلامك، وتطفيء نار قلبي؟

أجل هو ماء البحر من نار ولهيب وسعيرها يتلظى.

يا الله ياالله

هل يمكن أن تتعرف اليه إن أشهرت لك صورته؟

الله ... أجبني...هديء من روعي ودلني عليه وأرشده إلي...

الله أين أنت منه الآن ... أين أنت مني؟

الله !!!

وأعلم أنك صلبت ابنك

وأخفيت كليمك

وعلى حد السكين وضعت رأس ابن نبيك

الله؟؟؟

أجبني .. أنا على قلق وخوف وموج ريح الحزن يغرقني.

الله ...

ويأتي صوت سامي لي وهو يقول: لقد كذب البحر علينا يا أبتاه...كذب البحر علينا.

وصمت.

٢٠١٥

قبور حائرة: قصة قصير

عبد الرحيم التدلاوي / المغرب

نفلت فنجان القهوة من بين يدي كما الماء من فرجة الأصابع، فاعتبرت الأمر نذير شؤم، تناثرت شظاياه، وساح السائل الأسود فوق الأرضية المبلطة لغرفة الطعام، رفعت عيني الحزينتين إلى صورة أمي التي كانت تعد لي فطوري الساخن، فحبست دمعة كادت تنذر بهطول؛ كانت تعدني ابنها المفضل الذي سيحقق لها حلما طالما راودها وهي تتابع نجاحي الدراسي المبهر، لكنها توفيت في منتصف الطريق. لابد أن التحطم قد أيقظ أبي فتقلب في فراشه لاعنا هذا الابن الفاشل، أضاع عمره في الدراسة من دون طائل، وأرهقه بمصاريف زائدة هو الذي كان ينتظر مني أن أساعده، وأكون له فخر العائلة. صرت معرته، هكذا يظن، أعذره، فالسبب ليس في ولا فيه، ولكن في هذا الزمن الأغبر، ضيق فرج الحياة على أبناء الفقراء، ووسعها على تلك الأسر المظفرة بالمال والنفوذ، وكأن الله خصهم بنعيم الدنيا دون غيرهم. ارتديت لباسي، قميصا مفتوح الصدر أسود، وبنطالا مكويا بعناية، أحرص على أن تكون طيته حادة كموسى، وانتعلت حذاء جلديا لمعته لأن الحذاء اللامع دليل مكانة في المجتمع، لا بأس من خداع النفس أحيانا.. ولأن حبيبتي غادرتني إلى حضن زوج يمتلك رصيدا ماليا، يحرص على أن تكون أحذيته لامعة على الدوام.

لا أعرف أين سارت بها الأيام، لا يهمني ذلك، فقد أحرقت لحظات لقاءاتنا، وجمعت رمادها في ثنية قلبي، وطمرتها بدقة حتى لا تعكر مزاجي الرائق هذا الصباح؛ سأخرج لأستمتع بأشعة الشمس الدافئة، لن أضيع وقتي في البحث عن عمل، فالتجربة علمتني أن الأبواب ستكون موصدة، ومن العيب أن أقضي وقتي الثمين في البحث تاركا متع الحياة البسيطة تهدر.

خرجت منتشيا... مخلفا ورائي تلك الطاقة السلبية، لن أسمح لها بتجعيد فرحتي، وتجريعي سم الحزن في هذا الصباح المشرق

حافة وربيع

عبدالكريم غازي- المغرب

أمه السعيدية كلما تكلم تلكزه بكلمات كافيات لبعث الاشمئزاز في نفسه،كأن تقول له:خوي الوحيد اللي قغا،تنطق الراء غينا.

أخوها هذا من الأب والأم،حليق الوجه طويل القامة،مربوع القد،قمحي اللون،درس في الدار البيضاء وتخرج في بداية السبعينيات،توظف خارج البلد.

ينظر لأخته نظرة الشفقة،معتبرا اياها مسكينة لاتعرف شيئا،أما ابناءها فلايعتبر وجودهم بينه.

شامتا في كل من يصلي او يصوم،هازئا من تقاليد وعادات أكل الزمن عليها وشرب،هذا كلامه.

ك، ابن اخته يسأله أي دين تدين به،يجيبه كما قال ماركس الدين أفيون الشعوب.

يتابعه بعينيه في كل جسمه،ويخال أنه يضربه ضرب الكلاب،يتخيل ك هو وخاله، في منطقة نائية وينهال عليه ضربا،حتى يصبح قردا.

تجيبه ما قاله خالك هو الصحيح،تتعالى ضحكات حميد الانسان المثقف والموظف،كأنه حقق انتصارا على التخلف المعاش هنا في اولاد سعيد.

الأم تنكر كل شيء لم يقله أخاها،زوجها يخطيء ابناؤها أيضا،أما حميد الموظف فهو مركز الكون،وان لم يكن كذلك فكيف توظف وانت مازلت هنا تتبعني من أجل دريهمات تدخن بهما ؟،تلك الدريهمات اخي العزيز هو من سلمهم لي.الأيام دوارة ويأتي الاستدعاء من الدرك للتحقيق مع الأم.

أين تسكنين؟

هنا في اولاد سعيد.

هذه النقطة الأولى،هي في صالح أخوك موسى،حميد لديه ورقة تثبت أنك ساكنة معه في سلا،وهذه نقطة كافية لايداعك السجن بتهمة التزوير،هكذا أجابها رئيس مركز الدرك.

تعود الأم إلى الدار،حميد أراد أن يلقي بي إلى السجن،قالت هذا الكلام ،سقطت مغشيا عليها،حملها ولدها إلى المستشفى،وهي في الطريق:العجب الموظف يفعل مثل هذا. أما ك فتذكر كلام هشام ناجح كلما سمعت كلمة مثقف كلما تحسست مسدسي.

النداء الخفي

هشام بن الشاوي- المغرب

كمن سيرمي كل أوجاع العمر في مجرى الريح، نهر دابته حتى لا تتململ. عينا تلك العشرينية الملثمة، تطلان مرة أخرى على فوهة قلبه، وهو يتحسس أغصان الشجرة الوارفة، وصمت الليل أعمق من هوة. أقسم في سره أنه لن يسمح لها ولا لأية امرأة أخرى أن تتلصص على جرح لم يندمل، كل هذه السنوات، وهو الهارب من خطيئة ماض بعيد. لم يعرف كيف قادته خطواته إلى هذه الشجرة، التي شهدت مباهج بكر، تحولت إلى سياط آثمة تلهب ذاكرته.

حدقت الشابة في ندبة جبينه، بين حاجبيه... وهب صوت الجدة من أعماق طفولتها، كريح تثير في القلب غبار الأحزان، واهنا، متخما بالانكسار والغدر.. مرارا، طلبت منها ألا تمنح قلبها لأي رجل، ألا تخلع ثيابها، مهما كانت الوعود.

تمسك الشيخ بغصن سميك، رمى حبل البردعة الاحتياطي فوق الغصن، شده بقوة مختبرا قوة العقدة.. اعتادت الشابة الوحيدة أن تجلس تحت تلك الشجرة، تسأل الممر الزراعي عن خطوات فقيه الجامع، الذي أطلق ساقيه للريح، بعد أن بذر نطفتها في رحم أم، لم تحدثها عن هذه الظلال الوارفة، التي شهدت قصة حب قديمة، انتهت بندبة بين الحاجبين.

ألقى الرجل نظرة أخيرة على مكان، هرب منه كل هذه السنوات، وعاد إليه، وهو مغمض العينين، فوق ظهر دابته، التي لم تنس خطواتها القديمة على هذا الطريق.

تحسس الندبة : «خطوة واحدة، وينتهي كل هذا العذاب السخيف، أيها الرجل الصالح.

لو كان بالإمكان أن نعود إلى الحياة مرة أخرى، أن نعيش فتوة

العمر مرة ثانية.. حتما، سنتفادى الكثير من الأخطاء القاتلة». همس لنفسه، بينما كل الموجودات تواصل حوارها الأليف والمعتاد، منذ بداية الخلق؛ ذلك الحوار الذي لا تسمعه سوى القرى، في صمت جليل.. «حتما، خلق الله تعالى القرى قبل المدن»، هتف الرجل لنفسه بصوت خفيض، وشكر في سره، خالق السماوات والأرض على هذا السكون المثالي، الذي لن يعكر صفوه أي أحد. هنا، عاش أجمل لحظات الحب، تحت هذه الشجرة المنعزلة عن العالم. مثلما، عاش طوال رحلة هروبه في سكينة يحسد عليها.

لعن الشيطان، الذي أقحمه في هذه التجربة المؤلمة.. صديق شبابه، الذي أفتى عليه أن يسلب فتاة أحلامه عذريتها، حتى توافق أسرته على زواجه من «بنت الشيخة». كان شيطان آخر يدسها في صلواته، قبل أن يهم بالسجود، فتفتح ذراعيها، ويغرق الفقيه الشاب في عسل عينيها الضاحكتين، يتنحنح المصلون من خلفه، ويستعيذ بالله من الشيطان الرجيم : «لماذا لا تأتي - الآن- أيها الشيطان؟! أنت لم تعد في حاجة إلي، بعد أن دمرت حياتي وحياة آخرين! لن يسرق مني أي أحد طعم نهاية، لم أفكر فيها من قبل. لن تشفع لي كل هذه السنوات، التي قضيتها أعبد الله، وأنا هائم على وجهي. كانت خطواتي هي الطريق، ولا أطأ الطريق التي مشيت فيها من قبل، لأننا لا نمشي في نفس الطريق مرتين».

منذ عشرين عاما، تقف الشابة تحت تلك الشجرة، تنظر إلى القادمين. تمد بصرها إلى عمق الطريق. قبل أيام، خفق قلبها، وهي ترى نقطة سوداء، تقترب ببطء، وتتضخم رويدا رويدا.. هنا، عاشت جدتها شبه منبوذة، بسبب مهنتها كراقصة شعبية، وكذلك، عاشت والدتها بسبب حمل غير شرعي.

لم يعرف كيف ساقته خطوات البغلة إلى هذا المكان الموشوم في القلب والذاكرة. كأنما تعبت الدابة من رحلة الهروب من المكان، الذي كانت تسوقها الريح إليه، حين يشرد لب راكبها الكهل، الذي شاخ قبل الأوان. لم يكن يدري أنه كان يهرب إلى

نفس المكان، عبر طرق أخرى.. اكتشف أن عاطفة خفية تشده بحبل لا مرئي إلى هذه القرية أقوى من كل عواطف الحياة الدنيا. كان معول الشوق يغوص في أعماق قلبه، ويفتت تربة دواخله في لوعة، فيسلبه ذلك التوازن الداخلي، الذي تعكسه مرآة الملامح.

ضاعت حياته في رمية نرد...

مقامرة انتهت بندبة، على يد حبيبة، تحولت، فجأة، إلى لبؤة شرسة، في وضع حميمي. لم يعرف أنها تركت فلذة كبدها، بعد الفطام، بين يدي أمها، و ألقت بنفسها في بئر مهجورة، حتى ترتاح من ألسنة لا تكف عن نهش لحم سمعتها.

خذلهما الحب سوية، فاقتسما الحزن المتوارث، الذي لا يفرق بين النبلاء والأنذال.

أرخى لحيته مثل نبي، وغادر قريته، فارق مسجدها، الذي اعتاد تشذيب نباتاته بين الصلوات. أحيانا، يبيت في الخلاء.. التهم زهرة عمره قلق مزمن، كأنه هارب من السجن.

انتفض قلبه، مثل ديك مذبوح، حين حدقت في جبينه المرأة العشرينية، التي يتمطط في عينيها القاتلتين، يتم فادح؛ كانت تعتبر جدتها أمها، لأنها لا تتذكر ملامح المرأة، التي أنجبتها، وعمق هذا اليتم المضاعف غربتها في كوخ منعزل عن بقية المساكن الطينية.

جاءته في منامه، راودته عن نفسه، رأى نفسه يبتر اليد، التي نسيت التسبيح، وراحت تمسد شعر الغواية، لكن شيطانه الداخلي حرضه على أن يعود إلى قريته، وينتقم منها.. زين له أن يحمل الأشواك على ظهر بغلته، يطوف حول البيت، ينثر الحطب أسفل جدرانه، وبعود ثقاب واحد ينتهي كل هذا العبث، سيرتاح من تاريخ خطيئة لا تريد أن تتقادم، وتندثر على شفير النسيان: «أبونا آدم خرج من الجنة مرة واحدة، فهل سأخرج منها مرتين؟!»، واسى نفسه. من فوق ظهر دابته، كان

ينظر إلى الأشواك المتناثرة في الحقول الجرداء، فتتأجج نيران أشواقه إلى قريته، ولهاث البغلة يجرف صمت المغيب..

في ذلك المساء، لم يطلب «ضيف الله»، مثلما كان يفعل، منذ عشرين عاما. توقفت البغلة أمام الكوخ، والمرأة الملثمة، بدت في وقفتها، وكأنها كانت تنتظره منذ زمن بعيد.. التقت النظرات برهة. نفس العينين، نفس النظرات، نفس القامة القصيرة، التي جعلته يرفعها، ويطويها تحت تلك الشجرة. نخس الدابة، لكي تطوي الطريق بحوافرها، انتظر حتى أرخى الليل عباءته على القرية. لم يعد يسمع نباح كلاب القرى البعيدة. عاد إلى الشجرة، التي نقش عليها اسم حبيبته، قرأ الحروف للمرة الأخيرة، انهمر شلال من الدموع في قلبه، حين تذكر صوتا واهنا تناهى إلى مسامعه من داخل الكوخ، صوتا أليفا كان يصهل - من قبل- في ليالي القرى البهيجة. سمع الجدة المقعدة تأمر حفيدتها بالدخول، وهي تسألها مع من تتحدث..

أحكم لف الربطة حول عنقه، بدأ يضيق دائرتها، وهو جاث على ركبتيه، فوق البردعة. لام جبنه الطارئ، لأنه لم يستطع أن ينطق باسم ابنته، لكنه لم ينس هذا الاسم؛ إنه يطارده مثل لعنة. للمرة الأخيرة، واسى نفسه في لوعة: «الأم والابنة والبغلة. يا الله! البغلة ستنتهي كل شيء بعد برهة». باعد بين فخذيه، مستعيدا وضع الركوب، ثم طلب من البغلة فاطمة أن تتحرك...

جاري ذو الملامح الطفولية

متولي محمد متولي- مصر

لا أذكر أنني تمنيت أن أكون شيئا مما يحلم به زملائي في الفصل، الأمر بالنسبة لي كان لا يزال مبهما، حتى عندما كانت معلمة الفصل تسألنا عن أمنية كل واحد منا؛ كنت أتلعثم في الإجابة، في الوقت الذي كان كل واحد منهم يعلن بفخر عما يريد أن يكون عندما يكبر!

كنت قنوعا جدا، حتى أن أبي يوما سألني :

- ماذا تحب أن تكون عندما تكبر يا ولدي؟

ويومها ارتبكت، وأخذت أتلفت حولي، أبحث عن إجابة ترضيه، فلما وقعت عيني على صورة السادات (الله يرحمه) وكانت معلّقة على سور الكوبري العلوي فوق النيل؛ قلت له بتلقائية، ودون أي تفكير :

- أريد أن أصبح رئيس جمهورية يا أبي .

ضحك أبي كما لم يضحك من قبل، وقبل رأسي وهو لا يزال يضحك؛ حتى تحوَّل الضحك إلى سعال؛ وأدركت ساعتها مدى غباء الإجابة التي جرت على لساني دون تفكير!

جيراننا في الطابق الثالث من البيت، لهم ولد يكبرني بعشرة أعوام تقريبا؛ أكثر ما يميزه وجهه الطفولي، والذي يجعله يبدو أصغر من عمره الحقيقي بسنوات، أذكر جيدا كيف تحوَّل البيت، بل والحي كله إلى قاعة أفراح ورقص وزغاريد، عندما علم الجميع أنه بعد نجاحه في الثانوية العامة، تم قبوله في كلية الشرطة، أمه هى الوحيدة التي أخذت تبكي وتصرخ بطريقة عجيبة، وهى تتوسل إليه أمام الجميع أن يسحب أوراقه، ويلتحق بأي كلية أخرى، كانت في حالة يرثى لها، وكأن أوراق ابنها تمت إحالتها إلى فضيلة المفتي وليس إلى كلية الشرطة!

طول الليل وأنا أسمعها تبكي وتولول، وتترجَّى ابنها أن يسحب أوراقه، وسمعتها وهى تتوسل إليه أكثر من مرة، وتقول له :

-ابتعد يا بني عن المجرمين والبلطجية والإرهابيين! ألا تسمع عن الضباط الذين يُقتلون كل يوم على أيدي السفاحين وتجار المخدرات .. يا رب يبعدك يا بني عنهم ويبعدهم عنك!

ظنَّ البعض وقتها أنها تحاول ذرَّ الرماد في عيون الحسَّاد، ولا سيما أن ابنها التحق بالفعل بالكلية، وأكمل دراسته بها؛ وتخرج منها؛ وبدأ يباشر عمله .

لكن في تلك الأثناء عندما سألت أمي عما يجري، قالت لي بدهشة:

-يا بني هى تطول يكون ابنها ضابط، ولا كانت تحلم ولا تتمنى .. وظيفة محترمة ومضمونة، ومركز وهيبة !

ومن كلام أمي عرفت لماذا أغلبية زملائي في الفصل يريدون أن يصبحوا ضباطا عندما يكبرون. لكنني كنت أتعجب من جاري الطيب ذي الملامح الطفولية، كيف سيتعامل مع اللصوص والقتلة وهو على هذا الحال من البراءة والطيبة!

في الثانوية العامة، أصابتنا فاقة شديدة؛ واضطر أبي للسفر إلى أحد البلاد العربية؛ وتركت أنا وأخي الدراسة للالتحاق بأي عمل، وبالفعل عملت في إحدى ورش النجارة التي كانت منتشرة - في ذلك الوقت - في السنانية! ورآني موجه اللغة العربية وأنا أقف أمام المنشار، ونشارة الخشب تملأ أنفي وعيني وتغطي ثيابي؛ ناداني والدهشة تحرق عينيه، وسألني بنبرة أفزعتني:

- تركت الدراسة؟!

- سافر أبي؛ ونحتاج المال و..

- لا تترك دراستك .. وإذا كان لا بد من العمل، يمكنك أن تذاكر وتدخل الامتحان .. خذها منازل!

لا أدري حتى الآن من أين ظهر هذا الرجل الطيب، كيف تعرَّف عليَّ؛ كيف تذكّرني، وهو لم يرني إلا بضعة مرَّات في الفصل! كلما تذكرته بكيت، وظننت أن الله أرسل إليَّ ملاكا في صورة هذا الموجه، ساعدني في إعادة قيدي في المدرسة، وامتحنت؛ ونجحت بمجموع ضعيف، والتحقت بكلية التربية؛ وأصبحت مدرسا؛ ثم تزوجت، ولسوء حظي كانت محامية، فقد جعلت من شقتنا قاعة محكمة! وفي كل يوم تجعل مني متهما لسبب وبدون سبب! بينما تقوم هى بدور وكيل النيابة والقاضي والشهود، ورغم عملها في مكتب محاماة، وتعبها في إعداد ملفات القضايا والمرافعات، وذهابها إلى المحكمة، إلا أن ذلك لم يثنها عن المحاكمات البيتية التي تعقدها لي كل يوم تقريبا .

لم أهتم يوما بمعرفة مكان مكتب المحاماة، أو حتى اسم صاحب المكتب، ولكن عندما عرفت منها ذلك بالصدفة؛ ذهلت، بل كدت أصعق فقد اكتشفت أن صاحب المكتب هو نفسه جاري ذو الوجه الطفولي، الذي كادت أمه تموت حزنا وشفقة عليه؛ عندما علمَت أنه التحق بكلية الشرطة، كانت دهشتي كبيرة، لأنه ترك عمله في الشرطة، وأصبح محاميا، لكنني لم أخبر زوجتي بشيء مما أعرفه عنه؛ وبدأت أتابع أخباره عن طريق ما كانت تخبرني به هى وزميلاتها في المكتب، واللاتي كنا يزرنها أحيانا، وكان لا يخلو حديثهن من بعض أخبار عنه وعما يعانيه هو وزوجته وأولاده من ترصُّد بعض المجرمين لهم.

علمت أن اثنين من أقرب زملائه إلى نفسه استشهدا أمام عينيه؛ وأن المجرمين اقتحموا شقته أكثر من مرة؛ أثناء نومه هو وزوجته وأولاده ! دون أن يتركوا أي أثر وراءهم، وكأنهم يملكون مفاتيح الشقة؛ وأنهم تركوا أكثر من تهديد ووعيد بأنهم سيذبحون زوجته وأولاده؛ كما أنه خسر سيارته، وكاد يخسر حياته في إحدى المرات، وفي النهاية استسلم، وغيَّر مسار حياته، وأصبح محاميا، وأكثر من ذلك أخبرتني أنه بدأ يتقرب من هؤلاء الأوغاد حتى يتقي شرهم.

بمرور الأيام لاحظت زوجتي اهتمامي الزائد بمعرفة أخباره، ولأنني لم أصارحها بحقيقة معرفتي السابقة به، وبأنه كان جارا لي في الماضي؛ بدأت أسئلتي تثير الريبة والشك في نفسها، وزاد من ريبتها أنها لمحتني مرَّة - دون أن أشعر - وأنا أقف على الرصيف المقابل للبناية التي يوجد فيها مكتبه، فقد دفعني الفضول يومها لكي أرى وجهه الذي لم أره من سنين، وكنت أنوي أن أصافحه، وأذكره بي، وبأننا كنا جيرانا لسنوات، لكن لسبب ما لم يحضر إلى المكتب في ذلك اليوم!

بدأت بعض الخلافات تطفو على السطح، وظهرت مشاكل جديدة من العدم! والعجيب أنني عندما كنت أبحث عن أية أسباب لهذه المشكلات؛ كنت أجدها أسبابا تافهة جدا، ولا تستحق الاهتمام، الخلافات تزيد، ودائرة المشاكل تتسع وتتسع؛ حتى أصبحت حياتنا الزوجية مثل قارب يغرق، كلما رتقنا فيه ثقبا، انفتحت عشرة ثقوب!

هداني تفكيري إلى أن أذهب إلى المكتب الذي تعمل فيه، وأطلب من جاري الطيب أن يتوسط ويصلح بيننا، فربما ينجح فيما فشل فيه الأهل والأقارب. ربما يضايقها الأمر، وتظن أنني أريد أن أحرجها أمام زميلاتها وزملائها في المكتب، لكن لم يعد أمامي حل آخر.

على الرصيف المواجه للبناية، والذي وقفت عليه من قبل في انتظار جاري القديم، أخذت أراجع كل كلمة سأقولها، وكأنني تلميذ يستعد لدخول أصعب امتحان في حياته، هممت أن أعبر الطريق، لكني فوجئت بسيارة ضخمة تقف أمام مدخل البناية، وتسد عليَّ الطريق، ورأيت ثلاثة أشخاص ينزلون منها، لا أدري لماذا انتفض قلبي عندما رأيتهم! حاولت أن أسبقهم، وأصعد السلم قبلهم، لكنهم دفعوني عن طريقهم بكل سهولة، وانطلقوا نحو الأعلى!

والعجيب أنني فوجئت بهم ينزلون بأسرع مما كانوا يصعدون؛ كدت أفقد توازني؛ وأسقط على درجات السلم، لكنني تماسكت

وتشبثت بماسورة الغاز المثبتة في الجدار، وعندما وصلت إلى باب المكتب، فوجئت بخيوط رفيعة من الدماء تزحف نحو السلم!

من بين الوجوه التي ثقبتها رصاصات الغدر - بلا أدنى رحمة أو شفقة - ميَّزت وجهها؛ احتضنتها بقوة وأنا أحاول وقف النزيف بلا جدوى، وعلى بُعد أمتار، داخل مكتبه لمحت وجهه - لم تغادره ملامحه الطفولية - وهو ممدد على الأرض في بركة من دمائه!

سعيد يتو

حسن أجبوه- المغرب

يستفيق على أصوات متفرقة، كل الوجوه الغريبة تشكل داخل قزحيته فسيفاء لوحة سوريالية مبهمة، صداع صاخب يفقده التركيز كأنه انفجار نووي، فيجعل كلماتهم إليه تتلاشى مع هواء أنفاسهم الدسمة.. لا يدري من هو، ولا سبب وجودهم متحملقين حول سريره!

بصعوبة شاقة يحاول تجميع الصور: رجال بجلاليب بيضاء وعمائم، ونسوة منقبات بلون أسود! أيعقل أن يكون قد وفى بوعده له ؟ هل هو مشهد من الفيلم الذي طالما تشخصنت أحلامه في تجسيده، فأضحت ترافقه ليلا ونهارا، صور الفيلم وأحداثه لا تكاد تفارقه مهما سعى الى كبتها.

أكيد أنه ليس حلما ورديا من أحلامه الطفولية التي نقلته من طفل منبوذ في الملجأ، لا يعرف له أصل ولا فصل، إلى عالم المشاهير، في تصاعد درامي من الحضيض إلى القمة. يقترب منه طيف شخص تسبقه رائحة قوية، وعينان جاحظتان تنبعث منهما شرارات نارية، ولحية حمراء طويلة مشذبة بعناية فائقة، يطبطب على كتفة بكفه المشعر، فيحس بوخزات خاتمه الأسود كلسعات دبابير هائجة تستبسل للدفاع عن ملكتها. يهمس في أذنه بكلمات لا يستوعب إلا جزءا منها ويلتقط فقط كلمة: أم أولادك!

- أم أولادي؟ أنى لي بالعيال وأنا عقيم؟

تزمجر سيدة مكتنزة متلحفة بنقاب أسود ونظارات مقعرة تبرز حاجبيها الأسودين المرسومين بريشة رسام متجول:

- ويحك يا أبا القعقاع! أتتملص مني ومن عيالك؟

يمسك بضمادة رأسه الذي زاد طنين ارتجاجه، محاولا فك

طلاسم هذا اللغز الذي يحيره، منتظرا إشارات المخرج بنهاية المشهد! لكن لا شيء من ذلك حدث!

- دعوه يرتاح قليلا، فوقع الصدمة شديد عليه..

يتناهى إلى مسمعه، بعد أن خفت تلاسنات الجمع المحيط به، حوار بين إثنين:

- إن أبا القعقاع زوج ابنتي، وأنا مثل والده، فالحمو كما يقولون والد - متصنعا قهقهة -، لقد ربيته كأحد أبنائي، وانتشلته - حفظكم الله - من عالم الفسق، وزوجته ابنتي الكبرى « أم القعقاع « وآويته في داري، وسلمته مالي يكتسب به حلالا طيبا يطعمه أولاده. فكيف تجزم أنه فاقد للذاكرة! إن هذا لإفك مبين! يقاطعه الصوت الآخر:

- على ما يبدو أنك تتسرع بالحكم، المريض يعاني من مضاعفات بعد الصدمة، وهذا بديهي طبيا لشخص تعرض في حياته لكل هاته الأهوال، وسنه لما يتجاوز العقدين..

تتراءى له بوضوح في مخيلته ذكريات طفولته بالميتم وما كان يعانيه من تنمر زملائه وتحرشاتهم، فهو ذلك الصبي الأشقر، الهادئ الذي ينزوي تحت شجرة الصفصاف الطويلة، يحتمي بظلها وتعانق بكاءه. هم ينعتونه بـ «سعيد البوال» من كثرة تبوله في سرواله الوحيد، فتشمئز منه الأنفس، وتعاف الأنوف رائحته المقرفة.

رب ضرة نافعة، ذلك اليوم الذي زارهم فيه غرباء بكاميرات لم يألفوها، انكفأ الى صفصافته يناجيها، مكتفيا بمشاهدة زملائه يتراقصون ويغنون محاولين إثارة ذلك الزائر صاحب شعر ذيل الفرس والنظارات السوداء.. مكتفيا بابتسامة خادعة على وجوههم، لكنه اقترب منه غير مبال برائحته النتنة، متحدثا إليه بلغة لا يفهمها، استشف منها حنانا افتقده منذ ولادته.

- يا لك من عفريت محظوظ، أيها « البوال «، ستصبح مشهورا وتظهر بالسينما! هههه

- أين أنت يا سكالوني؟ أين وعدك لي؟

يتذكر جيدا، ظهوره المقتضب بفيلم عالمي، حصد عشرات الجوائز، وكيف انقلبت حياته من منبوذ إلى نجم تزين صوره الجرائد والمجلات، وتتصارع الجميلات لأخذ صور بجانبه، تكرمه الجمعيات وتخطب وده شركات الإعلانات!! للعيش متنقلا بين أسر ومدارس يستبدلها، كما تستبدل الثعابين جلودها، مستحليا السهرات الماجنة بأطعمتها وشرابها.

كبرت أمانيه ومعها اشتد إدمانه على المخدرات والشراب.. كأنه يصارع الحرمان والوحدة. شعور موحش ممزوج بالحسرة والندم على جنة أضاعها ولم يحسن استغلالها، فينتبه المتحاوران لصوته المقرون بانهمار دموعه، وهو يتمتم:

- سكالوني! أنقذني..

- ألم أقل لك إنه لئيم جاحد، أوهمنا بأنه تاب توبة نصوحا، ولن يعود مجددا لذكر اسم ذلك الزنديق الكافر، وها هو يستعيذ بالله لينقذه! ممن؟ منا؟ نحن عائلته وعشيرته..

- كما أسلفت لك سيدي الشيخ، لا تأخذ كلامه على محمل الجد، هذه مجرد هلوسات..

- وما ذنبنا في أخطاء الأطباء! زميلك المبتدئ أوهمه أنه عقيم ويستحيل أن ينجب! وكما ترى، فعياله يحتاجونه، لقد سئمت منه، وكل محاولاتي بتقويم انحرافه باءت بالفشل، ما يبقيني محافظا على علاقتي به سوى ابنتي وبطون هؤلاء الصغار!

أصبحت الآن، زاوية الرؤية تتضح شيئا فشيئا. يخرج من كوخه صباحا، هاربا من شخير زوجة هي عبارة عن كومة من اللحم، صحيح أنها تكبره بعشرين سنة، ولها ثلاثة أولاد! لكن جميع رجال الجماعة يحسدونه لاقترانه بأرملة الشهيد، ينتعل صندله بخفة لكي لا يحدث ضوضاء، يجر عربة الخيبات التي زوده بها حموه ليسترزق عليها أمام أبواب مساجد المدينة، ثقيلة هي ثقل مآسيه وخيباته، ينتظر بشغف ولهفة بيع قطع

من أعواد الأراك، أو كتابا عن أهوال القبر، دراهم معدودة لا تكفي حتى لشراء لبن لابنه الرضيع؛ ابنه؟ من قال إنه ابنه؟! منذ أن طالبه ذلك الطبيب بعمل تحاليل دم لإنقاذ الصبي الذي ولد بكلية واحدة ضعيفة، فأخبره بأن فصيلة دمهما، غير متطابقة، ومن المستحيل أن يكون والده! كتمها بسره وأخفاها عن الجميع، تغير روتينه، وحن لأيام العربدة، فتحول من شيخ بزغبات متفرقة في لحيته ،خلع عباءة الشيوخ ، وحلق اللحية، وعاد ينفق الدراهم التي يكتسبها من وقوفه اليومي أمام أبواب المساجد، على التهام السجائر المحشوة، وشرب القهوة.. ضاربا عرض الحائط تعهداته لحميه الذي زوجه ابنته ومعها أولادها الثلاثة من « شهيد « قضى نحبه بإحدى الغزوات ببلد بعيد.

يتذكر جيدا ذلك النهار الذي صادف خطبة الجمعة، وانتظاره الحارق خروج المصلين، متأهبا لمطاردة الشرطة، تحت أشعة شمس ملتهبة زادها اشتعالا تدخينه المتواصل، وقلة أكله إلا من حبيبات تمر، فأجهزت على ما تبقى من رجاحة عقله وهزالة جسده النحيل، طال الانتظار وتراءى له شبح رجل أخلف وعده إليه! أتراه حلم أم حقيقة؟

- (برونطو سعيديتو!)

تسارعت ضربات قلبه وتوهج بؤبؤ عينيه، وأقبل محاولا احتضان مخلصه.. إلا أن عصا غليظة نزلت على رأسه، طيرت دماء أحلامه وهشمت عظام توسلاته، فأفقدته الوعي.

يوم واحد للحناء

نبيل حامد- مصر

كانت ضحكات طبيبه تنبؤه بالود .. كانت صافية ودافئة ..كان فيها قليلا من المجاملة التى يتبادلها الناس فيما بينهم .. فى نهاية جلسة العلاج نصحه بالاستمرار في تناول بعض المهدئات ..

كان مساء حين يخلد إلى وحدته يسبح فى بحار الحيرة .. كان يستحضر حكمة القدامى من المخلصين .. يتأملها .. كان راغبا رغبة المشبوقين والعشاق في الولوج إلى الطرف الموصل إلى طريق الخلاص .. كانت تتسع حيرته عندما عندما تنفسح أمام ذهنه الطرق .. أى الطرق أسلك ؟ ليست كل الطرق واحدة ، يندفع كموج البحر حينما يلوح السراب _ طرق الآلهة تتقاطع مع طرق الشياطين ، وكلاهما محفوف بالعذاب والتناقض .. علامات الطريق خابية .. القناعة سبيل الخاوى .. الأيام سوداء كحل .. تذكر نصيحة صاحبه : الأيام السوداء فائدتها النوم .. إذن مافائدة الأيام البيضاء ؟ لماذا ينام الرجل حينما تسوّد الأيام .. كيف الطريق إلى الخلاص من الخوف و فى داخل

المخلوق قرون استشعار .. إذن فلنصنع الأيام البيضاء والحمراء والخضراء _ يمكن صناعة أيام بطعم الفواكه فلتكن أياما برتقالية وأيام مشمشية وأيام تفاحية .. تكمن صعوبة عمل هذه الأيام الآن امتلاء وجه الأرض بالمدن .. لم يعد الحكماء هم أصحاب الكلمة .. أصبح صناع الأسلحة هم أصحاب الكلمة.. عطب الكلمات جحيم مفزع .. حضن الطبيعة لا يرحم إلا من يعرف دروبه وثناياه ، ومكان الدفء فيه .. صناع الأسلحة أفسدوا الكلمات وأشياء أخرى.. الكلمات الوردية تأتي من أيام الورد .. كلمات البارود تأتي من أيام البارود إلا إذا تعانقت أيام البارود مع أيام الورد ..

أين أيام الحناء إذن ؟ ماأجمل أن تكون الأيام حناوية .. أيام

الحناء !! ولماذا تكون الحناء يوما واحدا في العمر ..؟ وينقضى باقى العمر دون أن يدرى ، يستطيع الإنسان الإمساك بأيامه إذا أراد فإذا لم يرد فالقناعة كنز لا يفنى ..كان متيقنا أن الملانخوليا تحف به .. لكنه لم يكن إلا قلقا أو حزينا .. كان مشتاقا للعودة إلى طرق الطفولة وأيامها .. ما أجمل أن تحتفظ بالطفل داخلك .

أعلن رغبته لأمه :

أريد أماه أن تكون أيامي كلها حناء .. قرصته (يومها) فى فخذه ، ونظرت إليه فى فرح _ أمسكت شعره الناعم .. كان وجهها يغنى أغنية فرحة كأنما تستعيد زمنا مضى فى يومها الأول مع أبيه ..

قالت له :

لاتبكى ابدا على اللى يفوت ...

إفرح بما يأتى لا تفلت يومك

من يدك بسهولة ..

كان كلامها غامضا .. لذا لم يصدق ..

العالم فيه مسلحون وأطفال .. المسلحون يطاردون الأطفال .. كما تلتهم أسراب الجراد الخضرة _ يلتهم صناع السلاح براءة الأطفال، ثم تأتى العناكب لتنسج الخيوط وتحوم الخفافيش وأسراب البوم ..

ارتجف ، نهض مسرعا وابتلع حبات الدواء .. ثم مضى إلى السرير .. لكنه لم ينم ..

يوم تكلمت مع الباشا
تركية لوصيف- الجزائر

أجلب كل مساء الشموع الملونة لزقاق مظلم، تأتيني الشمطاء العرجاء على عجل تدفع لي وتأخذ ما جلبت تدفع لي بسخاء ،هذا كثير .. الغواني يدفعن لك لأنك تطبق فمك..

أطبقت فمي عن الثرثرة لأن الزقاق الذى يتأفف منه الجميع أجلب منه لقمتي .. وما نفعي بالثرثرة وقد عرضت بضاعتي على الرصيف، وداستها أقدام الشرطة، سأبقي فمي مطبقا، وأردت تنويعا في مبيعاتي ولكن الشمطاء بدت لي أكثر فطنة وطلبت الشموع .. كانت زوجتي تثرثر كلما استلقيت وأنا اتابع نشرة الأخبار، لا أرد عليها وكان سؤالها لا يتغير .

ماذا تبيع يا رجل ؟!

أبقيت فمي مطبقا حتى أفتحه متى حضر الطعام ..

مررت على الشباب وتهكموا علي، أنا لا أرتاد زقاق الرومنسية ولكن ..لم أكمل كلامي وأطبقت فمي مخافة ضياع تجارة الشموع ..

أتصور ما يحدث كل ليلة في ذلك الزقاق المظلم الذى انعدم لعمود الكهرباء عند مقتل أنيسة على يد ابنها، بقي الزقاق يعيش الظلام وكل أنواع الرذيلة، ولكن ما يفعل ذلك المسؤول هنا؟!..

شاهدني، وحذرني، من الثرثرة وأطبقت فمي ..

أنا بائع الشموع وهذا ميقاتي الذى أدخل فيه الزقاق ..

اجلبوه..

كما من رمى كيس زبالة، وجدتني داخل سيارة المسؤول وباشر التحقيق معي ..

ما هي مهمتك عدا بيع الشموع؟

هل أنت تتجسس على سولاف؟ !!

هل تعمل لصالح الباشاّ؟

يا سيدي أنا بائع الشموع ولا علاقة لي بهذا كله ..

أدمى فمي وكسر آخر سن لي ..

ورماني خارجا..

الشمطاء تأمرني بمغادرة المكان وبعدم العودة وأنا الذى أطبق فمه .فهمت أن الشمطاء من تتجسس لصالح الباشا ولكن علي أن أتكلم والآن ..

صحت في الزقاق

أريد الحديث للباشا.. بحوزتي الكثير من المعلومات ..

مثلت أمام يديه..

يا سيدى أنا أبيع الشموع في هذا الزقاق حتى تنعم أنت وأمثالك بالرومنسية، أختار الشموع الحمراء الفرنسية ولكن لم أقترب يوما من مدخل البناية المهترئة وأريد المساعدة

أحرس لكم غوانيكم وتدفعون لي بدل الشمطاء..

تقصد العجوز ميمونة صاحبة النزل؟

هل كان نزل ؟

هل ميمونة هي من أخبرت إبن نفيسة عن مكان أمه حتى قتلها بطعنة سكين؟ ..

تسمر الباشا بمكانه وسولاف ،قد تكون في خطر ..

أحرس سولاف وأخبرني بكل شاردة وواردة ..

يوم تكلمت مع الباشا، صرت لا أطبق فمي وأنقل له كل معلومة ،صار لي هاتف وبدلة وسيارة تقلني إلى بيتي. ..

قصة قصيرة جدا

علي سيف الرعيني- اليمن

ظهر رغم كل المشاكل التي واجهته وتغلب عليها ومع قدرته العجيبة على تخطي العقبات لم يستطع أن يتخطى البكاء يبكي كطفل لأسباب عاديه تمس مشاعره، أو تلامس جرحاً قديماً آلمه، رغم بكائه لا يزال صلباً في مواقف الشدة لا يهتز للصدمات، بل يهز الصدمات فينبهها بأنها لن تؤثر فيه ولن يجعلها المستفيد الأوحد بل سيستفيد منها، الصدمات التي مرت أكسبته الصبر والجلد والقوة والحنكة التي يواجه بها تعقيدات الحياة ومشاكلها دون ما إطالةتفكير يستنتج بشكل سريع ويعود لواقعة منتصراً .

عندما مات أبني لم تدمع عيناه، كنا جميعاً نبكي بحرارة فهو الابن الأكبر الذي تعودنا عليه والذي أعددناه ليشاركنا مشاكل وهموم الحياة ويخفف عنا وطأتها عند الكبر، لم يبكي أقسمت ابنتي أن أباها لا يحب أخيها احمد أو بمعنى آخر لم يشعر بالحزن على وفاته رغم كل الحب الذي كان يبديه، لم ألحظ على زوجي أي شيء سوى أن أول يوم لوفاة احمد كان واجماً لا يتكلم ثم عاد لطبيعته فكان يتحدث معي ومع بناته وبعد أسبوع من هذا الحادث جاءني يمازحني فصرخت في وجهه أين تلك الدموع التي تبديها عندما ترى موقفاً مؤلماً ألم يؤلمك موت ولدك؟؟

لم يرد !! أدار وجهه ورحل لعنته ألف مرة وآلاف اللعنات أرسلتها للسماء حين رحل ، ألا يشعر بما نشعر من ألم وضيق وكدر، الهموم التي سقطت على رؤوسنا بسبب وفاة ابننا الوحيد وهو لا يشعر .

لحقت به شددته من ثوبه سألته: أين دموعك؟ أجب، لم يلتفت لم يعرني اهتماماً فتشبثت بثوبه وأخذت ابكي التفت إلي أخيراً وقبلني على رأسي كعادته فحدثته بلسان ثقيل خالطه البكاء ألا

تشعر بفقد ابنك، نظر إلي وهز رأسه بمعنى انه يشعر

مر الأسبوع الثاني ولم ألحظ شيء إلا أن كلامه قل لكن ابتسامته الصامتة لم تفارق شفتاه ولا يحب أن ينظر إلى وجوهنا، جاء الأسبوع الثالث وكنا نجلس معه وهو منشغل بكتاب وكنا نحدثه فيهز رأسه أنه يسمع ما نقول، ثم اسند رأسه إلى الكرسي وأغمض عيناه فرأيت فيه ما لم أره قط وكأنه يذبل .

شغلت عيناي بشيء أخر لكيلا أعكر عليه غفوته التي لم أتعود عليها ولم أرها من قبل .. أردته أن يرتاح أو يريحني من نظراته التي يظن أنها تنسيني ولدي لكن فضولي دفعني أن اذهب إليه فقمت من مكاني ومشيت بتباطؤ ، فكلنا ملأنا الضيق منه بعد وفاة احمد، ولما اقتربت منه بدا شاحب الوجه كسته الصفرة أصابني الرعب وأمسكت يده فإذا بها باردة ، انقبضت أنفاسي وتسارعت يداي إلى وجهه اقلبه وأناديه خالد ، خالد ، فكان رأسه يتأرجح بين كفي كوسادة خفيفة لا تسكنها الروح صرخت بكل صوتي

خالد ، خالد

التفتت نحوي بناتي وتراكضوا ماذا حصل فسقطت عند قديه ابكي وهو لا يشعر بنا تداركت كبرى بناتي الأمر فاتصلت بالإسعاف ورافقناه إلى المستشفى وحينها عرفنا ماذا أصابه .. ضعف عام وانهيار عصبي حاد ، بسبب الحزن الذي لم يرد أن نشعر به في فقد احمد مكث في المستشفى أسبوعان وعاد بعدها إلى منزله غريباً لا يتكلم إلى ما ندر ولا يأكل إلا القليل فهو يمشي لا بل يتحرك كالريشة يحركه الهواء، خيال إنسان ما إن نلتفت عليه نجده يبكي في صمت تفضحه دموعه نحدثه فلا يرد إلا بكلمات أو يهز رأسه ويبتسم ابتسامة صامتة . وذات يوم كنت أرافقه إلى الطبيب حذرني بأنه لو بقي على تلك الحالة فسوف ينهار ولا يستطيع أن يستنتج ما سوف يصيبه ولم يختلف ظن ذلك الطبيب كثيراً فبعد يومان اتكأ على نفس الكرسي ومسك نفس الكتاب ثم رفع رأسه وأسنده على كرسيه وأغمض عيناه

إلـى الأبـد مـات خالـد همـاً علـى ولـده وقـد اتهمنـاه انـه لـم يحـزن عليـه أبـدا أتعرفـون مـا الكتـاب الـذي كان يقـرأه ، عفـواً القصـة التـي يقرأهـا، قصـه مدرسـيه مـن كتـب احمـد كان قـد مـلأ الحواشـي بحـروف وقليـل مـن النكـت والكثيـر مـن الشـعر وبعـض الواجبـات التـي كان يجـب أن يفعلهـا نعـم هـي أشـبه بمذكـرات أو ملاحظـات كان يكتبهـا ابنـي ويبكيهـا زوجـي فمـات الأول وتـرك كلماتـه ورحـل الثانـي وهـو يقرأهـا..

على دينِ صديقتي

لينا يوسف قنجراوي- سوريا

«مـاذا قلـتِ يـا روز محمد...؟؟؟.أنـك مسيحية؟أخبري أبـاك أن يأتي غـداً إلـى المدرسـة .... ضـروري جـداً» . هكـذا قالـت الآنسـة(فتيّـة) لطالبتهـا الصغيـرة و هـي تهـمُّ بالخـروج مـن الصـف .كاد دمـاغ روز ينفجـر مـن تكـرار هـذه الجملـة فـي رأسـها الصغيـر طـوال الطريـق أثنـاء عودتهـا إلـى البيـت. لأول مـرّة لـم تشـارك رفيقاتهـا القفـز علـى حـرف الرصيـف و لا الدندنـة بأغـانٍ صـارت عنوانـاً لانصرافهـن مـن المدرسـة ،حتـى جدائلهـا الطويلـة التزمـت السـكون تترقـب قلقـة مـا تريـده المعلمـة مـن أبيهـا.

فـي الإجتمـاع العائلـي الروتينـي مسـاءً ،تسلّقت روز حضـن والدهـا الغالـي علـى قلبهـا بـدون أن تمطـره بأسـئلتها التـي لا تنتهـي. كان هنالـك شـيئاً مـا يشـبه القلـق يحذّرهـا مـن التصـرف بعفويتهـا المحببة إلـى قلبـه.

« مـاذا تريـد المعلمـة مـن أبـي؟ أنـا تلميـذةٌ مثاليـة؛ بنـت ذكيـةٌ و مهذبـة و حلـوةٌ !!!! مـا الذنـب الـذي ارتكبتُـهُ حتـى تسـتدعي ولـي أمـري؟؟؟!» ، فكـرت روز بينهـا و بيـن نفسـها قبـل أن تسـتجمع شـجاعتها و تفاتـح والدهـا بمـا حصـل بصـوتٍ منخفـض جـداً .ثـم قالـت لـه و قـد احمـرت وجنتاهـا و تشـابكت أصابـعٍ كفيهـا ...:»بابا ، مـن فضلـكٍ تريـدك معلمتـي بـأن تحضـر غـداً إلـى المدرسـة ضـروريٍ جـداً».

توقـف الأب عـن تصفـح كتـابٍ بيـن يديـه، و سـألها مستفسـراً :»ألـم تخبـرك عـن السـبب ؟»

أجابـت روز:» لا. هـي فقـط قالـت لـي أنهـم يريدونـك فـي الإدارة غـداً»...

احتضـن الأب وجـه طفلتـه الغـضّ بيـن يديـه العظيمتيـن قائـلاً

:»لديَّ مشاغل كثيرة ً ، لكن ‹ تكرم عينك ‹ سأذهب غداً إلى مدرستك» .

الحمد لله مرَّ الأمرُ بسلام، مؤكد أن أبيها يثقِ بها وِ بشطارتها و حسن سلوكها ، لذلك لمَ يخطر بباله أفكاراً سلبية .

قبّلت روز أبيها و نامت تحلم بالمدرسة و صديقاتها الرائعات. مرّت عشرةٍ أيام على بدء العام الدراسي ، استطاعت خلالها روز خلق ثلّة مكوَّنة من مساعدتيها ؛جانيت و كارمن بالإضافة إلى غيرهن من الذكيّات و المرحات.

في اليوم التالي ، ذهبت روز إلى المدرسة ، تشعر بالقوة و الثقة أكثر من أي وقتٍ مضى . مرّت الحصةِ الأولى و الثانية بسلام وِ معهما الفرصة. في الحصة الثالثة بدأتْ تشعرُ بالخذلان؛ « لماذا لم يأتِ أبي؟ لماذا لم يستدعونني إلى الإدارة؟ هل انشغل عني؟ هل وضعني في آخر سلم أولوياته ؟»

مرَّ الوقت بتثاقل بِليد كما رفيقتها (الطبوشة غفران)و هي تركضُ لاهثة سعياً لفوزٍ مستحيلٍ في سباقهن اليومي في الباحة.

أخيراً جاءت الآذنة و استدعت الآنسة (فتيّة) إلى الإدارة ، فما كان من هذه الأخيرة إلاّ أن طلبت من روز › عرّيفة الصف › بأن تكتب أسماء المشاغبات على السبورة.

صعدت روز إلى المنبر ، شعرت بأن أفضل طريقة لضبط الصف هي جعلهم يغنّون... نعم ، لِمَ لا؟ الغناء يريح النفس و يبهج الروح و يبعدها عن التفكير فيما قد يحصلٍ بالإدارة .و هكذا انسجم الجميع في ترنيم أناشيدَ دارجة ًبدلاً منٍ افتعال فوضى يصعب القضاء عليها في بداية العام بالنسبة لطلاب جدد على نظام المدرسة.

بعد قليل جاءت معلمة الرياضة و طلبت من روز الذهاب إلى الإدارة ، بينما بقيت هي في قاعة الصف.

مَشَتْ روز كالطاووس في ممرّ المدرسة النظيفة و الأنيقة. كيفَ لا ؟ووالدها القويّ هنا؟؟. دقّت باب الإدارة باحترامٍ ثم دخلت.

ابتسمت بفرح كبيرٍ عندما شاهدت والدها في الداخل و هو المعروف عنهُ حبِّهُ الكبير لأولاده و حمايته لهم.

ألقَت التحية و بقيت واقفة خلف مكتب المديرة التي طلبَتْ منها الجلوس على كرسيٍّ قرب والدها.

تسلّلت أحاسيس مضطربة إلى فكر و روح روز إلى أن سألتها ا المديرة أن تفسَّر لها لماذا قالت أنها مسيحية بالرغم من وجود اسم محمد في كنيتها؟

ببراءةٍ و عفويةٍ صادقتين أجابت روز:» أنا أجلسٍ بين صديقتيَّ جانيت و كارمن ، و نحن اتفقنا أن نكون معاً في السراء و الضراء . كانت أجابتهما واحدة عندما سألتهما المعلمة عن ديانتهما؛ مسيحية .فقلت لحالي ؛ و أنا مثلهما ،ثم حصل ما حصل.. لم يعجب جوابي الآنسة فتية و استدعت أبي إلى هنا»...

قبل أن تلتقط روز أنفاسها الصغيرة المتزاحمة... كان الجميع قد انفجر بالضحك و الدهشة ، ثم أحاطتها المديرةٍ بذراعيها الحنونتين و طبعت قبلة على رأسها الصغير قائلة:» شكراً لأهلك على هذا التسامح و هذه المحبة التي أنشؤوكم عليها.. جوابك صح حبيبتي، الدين يوحد الناس لا يفرقهم، و لكن كما الأشخاص لهم أسماء تميّزهم، كذلك الأديان. لا فرق بين أي ديانةٍ و أخرى سوى التسمية طالما تدعو إلى عبادة الله و محبة الآخرين».

نهض والدها و قبّلها بدوره قائلاً للجميع:» فخورٌ أنا بك يا ابنتي .هذه هي سوريّتنا و هذا هو ديننا . عشنا معاً جميعنا و المحبة تؤلف بين قلوبنا مهما اختلفت إنتماءاتنا و بالنهاية لا أحد فينا اختار دينه ، فلماذا التفرقة؟ لا مشكلة عندي إذا صلّت ابنتي في الكنيسة أو في الجامع طالما هذه الصلاة تقرّبها من الخالق و من الآخرين. «

فجأةً سألته روز: « ما هو الجواب الأفضل لأقوله في المرة

القادمة إذا سألني أحدهم عن ديني؟»

أجابها الأب:» قولي لهم كل الأديان ديني».

نظرت إليه ابنته باستغراب و قالت:» لا يا بابا. لن أقول هذا بعد اليوم . لقد تسبب لي هذا الجواب ب› بهدلة› أمام الصف و عطّلتك عن أشغالك».

هنا تدخّلت المعلمة و قالت و هي تربت على رأس روز:» ابنتي روز؛ إجابتك كانت صحيحة و كلام والدك هو الأصح و لكنني أصرّيت على التأكد من ديانتك من أجل دروس الديانة في المدرسة ليس أكثر. علينا معرفة من هم الطلاب المسيحيين و من هم المسلمين ليذهب كل واحد فيهم إلى معلم خاص بديانتهم فقط خلال حصص الديانة ، ثم تعودون معاً في باقي الدروس».

حاولت روز إدخال الفكرة إلى رأسها و هي تارةً تقرأ سورة الفاتحة و تارةً أخرى ترنُّم صلاة ‹ يا ربّ القوات و أغاني أعياد الميلاد.

قبل عودتها إلى الصف قبّلها الجميع و وضعت لها الإدارة نقطة تميّز في سجلّها ، لصدقها.لكنٍ المكافأة الأجمل كانت من والدها الذي دسَّ لها مصروفاً إضافياً في جيب مريولها...

رجعَتْ إلى الصف و هي تقول بينها و بين نفسها:» ليتهم كل يومٍ يستدعون والدي إلى المدرسة».

الفاترينا..

محمود سلطان - مصر

غـادرت مكتبـي بالجريـدة بعـد الرابعـة عصـرًا، مشـيت بضعـة أمتـار تبعـد قليـلاً عـن دار القضـاء العالـي، رافقنـي زميـلٌ لـي، لبثت بعض الوقت أتفقد المعروض من الصحف، على أكثر من فرشـة بناصيـة شـارع طلعـت حـرب، لـم أظفـر بواحـدةٍ، وعندمـا وقعـت عينـي علـى صحيفتـي، ظهـر لـي تابـوت فرعونـي مـن خشـب السـنط، مُسـجى فـي جوفـه نفرتـاري، وأنـا الملـك العاشـق إخناتـون، لا حيلـة لـي، إلا القعـود فـي مدرجـات المشـاهدين، وقـد نـزع قلمـي مـن غمـده، إلـه الشـمس أتـون، وأوصـى رئيـس كهنـة المعبـد، بإدراجـي "عـدوًا" فـي السـجلات الأرشـيفية.

لا أدري لـم ألتفت ـ هـذه اللحظـة ـ إلـى هـذا المبنـى القلاعـي، أتأمله بطـرازه البازليكـى الرومانـي وبأعمدتـه الشـاهقة، رغـم أننـي اعتدت رؤيتـه يوميًـا فـي غـدوي ورواحـي، فهـو أول مـا يسـتقبلني، وأول مـا يودعنـي!.

وقـف زميلـي بمحاذاتـي ينظـر إلـى حيـث رأى عينـي تتفحصـه، وطفـق يـروي قصـة المبنـى، حتى عـام ١٩٥٩. نظرت إليه مبتسـمًا، حـدق فـي عينـي برهـة، قبـل أن يشـاركني بابتسـامة خبيثـة، هكـذا رأيتهـا جليّـة علـى صفحـة وجهـه، آثـرت السـلامة، ولـذت بعدهـا بالصمـت؛ فالصحفيـون يجيـدون فنـون اصطيـاد المصـدر الثرثـار، وتوريطـه مـع كل ذي يـد طويلـة.

أسـندت ظهـري إلـى عمـود إنـارة، خرجـت مـن أمعائـه الغليظـة، أحشـاؤه المميتـة. لـم أنتبـه.. فزميلـي مشـغول بتفقـد فاتريـنة متجـر أحذيـة بجوارنـا. وأنـا حملتنـي عينـي علـى متنهـا، وهـي تركـض مسـتمتعة فـي شـارع ٢٦ يوليـو، يـا لروعة القاهـرة الخديويـة، كأننـي فـي حـي "وسـت إنـد" فـي لنـدن، أو حـي "البوليفـار" فـي باريـس.

أصابنـي مـس مـن الحـزن، حيـن تـأذت عينـي، بصـور الفوضـى،

وهي تمضي مزهوة بقبحها، في كل مكان، بدوت وكأني بسحنتي المكفهرة غريبًا، بين كل الوجوه التي تبلدت ملامحها، وهي ترى كل يوم، وفي كل ساعة، القبح وهو يقضي وطره من هذا الجمال الباريسي بوقاحة.

إذ ذاك، تحسست هويتي، فربما أثير ـ أنا الغريب ـ شكوك شرطي المرافق، الرابض مثل تمثال الثلج، على ناصية شارع شريف.

تشبثت أذني بصوت أم كلثوم، يصدح من محل "كشري" ملاصق، يغالب أزيز محركات السيارات، وأصوات احتكاك عجلاتها بحصى الإسفلت الناتئ، وطقطقة الشكمانات المثقوبة. لاحقتني وشوشة مرحة، لا تكاد تغسل أدران روحي المتعبة، تركت ما يشبه البلل ثم غادرت: يا للمصادفة إنها "رجعوني عينيك"!.

اختلط عليّ ما تبقى من النهار، سماء القاهرة تمضغ الدخان الأسود، ثم تبصقه سحابًا ثقالًا، فيبدو وقت المغيب مثل الفجر الكاذب، وأنا وحدي الذي أرى الشفق حناء منقوشة على كواعب النساء الجميلة.

إشارة المرور معطّلة، أمسكت بيد زميلي، وعبرنا بحذر إلى الرصيف المحاذي، انعطفنا يسارًا، دخلنا شارع عماد الدين، التفت إليه وسألته: ما علاقة الدين بالمشايخ؟! ضحك مستغربًا، وقال متهكمًا: ثمة علاقة بالتأكيد! ثم أردف بدليله: سيد درويش، كان ينادى عليه بـ"الشيخ سيد"!.

طوقت كتفه بيدٍ وأشرت بالأخرى: هناك يرقد في ضريحه الولي الشيخ عماد الدين، تركه العثمانيون ورحلوا، فلاذ يرفل في الأنس بنور المسارح ودور السينما المجاورة.

يشرد خيالي برهة. تلهث عيوني وهي تتعقب سيد درويش يخرج مذعورًا من مقهى "بعرة" يحمل عوده تحت إبطه، يتبعه الريحاني ويوسف وهبي والدقن وأم كلثوم وعبد الوهاب وعلي

الكسار وشكوكو وغيرهم، يلاحقهم حريق جائع، يقضم عظم الشارع الشفيف.

فجأة قطعت الكهرباء، ووثبت أحذية الظلام الثقيلة، تطأ الرؤوس وتفقئ العيون. إذ ذاك.. فقدت أثر زميلي، وتحسّست بأطراف أصابعي جدران الشوارع المطفأة، عساي أجد كُوَّة تسع رأسي فأرى النور.

هدف لم يسجله الجمهور

العربي الرودالي - المغرب

غووول

نغمة صهيل مدوية من فرس امرئ القيس المفر المكر المقبل المدبر.. وصرخة رهان عنترية، من فارس بني عبس لجلب مهر النوق البيض زهو على الصهوات.. على السروج.. على الأرائك..على قعدات المدرجات.. وتحت سرادقات التخنث والظل المؤنث... هي إصابة في القلب.. في الصميم..تبيح الهتك لدى المنتشي شبقا، والمتيم احتراقا

ساحة الوغى تتحرك تتمايل مع القذف.. ما ألذها، هذه التي تدور مكورة حول شمسها، تهز الجماهير، من رقعة ضئيلة إلى منصات أفق عمودية، مدرجة رتبا وأوسمة.. قعدات الجلوس تتراقص، تتطاير في الهواء.. وحين يسكن الهيجان في انتظاره المتلهف، تنفجر فجأة لحظة «غول»، فيستفيق الرقاد، وتستيقظ المضاجعة.. هدف.. هدف يطلق شرارته القوية في الصلب وبين الترائب.. وكما ينقل ذاك الواصف الثرثار، والمؤرخ الواصف: «ها هي الجماهير يعلو هتافها، واللعب يشتد حماسه، وابنة الشباك والتشابك لا يستقر لها موضع»... الجميع يتراشقون بالكلام البذيء، وبمعلقات الهجاء والمديح، وبالتلاسن والتناسف.. هو صدى الهتاف البطولي، الصارخ الراغب والملح.. و.. وترفع الجلسات المغلقة للمداولة، كي تبدأ الرهانات «القبلية»، والأدوار اللولبية.. أدوار، فخطط، فأسرار... ويتحاشى المصابون هيجان المناصرين، والمناصرون نقمة المصابين. ويحل «السلم» الذي كان فعاد، وما عاد... عار.. عار لهزيمة فوق ملعب مسطح بعشب أخضر براق، غامزويسخر.. لا مناص لهم إلا أن يشتموا الحكم المنصب وسط الهرج والمرج، المهدد بالانتقام، والمحرض عليه بما هو مباح

مـن كلام.. الألـوان تطفـو ببريقهـا والأصـوات تعلـو بزعيقهـا.. رفرفـات ألويـة تلـوح، وركلات أحذيـة تحتـد، حناجرمدويـة تبـح... ويسـتغيث المشـجعون، يسـتنجدون مـن هنـا وهناك، بالمـدرب ماضغ العلكـة باسـتمرار... الحـارس يترامـى علـى عـدة جوانـب.. يتقلـب.. يستلقي.. يتكور..يحذر الولـوج المفاجـئ.. السيقان تتصـادم أمامـه، تـراوغ بعضهـا حولـه، تمخـر عبـاب العشـب الموهـم بالاخضـرار.. وإلـى حـد الآن لا شـيء.. لا شـيء فـي السـاحة.. ركـض.. سـأم.. انطـواء.. وانحبـاس أنفـاس... مـن يبـادر إلـى تكسـير هـذه الرتابـة؟ مـن؟ تشـد الأنظـار إلـى مفتـول المنكبيـن والسـاقين، حديـدي الرفس، سـريع المراوغـة.. هـو المخـادع العنيـد الـذي تحرضـه الأصـوات وحناجرهـا، وهـو يعرفهـا مـن أيـن تأتـي... تغريـه بالضـخ.. فيعجـل فـي عراكـه.. يتقـدم.. يتقـدم ..و..و.. و»غـووووول».. ينقلـب الملعـب، يـدور بمرعـاه.. بفومـه وعدسـه وبصلـه.. ويصيـر عقـر الـدار ملتهبـا.. والغريـم المدجـج بألاعيـب الاحتيـال، يمـوء مـواء التربـص حـول الجحـور، يصطـاد طرائـده السـكينة. يخـرج مخالـب الانقضـاض علـى حيـن غفلـة.. شـموخ المبـارزة فـي العقـر يتـآكل.. ويرمـى بالكـرة خـارج التمـاس، هـدرا للوقـت، فيطـول النعـاس.. وسـرعان مـا تتناثـر مـن كل جهـة صيحـات لا تكـف.. هنـاك حاجـة إلـى جوقـة تلهـب الأمـل، تمحـو الفشـل، ينتشـى بهـا المتفرجـون السـكارى، عشـاق الإثـارة.. العشـب الاصطناعـي يعـاد إرسـاؤه، فـي كل فتـرة اسـتراحة.. فتنتصـب خضرتـه، وتمتـد قامتـه.. يقـف مصفقـا علـى الغافليـن المتهافتيـن المتراقصيـن المتعانقيـن المتشـاجرين المتشـابكين المتنافريـن المتعاطفيـن المتقاربيـن المتباعديـن... و.. هه.. «غـووول».. تنشـط اللعبـة، تتشـطرنج بأصابـع خفيـة.. وعلـى سـاحة الركـض تنتشـي الأهـواء.. ولاء، جفـاء، وخـواء.. وتتحـرك فـرق تعـزف للعرس..تهيـج النـزوات، وترقـص البهلوانـات... فتتعالـى القعـدات والقبعـات والأرديـة.. تترامـى فـي انتشـاء فـوق كراسـي معطوبـة، تلملمهـا عبـاءات مثقوبـة.. وعلـى حيـن نزوة،تتحرشـثانية نشـوة الأهداف،بالرهـان الشـاق فـرا وكـرا... وفـي سـاحة عنتريـة نـزالا ومبـارزة... وهـا قـد خـاب انتصـار الجمهـور وخبـا زعيقـه.. انتصـار..؟ هزيمـة..؟ تعـادل..؟ لا شـيء يذكـر، الـكل زوبعـة أوهام.

أطبق الصمت، اندلع الذهول.. اختلط كل أمر... وتحول الغضب إلى غضب فغضب... ووو... يدور الملعب بكل كونه دورانا، يتلولب تيهانا، يتراجع تبخرا.. ويبقي الصدى في مناجاته مبحوحا.. غووول..غووووول..غووووووول... السباق حطه السيل من عل، وسقط.. ومهر النوق البيض ضاع في رمال فيافيه... إنه ظالم هذا «الحكم»

(لفظة تنطق على منوال أصلها بالإنجليزية) gool*

-كاتب قصة ومقالات ودراسات أدبية نقدية، منذ السبعينيات، نشرت بعدة صحف ورقية مغربية، ومنها:(جريدة البيان- والمحرر- والتحرير- والبلاغ- وجريدة الصحيفة)...وأيضا بمجلات مشرقية،ومنها:(مجلة «القصة» المصرية- ومجلة «روز اليوسف» المصرية).. وكذا بالعديد من المنتديات الرقمية، ومنها: (هيسبريس- و»مغرس»- وأنطولوجيا- و»عرب٢»... وأخرى.

-أنشطة ثقافية:

-عضو ومؤسس ل»نادي القصة القصيرة بالمغرب» في سنوات الثمانينيات

-وسام الفوز من الدرجة الأولى للقصة القصيرة في العالم العربي، من «مجلس نادي الصحافة العالمي»، عن قصة «ذبابة أرستقراطية»..

-مشاركة في لقاءات أدبية وفنية مع جمعيات ونواد ثقافية، بفاس والرباط والدار البيضاء ومكناس و»ابن أحمد» وتيفلت، من خلال قراءات قصصية، وكذا عروض دراسية حول أدب الشعر وأدب السرد...

-نشر عدة مقالات ودراسات أدبية وثقافية وفكرية وفنية، وحوارات مختلفة... بمجلة «طنجة الأدبية» الورقية، ودراسات سينمائية بمجلة «سنيفيليا» الورقية، ودراسات للفن التشكيلي بالمجلة الإليكترونية «عرب٢»..

للحكي ألوان أخرى

مريم بن بخثة- المغرب

مدخل

أراك تحمل شارة الحلم بين يديك

وليدا يحبو

يرنو نحو الشمس

يغسلك بماء الروح

تتوضأ على أفراح حبلى

و نصر قريب..

تجاوزت الأيام حتفها و أسقطت حكما عاشته حوريات القصر، وحدها شهرزاد سقت الروح وأينعت تحت ظلال السيف روح الحكايات والأمنيات، الليل يعدو مسرعا نحو شهريار وهي جاهدة تصنع حدث اليوم، لتلفه مرة أخرى بإغراء قصصها فيطول السهر و يختفي السياف .

شهرزاد يمتد بها حنينها إلى الانعتاق وشهريار يتمنى على الليل أن يُقدم بعباءة مطرزة بفرح جديد وعشق جديد.ما عاد فكره مشغولا بالقَصاص لكل من لم يغرد لها نومه، فلون الحكي عندها كملمس حرير ناعم يذيب كل شيء، ها هي والليل يباغتها لم تصنع عالما لسيدها، تتراءى لها المقصلة قريبة من رقبتها التي كان يتفحصها بين اللحظة و الأخرى. وتأبى الحكاية أن تلف أصابعها حول أعناق أبطال جدد تمردوا أخيرا ورفضوا أن تمارس عليهم شهرزاد غوايتها اليومية.

على فراشه الوثير كان يغازل قصصها ، يبتسم لمحياها و هي

غائبة تحلق في سراديب القص والليل يزحف ببطء شديد.

طال انتظاره وعانقه الملل فانشغل بأمور رعيته حتى أزف الليل الذي افتقده طيلة يوم بكامله معلنا بدايته، فليحيا الحكي وليعزف الأبطال سيمفونية جديدة تمنحه الفرجة والمتعة اللذيذة.

هاهي ذي قادمة كحورية مجدلة الضفائر، حفيف ثوبها الحريري يدغدغ مسامعه فيرقص قلبه طربا للآتي. وجه بلوري يسطع بأناقة كلوحة بهية الألوان، في خشوع الرهبان تخطو نحوه، وحده قلبها الذي يقفز من مكانه يكشف سترها واصفرار بشرتها.

بين يديه أقبلت على فَرشتها المعتادة الوتيرة بابتسامة مشجعة دعاها أن تفتح أحلامه على سرداب حكيها.

حينها تسربت الحروف من شفتيها كغدير منساب تلألأ محياها وغاصت تذوب بين شخصيات حكيها الذين استسلموا لها، كانت لمسة مشاغبة منهم أن يمتنعوا عن المثول بين يديها.وبدأت «كان يا ما كان في سالف العصر و الأوان. « تدلت عيناه من محجريهما مشبعة بريح الفضول والمتعة فهل من مزيد؟

الصورة لوحة أسطورية لملك على عرشه ممدد وعبيده يلفونه كقطعة ماس من يطري له الريح ومن يقدم له الشراب ومن تدلك له رجليه وعن يمينه وعن شماله.تلفك الأسطورة وشهرزاد مازالت تنسج حدثا وراء حدث .طيعة صارت حروفها وشخوص أبطالها انغمسوا في لعبة الأدوار. فرح، حزن رهبة انسجام خصام حروب. كانت مجرد كلمات صنعت منها أميرة السرد حكايات الألف ليلة. سرقت لب الملك و تدللت دون أن تدري.. كل تلك اللحظات التي عاشتها تبحث عن حكي يسعد الملك ويعفيها من لحظة موت، قد هدها، هاهي تحاول أن تسرب ليلها كالمعتاد، لكنها اليوم تجد نفسها تغفو بين لحظة وأخرى قاومت جاهدة أن تظل في كامل صحوها، لكن رويدا رويدا أطبق عليها نوم ثقيل، ولم تعي بما حولها سوى هذا السفر المباغت إلى عالم السبات الذي ألجم لسانها و أوقف الحكاية عن منتهاها ظل شهريار مشدودا إلى حكيها حتى غفت فجأة!! نظر إليها مشفقا

، تأملها في صمت، صعب أن تتفرس ملامح وجهه حينها، أو تستشف من تقاسيم وجهه ما سيقدم عليه بمن يفترض أن تسليه حتى يغفو، لكنه فجأة قام من مقعده الملكي وقصد حيث شهرزاد قتلت الحكاية، انحنى نحوها وبحنو شديد حملها بين ذراعيه ووضعها على سريره الملكي ، فقد آن للحكاية أن تحلم بدلا عنه.

وجعُ السيّاب

عبدالله الميّالي- العراق

الوسَاوس تزهر في تلافيف دماغي، تتناسل بطريقة (أميبية) جدران بيتي تتشقق، تكاد تنهار فتدفنني حياً، تحولتُ إلى ميدان معركة تتصارع فيه روحي وجسدي وأفكاري، حممُ برُكاني تبحث عن فوهة الخلاص، أسرع بالمغادرة حيث لا أدري، اختطفتُ من البحر لغته فتلاطمتْ أمواجي، بالكاد استطعتُ أن أعبر شارع قد سكنته (حُفر) كبيرة جَعَلته ملاذاً آمناً، من بعيدٍ أرمق سيارة تدفع رشوة لإشارة المرور، ومن ذلك البيت نافذة صامتة، وفي تلك المقهى عجوز يرتشف قهوة باردة، لم أشعر بانتهاء مفعول سيجارتي إلا بعد أن أحرقتْ أصبعي، هل أرمي بجسدي في «شط العرب» لكي أغتسل من هذه الأفكار السوداوية التي غَشتني دون سابق إنذار؟ استعنتُ ببوصلة حذائي فأناخت قدمي قرب تمثال استوطن رصيف الحزن، يبحث عنٍ شراع الأمل، تلسعه شمس تموز بسياطها، وهو لا يزال مرتدياً (سترَته) خجلاً أن يخلعها بعد أن تورّط بمدح شمسٍ بلاده: «الشمس أجمل في بلادي من سواها» وقوفه وحيداً غريباً أبكى فؤادي، أحببته مذ كُنّا نَدرس قصائده في درس الأدب في مرحلة الثانوية، لم أنس ما قرأته له:

«إني لأعجب كيف يمكن أن يخون الخائنون، أيخون إنسان بلاده؟»

بدا لي أن أشاكسه قليلاً، فما أجمل أن تشاكس وتشاغب من تُحب! وقفتُ أمامه مُحدَّقا في عينين غائرتين، ورأس مستدير، وأنف كبير، وفم واسع، ووجنتين ناتئتين بدتا كعلامتي استفهام، أتأمل خطوط وجهه وأتساءل ما الذي يُخفيه؟ وما الذي يتوسّد هذا الرأس الصغير؟ الذي بدا عليه أثر رصاصة طائشة لزفة عرس أو نزاع عشائري.

ألقيتُ عليه التحية فلم يرد عليَّ حتى بمثلها، وآثر الصمت، إذاً لم يبق لي إلا أن استفزّه كي أثأر لهذياني من لا مبالاته، فصرختُ:

« أين العراقُ؟

وأين شمسُ ضحاه تحملها سفينة في ماء دجلة أو بويب؟

وأين أصداء الغناء، خفقت كأجنحة الحمام على السنابل والنخيل،

من كل بيتٍ في العراء، من كل رابية تدثرها أزاهير السهول،

لَتبكين على العراق، فما لديك سوى الدموع، وسوى انتظارك،

دون جدوى، للرياح وللقلوع»

تصفيق حاد زاد من حماسي وأنا ألقي مقطوعتي الشعرية التي سرقتها من ديوان السَيّاب ونسبتها لي كما يفعل غيري، التفتُ خلفي لا أجد أحداً، غاب الجمهور! ها.. تذكرت .. نصف الجمهور ذهب يشاهد كرة القدم، والنصف الآخر في جبهات القتال!

وحدهُ السيّاب ينتفض من مُوميائه المحنُطة، يتحرّك قليلاً، يمد يده ليخرج منديلاً يمسح ما تصبّب من عرقٍ انساب على وجهه فأزاح ما تعلق به من غبار الشارع، يستجمع قواه لكي يقول شيئاً، الشمسُ تلوّح بتحيّة الوداع، نجحتُ في مهمتي إذاً، أخرجَ ورقة من جيبه وبدأ يقرأ من شعره ليخفف عني لوعة الهذيان:

«لا تكفروا نعم العراق،

خير البلاد سكنتموها بين خضراء وماء،

الشمس نور الله تغمرها بصيف أو شتاء،

لا تبتغوا عنها سواها،

هي جنة فحذار من أفعى تدب على ثراها»

لم يكُمل قراءته فقد أرخى الليل علينا سُدوله بأنواع الهموم

ليبتلي، هذياني سيعود بي إلى عصر الجاهلية، طوى ورقته وأرجعها إلى جيبه، عاد إلى مكان وقوفه كيوم ولدته يد النحات، لم استسلم لهجوم الظلام المباغت، كنتُ محتاطاً للأمر، جلبتُ معي شمعتي لمعرفتي أنّ (كهرباء الوطن) في إجازة طويلة، أضأتها إمعاناً بالمشاكسة كي احرمه من متعة الظلام الذي أنشد له يوماً :

«والظلامُ حتى الظلام هناك أجمل، فهو يحتضن العراق»

تسرَّبتْ نسمات من الهواء لاعبتْ ضوء الشمعة، أصابها ارتعاش مؤقت كادت تقبض أنفاسها، فأمطرتْ دموعاً ساخنة تساقطتْ على يدَي تلسعها، عاد إلى صمته المطبق، لم يبق لي من أمل في أن يتكلم أو يتُمتم بشيء، فرميتُ آخر سهمٍ في كنانتي:

«سمعتُ وقع خطى الجياع تسير،

تدمي من عثار، فتذر في عيني،

منك ومن مناسمها، غبار»

المكانُ يزداد وحشة، صمتْ السيّاب أوحى لي بأني كنتُ ضيفاً ثقيلاً، فقد أيقظته من نومه الهانئ، لملمتُ خطواتي حاملاً على أكتافي جراحات وطن لم تندمل.

استمع لصدى كلمات تنتشر على وجه شط العرب:

«أطفال أيوب من يرعاهم الآنا،

ضاعوا ضياع اليتامى في دجى شات،

يا رب: أرجع على أيوب ما كانا».

عندما ألتقيت ملتون

د. حلمي نجم/العراق- انجلترا

هاجس ما جعلني اقرر السفر الى فلورنس, استيقظت صباحا وحجزت اول عرض لتذكرة سفر واقامة بفندق لمدة ثلاثة ايام، كنت مشتاقا لتلك السفرة رغم اني كنت كثير السفر بحكم عملي في بلدان او بالاحرى في قارات عدة و سألت نفسي لماذا التوق للسفر؟ ولماذا فلورنس؟ هل لانها مدينة ليوناردو دافنشي ومايك انجيلو ام لانها بدأت عصر النهضة , أم لأن غاليلو أبتدأ ثورته العلمية فيها, ام لسبب اخر غاب عن ذهني؟ فكرت بالامر ولما لم اعثر على جواب شاف, قلت كل الاشياء سيان.

كانت التذاكر وحجزوعنوان الفندق مربوطة بحزمة واحدة لم افتحها الا بالمطار, وعندما حطت طائرتنا في مطار فلورنس استخرجت اسم وعنوان الفندق وهرولت الى موقف سيارات الاجرة ,كان السائق قد غفا مسندا راسه على عجلة القيادة فلوى رقبته ومالت قبعته لتكشف عن صلعة تجاوزت الاربعين بعدة خيبات , نقرت على زجاج النافذة فجفل وصاح

ــ ها

فقلت له:

-هل تستطيع إيصالي الى شارع ميلتون بالانكليزية ، فنظر الي باستغراب وقال: نو انكليش

فقلت له مازحا أتعرف عربي

فانفرجت اساريره وهو يقول

-ايوة , شوية , شوية

لوحت له بالعنوان وانا افتح باب السيارة واجلس على المقعد الذي بجانبه, مستسلما بمصيري له رغم انه لازال يفرك عينبه

لطـرد النعـاس .

نظر الى العنوان وهو يدير مفتاح التشغيل

فنـدق تيولـب (٧١ شـارع ملتـون) قفـزت السـيارة فجـاءة فادركـت ان مصيـري قـد تأرجـح علـى درجـات يقظـة السـائق ومزاجـه المتقلـب, وكلمـا اسـتمر بالسـياقة وتارجحـت السـيارة ازداد قلقـي, فبـدأت اكلمـه لعلـي اطـرد النعـاس مـن عينيـه واقـوي تركيـزه, قـال لـي انـه عمـل سـائقا للسـفير الايطالـي فـي عمـان عـدة سـنوات وهنـاك تعلـم العربيـة. كان يسـلك طريقـا متعرجـا ويمربازقـة ضيقـة وعندمـا سـألته بمزيـج مـن العربيـة والانكليزيـة عن السـبب,لا ادري بأيـة لغـة أفهمنـي انـه يختصـر الطريـق وفجـاءة قـال لـي :

-نحـن الان فـي شـارع ملتـون , ممكـن ان تبحـث عـن رقـم ٧١ ,مررنـا مرتيـن ولـم ار رقـم ٧١ كانـت الارقـام تقفـز بيـن ٦١ و ٧٩ فاقترحـت عليـه ان اترجـل وابحـث عنـه فرحـب بالفكـرة.

اتجهـت الـى الجهةاليمنـى حيـث الارقـام المتصاعـدة واذا بـي اصعق بصـوت ملتـون مرحبـا وباسـطا الـي ذراعيه

-محمود , لا اكاد اصدق عيني!!

-ملتون!! وانا كذلك.

كان ملتـون هو,هـو بشـعره الذهبـي المنسـدل علـى جبهتـه اليمنـى ووجهـه الطفولـي الـذي تقطـر منـه البـراءة وابتسـامته الازليـة التـي تبعـث فـي التفـاءل والرضـا وهدوئـه الدائـم الـذي كنـت ولازلـت احسـده عليـه ،نظـرت اليـه بامعـان, واكتشـفت انـه لـم يكبـر قيـد شـعرة منـذ افترقنـا فـي مرحلـة الدراسـة الابتدائيـة. لا يـزال كمـا افترقنـا عندمـا كنـا فـي الثانيـة عشـرة مـن العمـر.

كان ملتـون موضـع اهتمـام الجميـع, حيـث كان اسـمه غريبيـا فـي مجتمـع الموصـل الاسـلامي المحافـظ , فـكان قـد اثـار اهتمـام معلمينـا, حيـث اثنـى عليـه معلـم اللغـة العربيـة لابداعـه بالشـعر وكان يقـول لـه:

- لقد ابدعت , يبدو ان لديك موهبة شعرية كالشاعر ملتون.

وقال له معلم اللغة الانكليزية:

-انت موهوب باللغات كالشاعر ملتون

ويقول له معلم الجغرافية:

-لقد سافر ملتون بلاد عديدة وتنقل بينها واتقنها ويبدو انك بارع في الجغرافية مثله .

وكنت اعتبره محظوظا حيث كان هو اول من يتعرف على كل من يزور مدرستنا, حيث تجذب غرابة اسمه كل من ينظر الى قائمة صفنا وغالبا ما يسأل ملتون من اين اتيت بهذا الاسم , فيجيب ملتون بهدوئه المعتاد:

-أبي اطلقه علي .

فيكون السؤال الثاني

-ماذا يعمل والدك؟

-ممثلا بالفرقة القومية .

وقد اثار ملتون اهتمامي بهدوئه ونضجه الذي كان يفوقنا جميعا به وغالبا ماكنت اسأله عن رأيه باشياء جماليه واعجب به.

ومرة سألته,

-ألا يضايقك اسمك؟

اجابني بهدوئه المعتاد:

-لماذا يضايقني , انه جميل ومتفرد وحالم,ألم أقل لك لماذا أطلق علي والدي هذا الاسم؟

-لا ،

فبدأ يقص علي بشوق وانا اتأمل محياه يتألق كنبوءة عراف.

- -في ليلة من ليالي الصيف كنت اضطجع قرب والدي على

سطح بيتنا العتيق ، أفترش احلامي وألتحف النجوم ،وكان أبي يقص علي حكايات من غابوا فبقيت ذكراهم ترفرف علينا بمأثرهم الخالدة، وبينما انا أصغي اليه سألته،

-ماالذي أعجبك بملتون؟

نظر الي وكأنه كان ينتظر سوألي منذ زمن, وبعد ان أطرق برهة نظر إلي نظرة غمرتني بالدفئ والامان وهو يقول:

-سوف تكبر وتقرأ الكثير عن ملتون وسوف تعجب به أكثر ولكني سوف أقول لك شيئا لن تقرأه بالكتب، لقد كان ملتون جمهوريا في أوج عصر الملكيين وقد دحرهم في عقر دارهم ، اتعرف لماذا دحرهم؟ لأنه كان مدججا بالشعر.وهذه عظمته.

نظر إلي ملتون وهو يكاد يطير زهوا ، وسألني

-أعرفت الآن لماذا لايضايقني هذا الاسم؟ بل هو مصدر قوتي.

نظرت اليه بغبط ، وقلت:

-ولكنه يضعك في بقعة الضوء ويجعلك موضع استفسار وفي بعض الاحيان يعرضك لفضول المهرجين.

نظر الي بامعان وقال وهو يداعب قطة قماش كان يتأبطها

-لا يوجد شيى كامل في هذه الدنيا.

كنت اعجب له وبه حيث كان دائما مسيطرا وهادئا وواقعيا دون ان يفقد حلمه وشاعريته.

كان الطلبة من المهرجين يستفزونه و يعملون به المقالب والنوادر وغالبا ماتدور حول اسمه , فينظر اليهم ويبتسم ابتسامة فاترة ويهز رأسه مستنكرا بصمت.

كان لايعبأ بهم ولا يكترث لافعالهم التي تخرج عن اللياقة في معظم الاحيان, لقد ترجموا اسمه (الموجة الذائبة) Melt Tone واخذوا ينادونه وبدأوا يسألونه بماذا ذبت او ستذوب؟ بالماء او الدهن او العدم؟

فسألته لما لا يوقفهم عند حدهم وهل يحتاج مساعدتي, نظر الي بأسف كأنني خيبت ظنه,وقال:

-انهم حمقى, ماذا تقول للحمقى ؟أنهم لم يفلحوا حتى بترجمته ترجمة صحيحة . كان يجب عليهم ان يقولوا(النغمة الذائبة)

كان ملتون لا يبالي باحد وكل مايعنيه ان يتامل ما حوله بهدوء وصمت. وكنت اتوق للقاءه واتطلع لمعرفة أرأءه بما يشغلنا من مسائل وغالبا ما كان يخبرني بتلك الآراء الغير تقليدية ، لقد ارتاح هو لي فكان غالبا ما يأتي صباحا ليتكلم إلي اذا اعتقد ان لديه ما يثير اهتمامي.

في صباح يوم مشمس من صباحات الربيع، كان نسيما عليلا يداعب اغصان الشجر في باحة المدرسة وكان الطلاب يلعبون كرة القدم والطالبات يتحلقن ويلعبن الثعلب فات فات في ذيله سبع لفات . بحثت عن ملتون في الجمعين فلم اره وبعد جهد جهيد رأيته يقف ساهما عند مدخل المدرسة , ناديته فلم يسمعني و عندما افاق وانتبه الي ،سالني بشوق:

-هل رأيتها؟

-من؟

فقال مستنكرا:

-ياسمين, الم ترها؟ لقد اتت منذ وهلة ودخلت بألق تمشي كأنها لا تلامس الارض. كم انا مغرم بها .

قالها وكانه يذوب شوقا, وعرفت فيما بعد انه اعتاد ان ياتي مبكرا كل يوم ويقف عند مدخل المدرسة يتلصص النظر اليها ويتأملها وهي تترجل من سيارة والدها وتدخل المدرسة . وكان يرقب حركاتها وسكناتها عن بعد.

وسوف لن انسى المرة الوحيدة التي فقد ملتون فيها صوابه وهجم على طفل مشاكس واشبعه ركلا وضربا جعلني اعجب

لقوته وبأسه , وعندما نجحنا بأبعادهما عن بعضهما. سألته -مالخطب؟

قال لي بعد ان جاهد بالاتقاط انفاسه, لقد ذكر ياسمين بسوء, وهذا ما لا استطيع السكوت عليه. هذا شجعني ان اسأله:

-وهل صارحتها بحبك؟

-كل يوم, اتهمم بمصارحتها وأقف عند مدخل المدرسة وانتظرها وعندما تاتي , يمر الوقت سريعا وتعبر قبل ان اكلمها, فاقول سوف اصارحها غدا.

استمر ملتون على هذا الحال ولم يصارح ياسمين وظل يتأملها من بعيد ولا ادري فيما اذا شعرت هي بمشاعره ام لا.

وانتهت فترة المدرسة الابتدائية وفي يوم استلام النتائج رأيت معظم اصدقائي الا ملتون, بحثت عنه فلم اجده , وعندما غادرت, كان لي رسالة عند الاستعلامات, فتحتها على عجل, لقد خطت بخط كوفي انيق:

(قد نذوب اونتلاشى كلحن حالم في زعيق هذا العالم الناشز فتبقى ذكرانا كطيف لازودي يتوهج شذا في ضمير من نعتبرهم وجوه اخرى للحقيقة)

لا توقيع ولا اسم ولا موعد ولكني حدست ممن تكون ولا اعتقد ان حدسي يخيب.

لم اكن اعرف أن ملتون كان بارعا بالخط العربي الى هذه الدرجة, سألت نفسي ما هي نشاطات ملتون التي لم اعرفها, وماهي تلك التي عرفتها؟ وظل هذا السؤال يتكرر دون اجابة.

أحتفظت بهذه العبارات كتميمة واخذتها معي حيث حللت, وكلما شعرت بضيق أو مررت بأزمة, كنت استخرجها وأتأملها فأشعر بالراحة ,وبقيت تلك العبارات تتردد في ذهني بين حين واخر و لايسألني حدسي فيما اذا سالتقي ملتون ام لا, بل متى؟

وقد صدق حدسي اليوم والتقيت ملتون عندما لم اكن اتوقعه.

مد لي ملتون يده يصافحني بحرارة ويقول معاتبا:

-لماذا تأخرت , اني انتظرك منذ زمن بعيد.

واستطرد بثقة

-انت تبحث عن رقم ٧١ اليس كذلك؟

-نعم.

فمشى وهو يقول:

-اتبعني

كان هناك منعطف في الشارع احتوى شارعا فرعيا مسدودا احتوى الارقام من ٦١-٧٩

استخرج مفتاحا وفتح الباب ودعاني للدخول, كان الفناء حديقة مربعة غناء احتوت ورود الخزامى(تيولب) بالوانها وانواعها المتعددة , نسقت بشكل جميل حسب انواعها والوانها ويحيط بتلك الحديقة غرف النزلاء, مد يده في جيبه واستخرج مفتاحا كتب عليه ٣٣ وقال لي:

- هذا مفتاح غرفتك . ارتح من السفر وسالتقيك الساعة الخامسة والنصف مساءا.

في الساعة الخامسة والنصف تماما طرق ملتون الباب وبيده باقة من ورد البنفسج وهو يقول جئت في يوم الجمعة وهو اليوم المناسب, تهيأ سوف تسر عندما اقول لك اننا سنذهب للقاء طالما انتظرته كل هذه السنين.

تقدمني ملتون وهو يشرح لي بحماس, كيف يتهيأ ويحضر ورود البنفسج كل جمعة ويجتاز ازقة فلورنس المؤدية الى سوق الحقائب والتجف الجلدية القريب من كنيسة الباسلكة فيمر خلاله ويصل الى الباحة التي تحيطها الكنائس ويتجه شمالا حيث الزقاق المؤدي الى منازل متراصة طرزت ابوابها بنقوش زخرفية من عصر النهضة ويكون الباب الثالث على اليمن هو ما نرنو اليه حيث يتوسطه طائر العنقاء المنقوش بلونه الازرق

الفاتح الذي يكسو صدره ويزداد عمقا كلما اتجه الى اطرافه و قد فرش جناحيه وهويستعد للطيران.

كنا نمشي وهو يسرد لي تفاصيل برنامجنا, كانت الساعة قد قاربت السادسة والنصف عندما وصلنا الباب الذي كان يصفه لي , قال بحماس:

-في السادسة والنصف من كل جمعة, يفتح البأب بهدوء ويبدو وكأن العنقاء تبدأ بالطيران مع انفتاح الباب وتظهر ياسمين عند الباب لدقيقة او دقيقتين فأتأملها مليا واقدم لها زهور البنفسج فتوما برأسها شاكرة ويشرق وجهها بأبتسامة ملائكية وتدخل ثانية ليغلق خلفها الباب. اتعرف انها لم تكبر وكأنها لازالت الطفلة التي زاملتنا بالايتدائية, هل تصدق هذا؟

كنت اختلس النظر الى ساعتي بينما كان ملتون يتحدث الي, وصلنا مقابل الباب فتسمر ملتون امامه وهو يمسك زهور البنفسج بكلتا يديه ويطرق بخشوع.

استمر الوضع نصف ساعة ولم يفتح الباب ولم يظهر احد , فسألت ملتون:

-ماذا يجري؟

فاجاب بارتباك

- لا ادري ، لابد ان هناك خطأ او حالة اضطرارية. دعنا ننتظر لابد انها ستظهر.

وبقينا ننتظر وبدأ الظلام بالزحف على المدينة وبدأت المحلات تقفل ابوابها و الازقة تقفر من المارة والزوار, وكان ملتون متمسكا بالبنفسج متشبثا بخيوط امل تعلقت بمغاليق الباب. الذي اعتقد انه سيفتح في اية لحظة, ولكن الباب لم يفتح واقفر الشارع ولم يبق احدا الا انا وملتون, عندها نظر الي نظرة منكسرة وهو يقول:

-لابد ان حدثا جللا قد حدث, اذ اني كنت اضبط ساعتي على

موعد ظهور ياسمين.

وبدأ يقترب من الباب وعندما وصله انحنى ليضع باقة الورود على العتبة وهو يقول:

-حتى لا تعتقد اني لم أأتي عندما تفتح الباب.

قالها بصوت ارتجف كسعفة وهو يجول نظره بالارض كأنه يبحث عن شيى اضاعه.

كانت الازقة خاوية فمشينا وحيدين ,كان ملتون يمشي معي ساهما, حاولت ان أسأله عن مشاريعه لتلك الليله ولليوم الذي بعدها ولكن أسئلتي غاصت في جب عميق, وعند مفترق طريق, صافحني وهو يتمتم شيئا لم افهمه وعندما استفسرت منه , كان قد اختفى بمنعطف على يساري, فسرت الى الفندق وكنت متعبا فخلدت الى النوم .

استيقضت صباحا ولم ار ملتون على الفطور فظللت بالفندق وجلست على مصطبة في الحديقة اتأمل الورود واسترق النظر الى المارة لعلي ارى ملتون ولما قاربت الساعة الخامسة والنصف سألت موظف الاستعلامات عن ملتون , فقال لي انه لا يعرف شخصا يدعى ملتون يعمل في هذا الفندق , وعندما قلت له انه سلمني مفتاح غرفتي في اليوم السابق , دقق السجلات فتبين انه كان نزيلا بالفندق.

عند السادسة ذهبت واشتريت باقة ورود البنفسج وانطلقت الى باحة كنيسة الباسلكا والى الباب المزخرف ووقفت انتظر ,لم انتظر ياسمين فقط بل انتظرت ياسمين وملتون. كنت اعرف انها تظهر في يوم الجمعة فقط , قلت ربما تظهر اليوم لتعوض عن البارحة وطالما كنت موجودا هنا فلا ضير من الذهاب للتأكد , وقفت انتظر وانتظر وعندما لم يظهر ملتون ولم تظهر ياسمين تقدمت ووضعت الورود على العتبة وانصرفت. لم يظهر ملتون في اليوم التالي في الفندق ولكني فعلت ما فعلته في اليوم السابق, ولم ار احدا.,

في اليوم التالي كان علي ان اعود ورغم اني اقلق كثيرا عند السفر وكان علي شراء بعض الهدايا وجدت نفسي اسير كالنائم حتى وقفت امام الباب وانتظرت وانتظرت دون ان ارى احدا,فمشيت دون هدى وانا أسأل نفسي

-هل سالتقي ياسمين او ملتون يوما؟ واطرقت مليا فلم اجد جوابا.

كان لقائي بملتون شجيا, اذكى مشاعركانت قد انزوت في دهاليز سحيقة وغابت عن وعيي, لقد استطاع ملتون ان يلتقطها وينفخ فيها نبض الحياة , فبدأت تدغدغ وجداني وتجعلني احس اني فقدت جزءا من ذاتي فأتوق اليها واسأل نفسي متى التقي ملتون أو ياسمين؟ واخذ هذا الهاجس يسيطر علي اكثر فاكثر الى ان اصبح هوسا. فركبت الاهوال والبحار أبحث عن ماضاع من ذاتي فتهت في هذا العالم واستوقفتني محطات مثل روما,باريس, امستردام, بودابست وكنت في كل محطة اجد بابا مزركشا ,اذهب بالبنفسج وانتظر وانتظر لعل الباب يفتح ولا يفتح فاضع البنفسج على العتبة املا ان يلتقطه من يعنيني امره او امرها, فتهت في زحام هذا العالم المحموم بهوسه ولهاثه واشتعلت مواقد ذاكرتي واحرقت ماتبقى من ذاتي فصرت ابحث عن وطني وتأريخي وذاتي. وكنت أشعر في كل مرة انتظر ولا أجد احدا انني اتكفن بأغلفة الحزن وأغرق بأسى ذنب عتيق يطبق على انفاسي ويخنقني. وفي مرة وانا انحني لاضع زهور البنفسج , سمعت صرير الباب وهو يفتح ببطء , وظهر عند الباب, شيخ مثقلا بأهات سر اكتوى من باحتضانه وطرزت وجهه صولات وجولات باحت بها قامته المهيبة ,هزتني نبرات صوته التي خرجت من الصميم:

-ما أجمل ورود البنفسج ولكنها سوف تذبل لأنها قطعت من جذورها.

كان لكلماته وقع السحر,أخذتني على حين غرة , واكشفت لي ما كان غائبا عني, وجعلتني أتامله لبرهة, وعندماهممت بشكره,

كان قد اختفى و أغلق الباب خلفه .

-الجذور , اصل كل الاشياء؟

فشددت الرحال هذه المرة الى الموصل والى مدرستنا الابتدائية.

كان الفجر قد بدأ يمزق اوصال الظلام وبدأت خصلات الشمس الذهبية تطارد اشباح السخام فتتكفأ في دهاليز العفن المنسية. وكانت الشمس تتثاءب بعد ليل طويل.

كان مدخل مدرستنا كما هو مهيبا شامخا زاخرا بعنفوان التحدي كاحلام طفولتنا , أما مدرستنا فقد تكورت الى انقاض امتزجت بأشلاء ذكرى التهمتها حرائق تضورت من جوع عتيق , كان قد اوقدها حقد دفين . أشجان شتى اعتملت بخاطري وغاصت في اخاديد غربتي,

لم اقف هذه المرة لانتظر ملتون او ياسمين , بل جاهدت كي اتسلق الركام فانعكست أشعة الشمس بعيني فشعرت بحرقة فيهما و ماجت سوائل كست حدقتي فترجرجت في عيني وتوهجت كهالات لقوس قزح , كنت قد وصلت قمة الركام فانحنيت لأاضع باقة البنفسج هناك.وانا موقن بان العنقاء لابد لها ان تنهض من هذا الركام وتنشر جناحيها ليغطيا كل المكان .ويبشرا بولادة فجر جديد .

وانا انزل من على الركام شعرت بان ي اتحرر من قيد كان يكبلني , وثقل كان قد جثم على صدري . كانت الشمس قد ارتفعت بالافق وغمر ت بدفئها كل المكان فشعرت اني أغتسل من ادران احزاني واعتق من براثن ذنبي العتيق. وبدأت اسمع صوتا رخيما يملأ المكان فيطغي على كل شيئ

(فاما الزبد فيذهب جفاءا واما ما ينفع الناس فيمكث في الارض)

صدق الله العظيم

الطريق إلى مكة !!

د. محمد عباس محمد عرابي- مصر

في صباح أحد الأيام شعر (مهند اليعقوبي) الذي هو في العقد الثالث من عمره، شعر بالضيق فخرج من سكنه بالمدينة التي انتقل إليها من قريته؛ نظرًا لطبيعة عمله الجديد ؛حتى يكون قريبًا من مقر العمل ؛خرج لشراء بعض الصحف والمجلات من ميدان المحطة في المدينة الشهير بتواجد بائعي الصحف والمجلات قرابة الساعة التاسعة (صباحًا)، وهو في الطريق أمام أحد مكاتب شركة سياحية للحج والعمرة شاهد حول أحد الاتوبيسات أهالي المعتمرين ،وهم يودعونهم تمهيدًا لسفرهم بريًّا من مدينته لمدينة سفاجا ثم لضبا بالمملكة العربية السعودية ،ثم من ضبا لمكة المكرمة ثم المدينة المنورة فدمعت عيناه ،وتمنى لو كان أحد هؤلاء المسافرين لأداء مناسك العمرة ،ولكن أنَّ له ذلك وهو شاب فقير الحال ،فخاطب نفسه قائلاً :إن الله إذا أراد شيئا قال له كن فيكون فاستبشر خيرًا قائلاً عسي الله أن يكرمنا قريبًا بعمرة فهو(سبحانه) على كل شيء قدير ،المهم وبينما هو واقف أمام بائع الصحف إذ بفتاة في العقد الثاني من عمرها تقف أمام باب محطة القطار ، وتتجه نحوه دون غيره (سبحان الله)!! قائلة له لو سمحت يا أستاذ أريد أن أذهب إلى مبنى التأمين الصحي فقال لها :لماذا ؟ قالت لأعتمد أوراق عملية جراحية لأمي حيث إنها لا تبصر جيدا وستجري عملية جراحية ،قال لها :أما تعرفين كيفية الذهاب إلى هذا المكان ؟قالت لا أنا من محافظة أخرى تبعد من هنا قرابة ثلاث مئة كيلو متر ،على الفور تذكر (مهند اليعقوبي) الحديث النبوي الذي رواه عبدالله بن عمر(رضي الله عنهما)، أن النبي (صلى الله عليه وسلم)قال: (أحب الناس إلى الله أنفعهم للناس وأحب الأعمال إلى الله سرور تدخله على مسلم أو تكشف عنه كربة أو تقضي عنه دينا أو تطرد عنه جوعا ولأن

أمشي مع أخي المسلم في حاجة أحب إلى من أن أعتكف في هذا المسجد شهرا ومن كف غضبه ستر الله عورته ومن كظم غيظه ولو شاء أن يمضيه أمضاه ملأ الله قلبه رضا يوم القيامة ،ومن مشى مع أخيه المسلم في حاجة حتى تتهيأ له أثبت الله قدمه يوم تزل الأقدام ،وإن سوء الخلق ليفسد العمل كما يفسد الخل العسل)( )

على الفور تظاهر (مهند اليعقوبي) للفتاة ،بأنه ذاهب إلى هذا المكان ،وقال لها : حاجتك مقضية إن شاء الله ،وأوقف سيارة أجرة (تاكسي)،وركب هو بجوار السائق ،وجلست الفتاة في المقعد الخلفي ؛لتطمئن الفتاة ،ولما وصلا إلى مبنى التأمين الصحي طلب من الفتاة الانتظار أمام المبنى ،ودخل بنفسه واعتمد الأوراق للفتاة وخرج إليها ،وقال لها :إلى أي مكان تودين الذهاب إليه الآن؟ قالت :شكرا يا أستاذ ،أود الذهاب إلى مستشفى كذا حيث أمي محجوزة هناك ،قال (مهند اليعقوبي) حتى يطمئن الفتاة :إن المكان قريب من مكان أود الذهاب إليه ،وبالفعل أو قف (مهند اليعقوبي) سيارة تاكسي بعد أن اشترى طعاما للفتاة وأمها وأوصل الفتاة إلى غرفة أمها بالمستشفى ،وقالت الفتاة لأمها :أمي الشاب الطيب هذا ختم لك الأوراق ،فقالت الأم لـ(مهند اليعقوبي) : كأني أعرفك من أنت؟ قال (مهند اليعقوبي) وهو يريد طمأنتها، وهو يكتم دموعه :أنتِ تعرفيني جيدًا (أنا الخير الذي كنت تقدمينه للناس) اسمي فاعل خير !!،قالت الأم :اللهم ارض عن فاعل الخير ،واجعل طريقه لبلاد الحجاز وارزقه بحجة (ويكأنها كانت مع (مهند اليعقوبي) في حواره لنفسه صباح اليوم !!!) ، وبعد أيام بالفعل تعاقد (مهند اليعقوبي) مع إحدى الشركات للعمل ببلاد الحجاز، وحج بيت الله الحرام في نفس العام وأدى مناسك العديد من العمرات !!

عالم راق

تيسيرالمغاصبه- الأردن

لـم تكـن الحافلـة ممتلئـة بالمسـافرين ،ولهـذا السـبب كان الجلـوس بحريـة مـن دون التقيـد برقـم المقعـد ،كعادتـي أختـرت مقعـدي إلـى جانـب النافـذة كـي أطـل مـن خلالهـا متأمـلا الغيـوم السـوداء و..القمر ،بالرغـم مـن كثـرة المقاعـد الخاليـة إلا إنهـا إختـارت مقعدها إلـى جانبـي ..يالسـعادتي إذا كان ذلـك مقصـود ..ولمـاذا لايكـون مقصـودا ..ماألشـيء الـذي ينقصنـي وانـا شـاب بكامل أناقتي ..شـاب هههـه بالطبـع هـي ثقـة لاغرور ،إنبعثـت رائحـة عطرهـا الجميلـة ،وبالرغـم مـن ذلـك ..الكـرم البـاذخ..إلا إنهـا نظـرت إلـي وإبتسـمت لإنهـا جلسـت إلـى جانبـي دون إسـتئذان ،أرتنـي تذكرتهـا موضحـة لـي ذلـك الإلتبـاس ،فخيبـت أملـي ،لأن الرقـم الموجـود علـى تذكرتها هـو رقـم ذلـك المقعـد ..نفسـه ..مقعدهـا ،لقـد أرادت التقيـد برقـم المقعـد.. والنظـام ،حتـى لـو فـرض عليهـا ذلـك الجلـوس إلـى جانـب رجـل أربعينـي،(إذن لاتنغـر بنفسـك أيهـا العجـوز هههـه!)

أخرجـت مـن حقيبتهـا حبتيـن ملبـس «حلـوى مغلفة»يبدو مـن غلافها إنهـا بنكهـة النعنـاع ،قدمـت لـي واحـدة ..قلت معتـذرا بأدب:

-أشكرك لاداعي؟

لكنهـا أمسـكت بيـدي وفتحتهـا ووضعتهـا فيهـا والإبتسـامة الجميلـة لاتفـارق ثغرهـا ..حـررت قطعتهـا مـن غلافهـا وقبـل أن تضعهـا فـي فمهـا نظـرت إلـي وعندمـا لاحظـت إنـي لـم أفعـل مثلهـا ،قامـت بوضـع قطعـة الحلـوى خاصتهـا فـي فمـي ثـم أخـذت قطعـة الحلـوى التـي قدمتهـا لـي أولا مـن يـدي ،ثـم حررتهـا مـن غلافهـا ووضعتهـا فـي فمهـا ثـم إبتسـمت،ضحكت أنـا بـدوري وقلـت لهـا:

-اشكرك ؟

طالمـا إنهـا قـد أزاحـت حـدود التكليـف بينـي وبينهـا أخـذت بتأمـل

جمالها المميز اللافت ،وماكياجها الصارخ ..وألوان ثيابها الفاقعة ،سروالها.. الجينز الأزرق الضيق ، ذلك الموديل الممزق والذي يكشف الابيضاض لبشرتها الجميلة من إحدى شقوقه، والبلوزة الصفراء والحقيبة الحمراء ،تناغم جميل..لون ذهبي لامع على شعر أصفر متماوج ،كان في يدي رواية مترجمة عن التركية ،كنت قد أحضرتها معي كي أقرأها بأوقات فراغي أوفي رحلتي ،خصوصا عندما يخيم الظلام ولا أعود أرى شيئا من النافذة، لكن تلك الجميلة قد غيرت نظام برنامجي ..

تساءلت في نفسي (ياترى من أي كوكب حضرت تلك الجميلة ،بتحررها وعفويتها) فاتتشت مشاعري مابين الإعجاب.. والحب ..والدهشة .والسعادة ،طلبت مني بحركة بيدها ودون أن تتكلم أن أقلب الكتاب بأتجاه صفحة غلافه الأولى الذي كان لناظم حكمت بعنوان (الحياة جميلة يارفيقي).

عندما رأت الغلاف والعنوان أعطتني إشارة إعجاب بيدها كإعجابات الفيس بوك بمعنى (أنت هكذا).

هذه المرة الحافز من جهة ؛وضعفي أمام الجمال من جهة ثانية جعلاني أتحدث إليها.. مغازلا :

-و أنت جميلة جدا ؟

يبدو إنها لم تفهم ماقلت لها ..هل هي ليست عربية، لكني أشرت لها بيدي بمعنى «أنت جميلة» وضممت أطراف أصابعي مع بعضها وقبلتهن كي اوصل إليها المعنى نفسه ،إبتسمت وشكرتني بطريقة سهلة فهمتها بسرعة، شعرت بالضيق بسبب إحتمال أن لاتكون عربية خصوصا أني لااجيد سوى العربية ،هل حوارنا سيبقى بلغة الإشارة ،قطعت ذلك الانسجام المضيفة التي إقتربت منا لتسألنا ماذا نطلب ،هي لم تطلب شيئا، لكني طلبت إثنين نسكافيه.. لي ولها. لم أستطيع أن أسألها عن أسمها بالإشارة ،لكني أخرجت من جيبي قلم وورقة وكتبت لها على ظهر تذكرتي (ما اسمك)،أخذت مني القلم وكتبت على تذكرتي (سوسن)، هل هي عربية ..لكن إذا كانت عربية فلماذا هي

لاتحدثني بدل من لغة الإشارة تلك ، كتبت لي هي بدورها (وانت ماسمك) كتبت لها اسمي وأعجبها اسمي كما أعجبني اسمها وطالما إنها قد فرضت علي لغة الإشارة التي لاأجيدها أبدا ،فقد إستعنت بالقلم والتذكرة التي إمتلأت بالخطوط ، سألتها عن جنسيتها ..بالقلم والتذكرة !!

أجابت أيضا بالقلم والتذكرة إنها ..من بلدي ..

شعرت بالحرج من أن أسألها لماذا لا تتحدث إلي مباشرة، كتبت لها «أحب أن أسمع صوتك» لكني تراجعت وقمت بتظليل العبارة بالقلم حتى اخفيتها تماما، نظرت في وجهي ثم قالت بالإشارة بأن لاأحلق وجهي أبدا لأن الحلاقة تضر بالبشرة ،وعلي أن أطلق لحيتي أفضل،حضرت المضيفة الجميلة أيضا ..لكن بالطبع أن جمالها لايذكر أبدا مقارنة بجمال سوسن،

قدمت لنا كاسات النسكافيه الورقية.. وعندما قدمت لها كاستها تفاجأت لكنها أخذتها ،إبتسمت وشكرتني بأدب راق، لماذا لاتكون سوسن هي صديقتي الجديدة طالما أني لاسافر عبر تلك الحافلة إلا بعد كل صدمة عاطفية كبيرة ويكون سببها الجنس...اللطيف ، هي ليست مثيرة ..أقصد أن جمالها ليس جمالا صارخا ،لكنها من ذلك النوع من البشر الذي يتعلق به القلب كتعلق الطفل الصغير، كتبت لها (أتقبلين صداقتي؟)

دون أن ترد بالكتابة أشارت إلي بالموافقة وبكل سرور ،ثم مدت يدها مصافحة ،ملمس يدها حرك أحاسيسي ونبض ذلك القلب الضعيف من جديد ،بلا شك أن ذلك القلب قد تجاوز حدود الصداقة بنبضاته ..خلال لحظة، فقبلت يدها الناعمة ..الرقيقة ،إبتسمت ثم سحبت يدها من يدي ثم قبلتها على نفس موضع قبلتي، هنا ..نبضات قلبي قد دفعتني للمصارحة أكثر فكتبت لها (أنا أحبك وأريد منك أن تبقي معي إلى الأبد ؟)

تفاجأت كثيرا من طلبي فأشارت بيدها منبهة بمعنى (لايمكن.. هذا مستحيل !)

ثم أرتني الخاتم الذي يقيد أصبعها عندما وضعت يدها أمام وجهي أي أنها متزوجة ،

***

وصلت الحافلة إلى محطتها الأخيرة ..خرجنا ..توجهنا إلى صندوق الحقائب ،ماان جذبت حقيبتها الكبيرة حتى تحطمت عجلاتها..وضعت يدها على فمها مصدومة ،أمسكت أنا بحقيبتها وقلت لها بمعنى لاعليك ..حملت حقيبتها على ظهري ،أشارت إلي بمعنى أن الحقيبة ثقيلة جدا ،رديت بمعنى أن لاتهتم لذلك، حملت حقيبتي الصغيرة أيضا ..طلبت مني أن أعطها لها كي تحملها لي فرفضت..تلفتت ..لم ترأي شخص في الانتظار، خرجنا من الشركة ..مشينا لأكثر من نصف ساعة..حتى وقفت أمامنا عربة وخرج منها شاب وسيم أنيق..ملتحي احتضنها وقبلها بشوق ،عندما نظر إلي متسائلا عرفته علي بأني صديقها طوال الرحلة وقد حملت حقيبتها الثقيلة ، إبتسم شاكرا ثم أقترب مني وإحتضني وقبلني كما وأنه يعرفني منذ سنوات ، وضعنا الحقيبة في صندوق العربة ، عرفت إنهما من الصم والبكم أي لايتكلمان ولا يسمعان ،وذلك الشاب هو زوجها، صافحتني وضمت قبضتها لتلكم قبضتي لكمة خفيفة «شعار الصداقة» أعطياني عنوانهما في الفندق وأصرا على أن أزورهما ، لكني لم أذهب . لم أرد الدخول إلى عالمهم لأن عالمهم هو الأجمل والأنقى والأكثر رقي من عالمنا .

سَلوى والثُّلَّيْجَة

عبد السلام مصباح- المغرب

فتح الحارس باب المدرسة واندفعتِ التلميذات، كل واحدة تريد أن تسبق الأخرى نحو بائعي الحلويات والمثلجات..غير بعيد عن الباب وقف بائع المثلجات، أسرعتْ إليه سلوى. أدخلتْ يدها في جيب وزرتها وأخرجتْ درهما أسقطتْه في يد البائع الشاب، بدوره أدخل يده في الصندوق وأخرج واحدة عارية، لا ورق يكسوها ويحميها، ومدَّها إليها باسما ومرددا:

- إنها باردة

- شكراً، قالت سلوى

كان الفصل صيفاً، ويده تنزف عرقا..

ركضتْ سلوى سعيدة نحو البيت..ألقت محفظتها على الكرسي وأخذت تمصُّ ثليجتها حتى أتتْ عليها وجلست تمصمص شفتيها

وحين حان وقتُ الغذاء وجلسِت الأسرة حول المائدة أطلقتْ صرخة جعلتْ كل من كان حول المائدة يتوقف عن الأكل ويتطلع إليها...كان ألمها قويا لم يتحملها جسمها الفتي

كانت تصرخ : بطني، بطني

هبَّتِ الأم وجرتْ نحو المطبخ وعادتْ حاملةً معها: زعترا، قرصاً للمعدة، مياه معدنية غازية

لكن لا، لا شيء أراح الباكية

حملها الأب بين ذراعية وخرج مسرعا إلى طبيب الحي، سمح لها كل المرضى بالدخول أولا، فقد كان صراخها ودموعها شفيعين

فحصها الطبيب ورفع رأسه سائلاً الأب: ماذا أكلتْ؟

أجاب: لا شيء من الطعام

رفع الطبيب رأس المتألمة بين يديه وسألها:

- ماذا أكلتِ في المدرسة؟

+ لا شيء،

- لا شيء، أنت متأكدة.

+ لا، فقط ثُليجة.

قال الطبيب:

- وحدها كانتْ كافية لتزرع بطنك مكروبا

كتب لها دواءً وأرسلها لجناح ثان لغسل المعدة.

بعد طويل عذاب ارتاحتْ واسترجعتْ عافيتها

وفي المدرسة علمتِ الأستاذة بما أصاب سلوى، فاقتطعتْ من حصة الدرس دقائقَ وخاطبتْ تلميذاتها:

- جميل أن نتناول في هذا الفصل من السنة مبردات، بما في ذلك المثلجات تخفيفاً للحرارة، شرطا أن تتوفر فيها شروط النظافة، أن تكون مغلفة بورق، وفي صندوق نظيف، ومن يد بائع نظيف، وأن تكون يد الآكلة أيضاً نظيفة من بقايا الطباشير وغيرها قبل أن نُحملها إلى فمنا

تذكَّرنَ دائما: النظافة من الإيمان.

لقاء عابر

د. حسين جداونه- الأردن

خلقت لا أعرف إلا أمّي وأبي، وقطيع المواشي الذي تولّى والداي رعايته، فانضممت إليهما. كنت أعتقد أن العالم ينتهي عند حدود قريتي والمراعي التي نغدو إليها مع طلوع الشمس، ونروح مع مغيبها.

لم نكن ننال من الطعام إلا أقله، أو بقاياه. ومع هذا لم نكن كأسرة تعيش على الهامش نتذمّر أو نتأفف أو نفكّر بتغيير معيشتنا. كنت أعتقد أنّ العالم الذي ننتمي إليه يعيش عيشتنا، في العراء والقرّ والحرّ والجوع والعمل المتواصل مقابل لقمة العيش ورضى السيّد عنّا.

في أوّل الربيع قرّر راعي البيت أن يرحل إلى مراع أكثر خصبًا. حمّل المواشي في سيارة شحن مكشوفة، وركبنا بدورنا مع الماشية. انطلقت بنا الشاحنة مع شروق الشمس، مررنا بقرى عديدة، ثم عبرنا شوارع واسعة ونظيفة، اصطفّ على جانبيها عمارات شاهقة، وازدحمت الشوارع بالسيارات الصغيرة والكبيرة، وعدد كبير من الخلق يتحركون في كل اتجاه، وروائح اللحوم الشهية تنبعث من كل مكان، بحيث لم أسيطر على لعابي من السيلان.

على الإشارة الضوئية، توقّفت شاحنتنا وتوقّف إلى جوارها سيارة فارهة، تقودها سيّدة تضع على عينيها نظارة شمسيّة. وفي المقعد الخلفي، جلست وحدها، نظيفة، مسرّحة الشعر، تلمع عيناها ببريق أخّاذ، لم أستطع مقاومته. بدت بصحة جيدة، تضع في عنقها سلسلة ذهبية، وترفع شعر رأسها بشريط أحمر. كنت ما أزال أحملق بها مبهورًا، عندما لمحتني أنظر إليها بشغف. كم كانت سعادتي عندما خلتها تبتسم لي. أحسست أنّني أعرفها منذ زمن طويل، ولأوّل مرّة تخنقني رائحة المواشي النتنة.

تحرّكت المركبات ببطء، فأدركت أنّني لن أراها بعد اليوم، هززت لها ذيلي محييًّا، وردّت على تحيتي بهزّ ذيلها.

آلة حياكةٍ بشرية

رغد النابلسي- سوريا

الخامسة عصراً..

السماءُ توازي الأرض كعادتها، لكنهما تكسران قاعدة التوازي وتلتقيانِ، تلتقي السماء بالأرض عبرَ المطر هاطلاً، عبر الدعاء صاعداً، وعبر تلك السيدة الجامعةِ للينِ الطين مع رِفعة السحب!

***

سيدتي.. ها هو كوب قهوتك، أضفت إليه الوردَ الجافّ كما تحبينه.

لم يتضح بعد..

ما هو يا سيدتي؟

أي الفساتين سيكون الأخير، لم يتضح هذا بعد، ولمن سُيهدى، مَن ستسدله لينسكب على تفاصيل جسدها، من ستختال به، كيف ستكون ياقته وكمّاه ولونه.. لم يتضح بعد! تبتسمُ الفتاة بقلة إدراك للسيدةِ الستّينية، ترفع بصرها فتتذكر أن غرابةَ أطوارِ سيدتها ليست في العبارات التي قالتها قبل قليل فحسب، بل في كونها تخيط الثياب وسط هذه الغابة، تحت الشتاء أو القيظ، في الليل أو في النهار، كمدمنة لفعل الخياطة، وكأنها آلةُ حياكة لا سيدة، لم تبحِ لها بما جال في خاطرها، حملت الصينية الفارغة ودخلت الكوخَ تحتمي به من كمّ الألغاز التي تحاصرها.

***

سترتدي الصغيرة ثوبَ الأمل، يتمنى أهلها أن تكبرَ وتصبح معلمة، سترتدي تلك الصبية ثوبَ الفتنة والحسن، تلاحقها الأعين مبهورة بجمالها، سترتدي المُسنة ثوب الحكمة تنتظر مارًّا توزع عليه حكمها فلا تجد، أخيطُ الأفكارَ لمخرج المسلسلات، أخيط الأحلام للمتأرق فاقدِ النعاس، عساه يستمتع بها رغم أرقه ولا يُحرم نكهتها، أخيط لليل بزّة نجومه، ألبسُ الصيفَ قبعة تقيه

شمسَـه، هـذه أنـا، لا أعلـم كـم ثوبـاً وكـم معنـى حِكـت وخطـت، لكننـي أعلـم أن العمـرَ امتـد وآن انتهـاؤه، وأودّ أن أحيـك الفسـتان الأخيـر.. فلمـن سـيكون؟

***

الثامنة مساءً..

تُذهـل بالثـوب الأخيـر، لا تصـدق أنهـا مـن صممتـه وخاطتْـه، ترفـع بصرهـا للسـماء، لـم تـدرِ مسـاعدتها لمـاذا اختـارت الغابـة موطنـاً لهـا، لكـي تكـون دومـاً قريبـة مـن كل عنصـر طبيعـي تفتقده، لأنهـا ترفـضُ أن تُطـوى وسـط سـرير سـتراه ضيقـاً مهمـا اتسـع، هـا هـي تحتـاج امتـداد السـماء، فتجدهـا بالقـرب، تهمـس بهدوئهـا المعبـر: ربّـاه.. لمـن سـيكون هـذا الثـوب الرائـع؟ لـم يسـبق لـي أن اشـتهيتُ مـا أخيطـه، أعـرف مهمتـي ولـم أجرؤ علـى تمنـي امتـلاك شـيء، ففـورَ امتلاكـي للعاعـات الدنيـا سـأمتَلك، وعيـتُ المعنـى منـذ صغـري وبهـذا اختلفـت عـن الجميـع، الامتـلاك فـخ، الأشـياء هـي التـي تمتلكنـا، ندمنهـا، نصبـح منقادين لهـا، باحثيـن عنهـا، وأنـا لـم أدمـن سـوى الحياكـة لعلمـي بهدفهـا النبيـل العميـق.. لكننـي.. أشـتهي امتـلاك هـذا الثـوب الآن، فهـل امتلاكـه سيفسـد علـيّ خلـودي؟ خلـودَ مبادئـي؟

***

الخامسة فجراً..

غفـوة طويلـة تخـرجُ بعدهـا المُسـاعدة مـن الكـوخ، تُبهَـت، لا أثـر لآلـة الحياكـة، لا أثـر لسـيدتها الخيّاطـة، ولا أثـر لأي تفصيـل تركتـه خلفهـا، رفعـت بصرهـا، لـم تجـد السـماء، اصطدمـت نظراتهـا بسـقف وطـيء وبـلاطٍ لا تتضـح نهايتـه، لـم تعثـر علـى الشـمس، بحثـت عـن نافـذة دون جـدوى، شـعرت أنهـا حبيسـة لا فـكاك لهـا!

***

الخامسة عصراً..

خياطـةٌ اشـتهت الثـوبَ الصحيـح، الثـوبَ الـذي كُتـب لهـا منـذ وُلدت، أحسـتْ بالرضـا عـن تمنيهـا فغطسـت فـي الثـوب بـلا تـردد، انطوت الغابـة فيهـا، تسـللت الشـمس إلـى صدرهـا، انضـوت المـروج تحـت جناحهـا، هفـت، حلقـت نحـو السـماء، تراقـب الكـوخ المُفتقـد لغابتـه وتبتسـم هامسة:

كان الثـوب المكتـوب لـي هـو ثـوبَ الحريـة منـذ البدايـة.. لـم أمتلكه، بـل تمثلتـه، وهـا أنـا أحلـق.. لا نهايـة لتحليقـي ولا حـدود!

شال امي الأخضر

مهدي الجابري- العراق

يروح ويجيء بيننا متجاهلا كل من حوله مضطربا.

خلت انه لا يرانا، غرته مبللة بالعرق جبينه يلمع تحت شمس الصحراء، يركض من حفرة على حفرة يركل الرمال بقدميه، يضع سبابته على صدغه وكأنه يحاول التذكر كبير فريق حقوق الانسان يراقبه.. العسكر وفريق التنقيب توقفوا عن العمل وأخذوا يتابعون حركته البندولية التي لا تتوقف.

أحد المنقبين رفع يده بخرقة بالية وكأنها شال بهت لونه وتقطعت خيوطه.. انقض عليه كالصقر تلمس الخرقة نفض التراب عنها راح يبكي كطفل ويصرخ شال أمي اقترب منه كبير فريق حقوق الانسان هدئ من روعك..هل تعرفت على الموقع هل المقابر كلها هنا رفع اليه بكفه فاردا أصابعه الخمسة ممتاز كل هذه الصحراء ونعثر على خمسة مقابر جماعية انجاز ... لكن كلمنا ماذا حدث؟

جلس محتضنا الشال وراح يحكي بصوت خفيض ونظرات شاردة وكأنه يكلم نفسه.

كانت حرارة حديد العربات لا تحتمل، الشمس تحرق رؤوسنا وكانت أمي تمسح دموعها بطرف شالها الأخضر وتظللني بطرفه الآخر إختلط نضح عرقنا بالدموع ليرسم خطوطاً مع التراب على وجوهنا، سلاح الحمايات في صدورنا، سأل أحدهم: أين نحن ذاهبون؟ كانت الإجابة! أنتم عملاء لدولة مجاورة عدوة ، لاكلام للخونة! لم أكن أعلم ماتعنيه كلمة الخونة.. ولا كلمة العملاء ولا كلمة عدو الأرتال تتجه إلى طريق صحراوي بعيد جدا، ولازلنا نرتطم ببعضنا البعض، وصلنا إلى بناء قديم في الصحراء أشبه ما يكون بسجن، أنزلونا والضربات بالعصي والهراوات تتلاعب على ظهورنا، بقينا على هذا الحال في

المنفى، حتى زارنا مسؤول كبير قال: وكل هذه الاعداد من الخونة ولا زالوا يأكلون ويشربون من خيرات البلد؟!! نفذوا حكم إعدامهم جميعا.. أصعدونا بذات المركبات العسكرية إلى أبعد نقطة، كانت هناك حُفر كبيرة جاهزة، صاح أحدهم أرموا الخونة في قعر التراب وساووا بهم الأرض، قلبت العجلات أحواضها محملة بالبشر كما تقلب أكداس النفايات، تعالت الصرخات منا وأرعبت الموجودين، تقدمت الآليات الثقيلة لتساوي بهم أديم الأرض بالأحياء، أمي كان شغلها الشاغل انا أمسكتني من يدي ورمتني خارج الحفرة تلقفني أحد الجنود خلت أنه سيعيدني إلى القبر لكنه على عجل ضمني إلى صدره حتى خلت أن القلادة ستخترق جبهتي استغل انشغال الجميع مسح دمعتي وطمرني بقليل من الأعشاب اليابسة كان مختلفا عنهم لم يضربنا طوال رحلة الموت وكان في عنقه قلادة تلمع تحت الشمس أنسحب الجميع، أخذت أصرخ وأرفس التراب بقدميّ و أخذتُ أبحث لعلي أصل إلى أمي ولكن دون جدوى، كأني للآن أسمع صراخهم، أخذني الخوف والتعب فوقعت مغشيا عليّ، حتى أيقظتني أشعة الشمس الحارقة، نهضتُ خائفاً اتلفت وأجول الصحراء ببصري لا ظل ولا ماء ولا طعام، حتى لاح من بعيد غبار اخذ يقترب مني رويدا رويدا، تبينته وإذا بها سيارة قادمة غاب نظري تشوشت الرؤية وجف حلقي ورحت بسبات أسبح بالفضاء يظللني شال أمي الأخضر أفقت في بيت السائق على يد سيدة تسقيني الماء ..

قطع حديثه إذ رأى الحفرة تتسع قفز فيها بين أكوام من العظام ... وأخذ يصرخ: القلادة ... ذاك الجندي كان بينهم ..القلادة ...كان بينهم..

غصة

حورية اقريمع- المغرب

إنها ضياء الفتاة ذات العشرين ربيعا...وهبها الله جمالا أخاذا وكأنها» البدر في فلك السعود «.....مسالمة...ليست من النوع الذي يحب المشاكل تقطن في شقة مع أمها وابنتها الصغيرة سندس ذات الثلاث سنوات وهي مطلقة من سنة ونصف تقريبا...وتجربة الزواج هي من مآسي حياتها وغلطة عمرها كما تعتقد...حياتها بسيطة جدا وحركاتها محدودة بين أشغال البيت وأخذ سندس إلى الحضانة....

حاولت مؤخرا أن تستوعب ما حصل في حياتها وتخرج من منطقة الراحة فقررت إتمام دراستها كحل لذلك...وكمحاولة منها للتغلب على الخوف الذي كان يعتريها كلما اقترب منها أحدهم...فصدمتها من زوجها السابق والذي كانت مغرمة به حد الجنون أفقدتها توازنها وأصبحت تشك في الكل وهذا سبب انغلاقها على نفسها....

بعد أسبوع بدأت الحصص الدراسية بالكلية...كانت دائما تبحث عن مكان منزو تجلس فيه...حذرها الزائد يمنعها من تكوين علاقات ...كان كلما يحين موعد كليتها تحس بثقل على كاهلها تتردد...تختنق وتعود لفراشها...ثم بعدها تتشجع وترفع همتها وفي طريقها تقدم خطوة وتؤخر أخرى....

أخذت تنظر إلى عقارب ساعتها عندما سألها الدكتور معتز عن مدى استيعابها للنظرية التي كان يشرحها...أومأت له بالايجاب..

بعادتها خجولة...لا تستطيع التركيز بملامح أي كان أكثر من اللازم...

مر الوقت سريعا عليها هذا اليوم...خرجت من الباب الرئيسي للكلية كانت تفر من التجمعات كعادتها...حتى وجدته أمامها

ينظـر إليهـا مبتسـما.

. وأردف قائلا...مـا رأيـك ضيـاء أن نتمشـى قليـلا تحـت ظـل الأشـجار بعدهـا أوصلـك للمحطـة ...لـم تشـأ أن تحرجـه فوافقـت علـى مضـض...

وصـلا المحطـة بعـد عشـرين دقيقـة كان سـعيدا بكلامـه معهـا... وقبـل أن تركـب الحافلـة أخـرج ورقـة مـن جيـب سـترته الرماديـة وسـلمها إياهـا وطلـب منهـا ألا تفتحهـا إلا بعـد مغادرتـه ...ركبـت الحافلـة فتحـت الورقـة نظـرت بارتبـاك إليهـا شـعرت بـدوار خفيـف عـاودت قـراءة الكلمـة ظنـت أنهـا أخطـأت ولكنهـا نفسـها « أحتـاج إليـك»

أردفـت قائلـة بصـوت مسـموع (أنـا) نظـر إليهـا الركاب...اقشـعر بدنهـا وشـعرت بالاحـراج بـدأت تتصبـب عرقـا لـم تسـتطع التغلـب علـى توترهـا أطلقـت تنهيـدة طويلـة مـاذا دهاء يـا ضيـاء !!! أكل هذا الارتبـاك مـن محاولـة اقتحـام رجـل لحياتك...تناهـى إلـى مسـمعها صـوت صديقتهـا نجـلاء (كل الرجـال متشـابهون).

إن قلبهـا يـدق بمعـدل ١٨٠ دقـة فـي الدقيقـة الواحـدة كيـف حصـل... بـدأت بترتيـب أفكارها...مـاذا سـتقول له...هـل سـتوضح انزعاجهـا مـن رسـالته أم بسـعادتها لاقتحامـه عالمهـا الخـاص...راجعـت نفسـها قبـل ان تضغـط علـى زر الإرسـال....

مـر الوقـت عليهـا فـي الحافلـة بطيئـا حتـى وصلت إلـى البيـت منهكة التفكير...دخلـت غرفتهـا فوجـدت صغيرتهـا نائمـة طبعـت قبلـة على جبينهـا بدلـت ملابسـها...كانت والدتهـا فـي الصالـة تقـرأ وردهـا اليومـي جتـث علـى ركبتيهـا وقبلـت كفيهـا مخاطبـة إياهـا: رضـاك أمي...بعدهـا توجهـت إلـى المطبـخ لتحضـر وجبـة العشـاء وهـي تـردد أغنيتهـا المفضلـة ...

وبعدمـا صلـت صـلاة اسـتخارة اسـتلقت علـى فراشـها ناظـرة لسـقف الغرفـة تحـاول تذكـر ملامحـه وشـكله وصوتـه ..قـرأت الرسـالة مـا يقـارب العشـرين مرة...أحسـت بغصـة فـي حلقهـا غالبتهـا جفونهـا

وغطت في نوم عميق من شدة العياء.

وفي اليوم الموالي وبعد انتهاء حصتها لاحظ الحزن باد على محياها...تعمدت أن تخرج قبله تاركة على مكتبه ورقة بيضاء صغيرة...

فتح الورقة...خرج مسرعا خلفها...لكنه لم يعثر لها على أثر.....

بقعة في جسد آسيا

أحمد غانم عبد الجليل- العراق

الحياة تشرق في عينيها الخضراوين كلما نظرتُ إليهما بين الحين والحين، دون انتباهٍ منها، تتحدى سأم الانتظار المشاكس صفاء وجهها طفولي الملامح، يتلألأ بياضه في سطوع شمس الربيع، يبدد دفؤها البرد والرطوبة المتخللين عظامي.

كانت ترمق ساعة يدها كل برهة وتزفر ثقل الوقت الماضي دون وصول حبيبٍ (غبي) تأخر عن موعدهما، مؤكد أنه حبيب غبي ليترك مثل هذه الغادة المتفتحة تجلس في شرودٍ مثير يسكن الطاولة المقابلة في الكافيتريا التي اعتدت الانزواء فيها لبعض الوقت منذ السنوات الأولى لاستقراري هنا، تطل على منحدر جبل ينصرف بطبيعته الرحبة عن زحام المدينة وضجيج أنفاسها اللاهثة، عندما يقبل البرد يغطونها ـ الكافيتريا ـ بغطاءٍ سميك تخبطه الريح خبطاتها القوية مع زخات المطر المترامية فوق الخضرة اليانعة والأشجار متمايلة الأغصان، كما لو كانت في حفلٍ راقص، يغمر أطرافها فيض الجداول المنسابة بسرعة تحتً هزيم الرعد ووميض البرق الخاطف، فتنازعني رغبة التخفف من معطفي وكل ملابسي والركض عاريًا، بالكاد أواري عورتي، أطارد حلم الولادة من جديد في جنبات الفردوس، أنزع عني عمرًا ناهز الخمسين دون أن يثمر عن شيء، ليس أكثر من موظف مبرمَج على الأرقام، جُبل على العمل هنا وهناك حتى يواجهه يوم لا يدرك فيه سوى رقم صفر، سواء كان على شكل نقطة ختام أو حلقة بيضوية تؤطر ما تبقى لي من حياة وهشيم آمالٍ لم تتحقق، وحكايات متفرقة نهاياتها أشبه بذيول انسحاب متشرذم من جبهات القتال، درت في حلقة هزائمها طويلاً، ولا فرق بين ما انسقت إليه مرغمًا وما اخترت بحماقة إرادتي، فالنتيجة واحدة الآن، ولا سبيل أمامي للرجوع إلى حياة خاوية ليس لي فيها من أفتقد

ولا من يفتقدني، والذكريات سكرات حنين أفيق منها سريعًا بجرعات مشروب محلي قوي المفعول أو جسد انفض عنه الرجال وصار سعره في متناول اليد، يستنزف أحدنا الثاني كما لو أنه يخوض نهاية اشتباكه مع الدنيا ثم يعلن النفور أوانه، قد أجد في إحداهن، دون بحثٍ مني، بعض طيف آخر امرأة تزوجتها قبل نحو ثلاثة عشر عاما، رأيتها في ذات المكان، جمالها يرنو من ملامح الشابة الحسناء الجالسة أمامي، أنوثتها كانت أكثر اكتنازًا، انثالت أمطارها فوق صحراء المغترب المتشبث بسنوات الثلاثين المارقة سراعا، ذات سرعة إقبالي وتجاوبها ومن ثم إقامتنا معًا في ذات الشقة، كنت أعمل في فرع شركة استثمارية كبيرة أخذت مكان مبنى حكومي قديم اعتلته راية حمراء عقودًا، أثبت وجودي في متابعة حساباتها، مسابقاً جداول الكومبيوتر، فأغدقت على سحرها الريّان كل ما أقبض، ووفرت للحياة الجديدة المتكورة في رحمها، بعد فقداني الأمل في الإنجاب واعتيادي حرمان الأبوة من ضمن ما اعتدت، لكن نبضات الجنين الكامنة في أحشائها رست في صدري حتى بعد ولادته التي لم أشهدها، هربت بحبلها وما ادخرتُ إلى بلاد الرخاء الحر التي أزاحتني عن أرضي إلى هذه البقعة الصغيرة المستلقية في حنايا جسد أسيا، يكاد إسمها لا يذكر في أخبار الفضائيات، ولم تضمها خرائط اللجوء السابلة، ربما كانت قديمًا ضمن ممر طريق الحرير العتيق، أو تتفرع من أحد جوانبه، أما الآن فلم تعد سوى مطمح تاجر خالِ الوفاض جاء يبحث عن واحة آمنة للسلام ينزع فيها أسماله المرقعة بالرايات.

سافرت وخلفتني إلى حرمان جديد، يحتد نزيف الأسئلة وطنين أجوبتها في رأسي، إنً كانت أنجبت ولدًا أم بنتا، أم أنها أجهضت قبل الرحيل لتتخفف من عبء المسؤولية في عبث حياتها الجديدة، سأراه أو أراها ذات يوم، سيعرف أحدنا الآخر، أين سيتم ذلك اللقاء الدرامي الغريب كغربتنا، أي لغة ستضم حوارنا، أي انتماء سيجمعنا، أنا الأب فعلاً بإرادة إلهية أقرب إلى معجزة أبت ألا تكرمني بذرية إلا بعد أن دك اليأس

مقتبل العمر ومسني المشيب أم أنه وهم آخر تلذذت بخدره حتى أدمنته وصار حقيقة أريد ولا أريد الفكاك منها؟ تعوزني شجاعة المعرفة وقدرة البحث في دائرة مفرغة جديدة تغرسني في ذات الرقم المألوف لدي، ليلة أمس فقط أخرجتني من ظلماء قوقعته مكالمة من شابة قالت إنها صديقة أم ولدي ـ الهاربة ـ كانت في أمريكا وعادت قبل يومين، أوصتها أن تقابلني لأمرٍ هام يخص ولدنا!

بدد رنين الهاتف شرودي، طرق أذني ذات الصوت الناعم، يعاتب في ضيق عدم التزامي بموعدنا الذي سلبني النوم بعد مكالمتها الغريبة وشتى الأفكار والهواجس تجوب رأسي في توجس شهد شروق الشمس، ثم فاجأتني بضحكة طفولية ناعمة استفزني تلاعبها بأعصابي عند إقفالها الخط، أكملتها من كنت أتلصص على جلستها المتململة لدى انتقالها إلى طاولتي، انتهت من كركرتها بقولها أننا نسينا أن أحدنا لم يرَ الآخر من قبل فأمضى كل منا انتظاره المنفرد دون جدوى، جاملتها بقهقة بسيطة مغتاظة، مني ومنها، أوصلت إليها مدى تلهفي لمعرفة كل شيء عن ولدي الذي لم تذكر إسمه وأنا من هول الدهشة لم أفطن إلى السؤال إلا بعد الاتفاق على الموعد وإنهاء المكالمة المقتضبة، حديثها أيضًا كان كذلك وكل حواسي مختزلة في أذنين خاضعتين لكل كلمة تنطقها الشفتان المطليتان بحمرة غامقة، تزغردان بشرى احتضان الفتى العائد إلى أحد أوطانه مع أمه التي قررت الزواج من رجل ثري هاجر إلى أمريكا منذ عقود، اشترط عليها التحرر من عبء أمومتها لابني... (ابني أنا) المراهق وشرقي الملامح.

سألتني عن رأيي، استغرقت في صمت الذهول حتى أفرج عن ابتسامة أخذت تتسع مثل هالات الضياء في إبكار الصبح، تهبني حلم الولادة من جديد.

إني أغرق

د. سيد شعبان - مصر

مع لفحة الجو الذي يبدو أنه لهيب جهنم الحمراء كما يقول أبي، لا أخفيكم سرا أنني كائن شتوي، يفر من الصيف حيث لا أطيق ذلك الفصل بوخمه وجمره، هذه الأيام كنت في سفر حيث متاهة الزمن التي آوي إليها؛ تلمسا لراحة عقلي مما يقض تلافيفه من أفكار تخرج دائما عن سياق المنطق، عاودني الحنين لأن أسبح في النهر، حين كنت صغيرا فعلت هذا حتى الضفة الأخرى، في رحلتي التي أشرفت فيها على الموت، لم أجد منقذا لي من الغرق إلا تلك الكومة من ورد النيل، أحاطت بي يد العناية الإلهية جعلت تلك التلة ذات النتوء البارز وسط النهر واحة النجاة !

انتفخت بطني بصورة غير معهودة، أفرغت ماء يبدو أنني تحولت لكائن بر مائي، اختلطت بل تداخلت صور حياتي، أحلامي صارت رهن نزق الأمواج، الأسماك أحاطت بي، الجنية المرعبة خايلتني فالموت له رسل تجذب الغريق نحو الهاوية.

وخزات الندم انثالت علي موبخة؛ ما الذي دفع بك إلى تلك الهاوية حيث قرارة اليم؟

خذلتك قوتك حيث عصيت نصيحة أمك؛ ينفطر قلبها حزنا عليك، الروح تبلغ بك الحلقوم، الهواء له ثقل يوشك أن تنفجر منه رئتيك.

تلوح من بعيد لمعة الحلم المتدثر بوشاح أسود، الحياة كئيبة يبدو أن الفنان الذي كلف بطلاء البيت أمعن في غفلة من أهله فسود الواجهة.

التردد يحيط بي من كل وجهة أنى صرفت وجهي تأخذني

دوامة وراء أخرى، لكن دعوات أمي لم تتركني خلاء من الرحمة.

أحقا ما تزال المعجزات تتنزل من السماء؟

لست في معرض الجدال فالغرق يحيط بي، أسلمت روحي للذي خلقها، كل ما يشغلني في هذه اللحظة الفارقة أنني لم أطلب من أمي أن تسامحني، سأترك في قلبها حسرة لن ينتهي ألمها سريعا!

تتدلى يداي وسط موجة مباغتة، أشعر أنني أغرق، ابتعد عني يا نزار فما أوقعني في وسط اليم إلا شعرك.

التجربة ذلك الوهم الذي دفع بي لكل هذا، ليتني كنت قعيد البيت عاجز الهمة، تناثرت أحلامي وها هي الآن تتخلى عني وسط ذلك النهر الغول.

سفينة ذات شراع أبيض تقترب من تلك الكومة ذات الزهر البنفسجي تلقي إلي بحبل نجاة، هو قديم مهتريء لكنه في تلك اللحظة يفوق تيجان الذهب وشرفات القصور، تبقى الحسناء ذات شلال الشعر المنسدل على خدها الأسيل، لتذهب كل الخيالات إلى غير رجعة.

يد حانية تقترب مني حيث لاحت النجاة وسط الهاوية، حين كنت بين الحياة والموت رأيت رجلا يرتدي ثيابا خضراء يمسك بكتاب ذي ألوان أشبه بتموجات الضوء حين تتكسر أشعة الشمس على صفحة النهر.

أنا بخير، يبدو هذا بالنسبة إلي رجاء من يتعلق بسر الحياة رغم ما يحيط بي من أهوال، لكن هذا ما أتمناه، غير معقول أن أكرر نفس الخطأ مرة وراء مرة، الحذر نجاة هذا ما تعلمته مما أحاط حياتي من نزق، كلما نظرت النهر ابتعدت عنه.

أمي وجدت في طفلها المطيع الذي يمتثل لنصائحها فقد دونت أكثرها وجعلته في مطوية أقلب وريقاتها حين يداعب النوم أجفاني، فلا طاقة لي بمغامرة أخرى، حتى زوجتي صرت

أمتثل طواعية لبعض تمائمها، تطلق سحابة البخور كل صباح؛ هذا يجعلني مثل خاتم في إصبعها. بالرغم من أن رأسي اشتعلت شيبا، أولادي يتندرون بي كلما اقتربت من النهر أخذت أعدو بعيدا.

زلزال

أليسار عمران - سوريا

كنتُ أعيدُ صياغة برنامج حياتي، وأسألُ نفسي أسئلةً جديدة وجوديَّة ،ترى ماذا يريد الانسان ليكون سعيدا!؟

وحصلتُ على الجواب بعد الانفراد لمدة أسبوعٍ كاملٍ وحدي

يريدُ أن ينام جيداً، ويستيقظ بطمأنينةٍ، يشربُ قهوته على صوت فيروز ويباشر عمله، وعليه أن يمشي ساعتين متواصلتين لأنّ الأفكار العظيمة تتخذ أثناء المشي، وبعدها يجلس في الليل ليقرأ أشياءً جديدة أو يكتب بعض القصائد الجميلة

المنزل كبيرٌ كوطنٍ كبيرٍ ولكن ما حاجتي بمساحته، كلّ ما أحتاجه هو سقف غرفةٍ صغيرةٍ أعتزل به العالم، جيراني في الصالون بدت عليهم الألفة والسعادة، فقلت هذا جيد، عليهم أن يعتادوا الحياة دوني ويبرعون في تحضير بعض الواجبات لوالدهم لم لا!؟

كانت الساعة تشيرٍ إلى الرابعة صباحاً، حين دخلتُ في غيبوبة النوم، لكن أصواتاً غريبة تسربت إلى مسامعي، تشبه الغليان، نهضَت مسرعةٍ وجلست، وبدأ كلّ شيءٍ يهتزّ حولي، كان صراخي مختنقاً أحاول جاهدةً أن أركضُ باتجاه أولادي وأنا أحتمي بهم

جلستُ على الأرض أقرأ بعضاً من الآياتِ،ويحتضنني ولدي الصغير وهو يقول: لا تخافي لا تخافي، يأخذ دوماً ولدي مهمة الأب للجميع

صرخ بالجميع: تحركوا إنه زلزال كبير

ركضنا جميعاً فتحنا الباب، وإذ بأصوات الجيران تعلو وتعلو لقد خرج الجميع مع أطفالهم تحت المطر، تدحرجتُ على مستنقعٍ من الوحل والتوت ساقي، وتجمعنا في السيارة، كان

عـدد السـيارات فـي الشـارع يفـوق الألـف، والنـاس فـي الشـوارع تحـت المطـر، خرجـوا بأطفالهـم مـع الأغطيـة، عجائـزٌ تتلـوى فـيَ مشـيتها

بعد ساعةٍ بدأنا نسمع دوي سيارات الإسعاف في كل مكانٍ

التغطيـة مقطوعـةٌ، لا اتصـالاتٍ، لـم أتوقـع للحظـةِ واحـدة أن يكـون هنـاك خسـائر ماديـة وبشـرية، ومـن شـدّة الصدمـة لـم أشـعر بـأي شـيءٍ

بعـد ثـلاث سـاعاتٍ هـدأ النـاس وعـادوا إلـى منازلهـم، فعـدتُ إلـى غرفتـي إلـى عالمـي الوحيـد المسـتقل ولكـنّ اسـتيقظت علـى يـد زوجـي تسـحبني ويقـول لـي انهضـي بسـرعة زلـزال جديـد

كنـت اسـمع الصـوت ذاتـه ولكـن أريـد أن أنـام بطمأنينـة لأبـدأ يومـاً جديداً

مضـى شـهرٌ كامـلٌ وأنـا أريـدُ أن أنـام بطمأنينـةِ، امتـلأت حقـول الفيـس بـوك بالألغـام، نحـن الذيـن لـم نصدق كذبـة الربيـع العربـي، لم نصـدق كورونـا، هـل علينـا أن نصـدق جبـروت إسـرائيل وأمريكا!؟

إنّ ثـورة صغيـرةً لأهلنـا فـي فلسـطين كانـت كفيلـةً بتصميـم ألـف معمـل للفحوضـاتِ لأجـل جنـود الاحتـلال

منـذ فتـرةٍ قصيـرة أنـام مسـلمةً عمـريِ للهِ، وأسـتيقظُ وأنـا أقـول شـكراً يـا الله لأنـك منحتنـي يومـاً جديداً لأعطـي للحيـاة مـا تسـتحقّ مـن مهمـة وجودنـا فيهـا

وجهها كله مطر..

ناصر الجاسم - السعودية

ما الذي يرمي إليك بوجه امرأة حسناء من تبوك في هذا الصباح الشتوي البارد، وتراه بزينته الكاملة، زينة الشفتين والعينين والخدين، فوق رغيف خبز أفغاني أبيض مدور، وترى فيه وجهها الجميل المستدير الباسم كما نظرت إليك لأول مرة قبل سبعة عشر عاما، وينتشر من جوف الرغيف عطرها شانيل٥، ويهزم رائحة الخبز الشهية في مطعمك، ويطردها من المكان لتخرج عبر النافذة مثل جني عاص مشاغب عذّبه طول الاستماع لسورة البقرة في مكان مغلق، ينّتشر عطرها ويسيطر على حواسك كلها فتراها وقد جلست متربعة في محيط دائرة الرغيف وكأنه بساط سحري لها ومدت فنجان القهوة العربية إلى فمها فيصعقك في مطعمك اقتراب حافة الفنجان من فمها كما تُصعق أرنبةٌ أمٌّ في قفصها استشعرتْ ذبحَ وليدها الغائب عنها مع الجيش البعيد الذي يقاتل الأعداء لتوصل إشارة أو تمرر رسالة سرية للملك لطلب الدعم والمدد كي لا يُهزم ويندحر جيشه أو يتراجع، وتراها وقد نهضت بكامل جسدها من الرغيف ماشية إليك ويوجع قلبك رؤيتك انثناء خصرها الطري فتصيح: آه يا غرس لقد أخذوك مني مثلما يؤخذ الوطن من ساكنيه وقد سكنت قلبي وعقلي!

ومذيع النشرة الإخبارية يقرأ: تتعرض الآن منطقة تبوك ومنطقة الحدود الشمالية طريف وعرعر والجوف ومنطقة المدينة المنورة والأجزاء الغربية من المملكة العربية السعودية لهبوب كتلة هوائية باردة تؤدي لانخفاض شديد في درجات الحرارة قد تصل لدون الأربع درجات مئوية مع توقعات بهطول أمطار غزيرة على المناطق المذكورة وجريان السيول فيها... فيما ستهبّ في غضون الساعات القليلة القادمة على الأجزاء الشرقية من البلاد ومنطقة حفر الباطن ومحافظة ابقيق والأحساء تحديدًا

عاصفة غبارية كثيفة المدى يتدنى معها مجال الرؤية البصرية إلى متر واحد فنرجو من المواطنين أخذ الحيطة وتوخي الحذر حفاظا على سلامتكم

وجهكَ كله غبار ووجهها كله مطر وقد خِفتَ عليها وارتعبت حين سمعت خبر الكتلة الهوائية الباردة، وجهك حزن وقلق ووجهها ورد أحمر ولا تدري إن كان قد أهمها أو آلمها خبر اتجاه العاصفة الغبارية إليك أم لا، وجبل اللوز في تبوك يثمر بالثلج وجبل القارة عقيم، ورغيف الخبز الأفغاني وكوب الحليب ينالهما الغبار في مطعمك قبل أن يصلا لفمك، وغبار يعلو شعر رأسك ويعلو شاربيك وأنت تكح، وقلبك يحترق لرؤية العنب التبوكي يمرق في فم غرس، تراه من بعيد بحسن لونه الأخضر الفاتح يجاور حسن شفتيها المصبوغتين بالأحمر القاني وتدرج حباته واحدة تلو أخرى فوق لسانها الوردي وتنزلق في جوفها، وأنت مصدور ومسجون في محيط دائرة الغبار تكح تكح وصوت كحتك لا يسمعه أحد فيقرب لك الماء، وتستشعر مذاق العنب التبوكي اللذيذ وتحس بمذاق شفتيها العذبتين وتتذكر ما قاله صديقك (النسونجي) رباح ذات عشية: الحب عند المرأة لا يتجاوز حدود أضلاع سرير نومها الأربعة إذا نامت مع زوجها، وها أنت ذا الآن وأنت في حمام الغبار تدرك متأخرا أن (غرس) لم تكن قد أحبتك، وإنما قد أحببت جبل اللوز و ثلجًا يزهر فوقه وعنبًا ينبت قريبًا منه ورجلاً طيبًا غيرك لا يقول لها لا أبدًا أبدا، ويجعلها تنهض من السرير صباح كل يوم سعيدة، وتقف تحت نهر الماء العلوي وجسدها كله ماء وهي تبتسم، وتتذكر بحب تفاصيل ما جرى مع زوجها بالليل التبوكي في محيط أضلاع سريرهما الأربعة.

مقتل بائع السكائر

د. مصطفى العارف- العراق

لفت نظري رجل كبير السن تجاوز السبعين عاما في بداية سوق شعبية على جانب الرصيف ,وأمامه جمبر خشبي قديم يتمايل مع كل هبة ريح ,يحدث ضجة يحس بها من كان على مقربة منه ,صفت أنواع كثيرة من السكائر , وولاعات ملونة , وبعض أقلام الجاف عليه ٠

يجلس على كرسي حديد قديم متآكل, مرتديا قبعة لاتقاء حرارة الشمس اللاهبة , يضع نظارة للقراءة ,على انفه الكبير ,نتيجة تعرضه لحادث في صغره ترك أثرا لافتا , استقرت قربه حقيبة يدوية كبيرة فيها مجموعة من الصحف ,والكتب , وفي جيب سترته, محفظة نظارة القراءة, فيها أكثر من قلم بألوان مختلفة ٠

في عالمه الغريب ,و المحلق في الكون , يبدأ الجلوس بقراءة الصحف اليومية ٠ ركنت سيارتي على الجانب الأيمن من الشارع الفرعي ,واقتربت منه ,لم يحس بوجودي على الإطلاق , سلمت عليه : يسعد صباحك أستاذ٠ أجابني ببط: أهلا٠ وسهلا ٠ من وراء نظارته الصغيرة الحجم , وهو يركز في عينيي , سألني :هل تريد نوعا من السكائر المعروضة ٠- كلا ٠ استغرب من الموقف :-أذن ماذا تريد ٠ -أريد التعرف عليك ؟ والاستفادة منك ٠ ابتسم حتى بانت فتحة صغيرة بين أسنانه أعطته جمالا في الضحك ٠

- : تفضل اجلس , ما اسمك ؟ وما مهنتك ؟ - اسمي حيدر ٠ محرر صحيفة العالم , ممكن أتعرف عليك أستاذ ؟ بالطبع اسمي: احمد محمد , كنت اعمل مدرسا للغة الانكليزية , حتى أحالتي للتقاعد , قدمت خدمات جليلة إلى أبناء مدينتي , طيب لماذا تطالع الصحف هل أنت مثقف ؟ ضحك احمد بصوت

عـال: كلا ؟ اطلـع علـى الصحـف لأنهـا تنشـر مقالاتـي , ودراسـاتي النقديـة ,وترجماتـي , وقصائـدي ٠

كل هـذا النتـاج الأدبـي لـك, وتقـول لسـت مثقفـا , نعـم المثقـف الحقيقـي ,هـو مـن يحمـل قلمـه ويتصـدى للفسـاد , والانحـراف المتفشـي فـي المجتمـع ٠

- بالمناسبة أنت ترتدي بدلـه قديمـة لكنهـا أنيقـة , وتبيـع السـكائر, ,واراك تدخـن كثيـرا,

- كلفـت بعمـل تقريـر صحفـي عـن انتشـار البطالـة, ومعـي كادر فنـي ,ولوجسـتي للعمـل ,والتصويـر , أجرينـا مقابـلات صحفيـة مـع اغلـب أطيـاف المدينـة , وتوصلنـا إلـى أهـم أسـباب البطالـة : الفقـر والحرمـان , وعـدم التخطيـط , وضحايـا الحـروب , وإهمـال التعليـم ,وعـدم المحاسـبة الجـادة , وعـدم تطبيـق القانـون , والخدمـة الإلزاميـة , وو الـخ٠

وصـل فريـق العمـل الـذي يتكـون مـن هانـي مصـور الجريـدة , وحسـام مسؤول الموثـرات الصوتيـة ,والإنـارة الخارجيـة , وعـادل رئيـس التحريـر , طلبـت منهـم أجـراء حـوار مصـور مـع أسـتاذ احمـد الـذي وافـق بـدوره ,وأخذنـا إلـى بيتـه القريـب مـن محـل عملـه ٠

دخلنـا البيـت كان قديمـا فـي زقـاق ضيـق , كانـت الإنـارة فـي غرفـة الضيـوف شـبه معدومـة , كتـب مبعثـرة , و صحـف ,ومجـلات متناثـرة , وتحـت مكتـب صغيـر مجموعـة مـن الكتـب القديمـة ,والحديثـة , علقـت علـى احـد الجـدران صـورة فوتوغرافيـة لـه في شـبابه ٠ معـه عبـد الرحمـن مجيـد الربيعـي, وعزيـز عبـد الصاحـب ,وقيـس لفتـه مـراد , ورشـيد مجيـد ٠

وفـي الجـدار المقابـل لوحـة فنيـة قديمـة مرسـومة لبعـض العمـال الكادحيـن ٠

جلـس علـى مكتبـه , وجلسـت أمامـه ,بـدأ هانـي التسـجيل ووقـف أمامنـا عـادل , أعـط لنـا أشـارة البـدء بالحديث,والحـوار ٠

- أستاذ احمد : تحدث لنا عن تجربتك التربوية ؟ في الخمسينيات تم تعييني مدرسا للغة الانكليزية في القرى ,والأرياف , ثم نقلت إلى متوسطة فلسطين حتى أحالتي على التقاعد ٠ درست اللغة الانكليزية , ومادة الفنية ,إذ كنت أجيد الرسم ٠

- وما تجربتك الأدبية ؟ كنت منذ صغري اقرأ الكتب, والدواوين الشعرية, والقصص ,والروايات العالمية , والعربية في مكتبة خالي رحمه الله ٠

في أثناء التصوير دخل علينا رجل كبير يبدو انه صديق الأستاذ احمد , اسمه عبد جبر تبين احد شعراء المدينة , جلس بصمت , ينظر إلينا ٠

تابع أستاذ احمد حديثه تكونت عندي ملكة لكتابة القصة توجت بمجموعة قصصية طبعت في كتاب مشترك مع زميلي القاص عبد الجبار العبودي , كتبت رواية , لم يهتم بها الآخرين, ولم تلق الاستحسان , وترجمت بعض الكتب عن الانكليزية , والمقالات التي نشرت بالصحف , وأنا وكذلك اكتب قصيدة النثر ٠

- لماذا تبيع السكائر أذن ؟: لدي عائلة ,و التقاعد لا يكفي لسد نفقات المعيشة ٠

وأخذنا فاصل قصير تناول احمد سيجارة ,والدخان على الغرفة المظلمة امتزج , بأشعة الشمس الراشحة من شباك صغير في أعلى الغرفة , ثم استأنفنا التسجيل ٠

- كيف تنظر إلى الثقافة ,والمثقف الآن ؟

- الثقافة تحتضر في وقتنا الحاضر , هناك مؤامرة كبيرة لتحطيم البلد, بإقصاء المثقف الواعي الذي يقود بلده إلى بر الأمان , والإبقاء على العناصر المتخلفة التي تريد تدمير الشباب الواعي , والبنى التحتية ٠

المثقف الآن محارب من جميع الجوانب, فهو مقيد لا يستطيع التعبير عن رأيه بصراحة لأنه أن عبر تم اغتياله ,من قبل

أصحاب نظرية التجهيل ٠

تم إقصاء جميع المثقفين في كل مفاصل الحياة , حتى في مجال الثقافة أيضا لم يكن له دور كما كان سابقا ٠

خرجنا من البيت وتوجهنا مباشرة إلى مقر الجريدة , لنشر الحوار , الذي احدث ضجة كبيرة في وسائل التواصل الاجتماعي ٠

في اليوم التالي أخذت نسخ من الجريدة ,وفيها صورته الكبيرة ,وسط الصفحة الثقافية , الحوار الجري في الطرح , نفذت اعدد الجريدة لأول مرة ذاك اليوم ٠

توجهت إلى مكان عمله وكنت سعيدا ,وفوجئت بقطرات دم على الأرض , وأشياء مبعثرة قلم احمر , نظارة قراءة , قبعة مثقوبة , مجموعة من السكائر متناثرة هنا ,وهناك,وكتاب كبير بعنوان الحرية ,وكرسي قديم من الحديد مضرج دم , وانتشار كبير لرجال الأمن , والمواطنين ٠

- سالت احد رجال الأمن: ماذا حصل ؟وما هذه الدماء؟ أجاب بلا مبالاة : تم اغتيل بائع السكائر؟ صعقني الخبر وصرخت بصوت عال: كيف؟ لماذا قال رجل الأمن : قتله مراهق يقود سيارة لا تحمل لوحة أرقام ,توقفت أمامه ,وأطلق الرصاص من مسدس كاتم , وأرده قتيلا ٠

وقال آخر: رجل من العامة حدثت مشاجرة بين شخصين ,وتبادلا إطلاق النار وصرعت رصاصة طائشة الأستاذ احمد بصورة خاطئة٠

وقال شاهد عيان: انه مطلوب عشائريا , على الرغم من انه لا يرتبط بالقضايا العشائرية. رحل بصمت, وهدوء .

زحام

عبير محمد كيلاني- مصر

تمضي بخطوات بائسة في طريق عودتها إلى منزلها، تطأ الأرض بخطوات رتيبة، تتهاوى الأرض تحت قدميها، خطوات ثقال بثقل تلك الأيام وعتمة لياليها، تتضارب داخلها المشاعر، تتزاحم الأفكار لديها وتتصارع داخل خلايا رأسها المكتظ، تتشتت، تتصارع، تتبعثر لتعود تتشابك لتشتبك، الكآبة هي ما يسيطر على رأسها المشوش والمملوء بضجيج الحياة وقبحها، أيام معدودات وينتهي ذلك الشهر المليء بالضغوط والفارغ من أية إنجازات، تستمر في سيرها بخطوات لا تدركها لتصل إلى «العمارة»، تدخل وتصعد درجات السلم تتصاعد وتيرة الأفكار وتموج داخلها وتنتقل من فكرة إلى أخرى،

تبدأ كعادتها وبشكل تلقائي في فتح حقيبتها، تترك أناملها تجول داخلها بشكل معتاد بحثا عن مفتاح شقتها، تتصادم أناملها بأشياء عدة، كعادتها حين تتحسس محتوياتها، تتزاحم أشياءها المبعثرة داخل حقيبتها، تظل أناملها تبحث، تلك مفاتيح مكتبها، وذلك الكحول، وتلك الكمامة الاحتياطية، كم أعيتها تلك الإجراءات اللعينة، وتلك نظارتها، وتلك النظارة الأخرى، وهذه فواتيرها المسددة، محفظتها المسكينة البائسة،

ما زالت الأفكار تتزاحم، تتصاعد وتتهاوى بين أمواج لا تنتهي إلى أن تلامس أناملها مفتاح شقتها بالشكل المعتاد بوصولها أمام باب الشقة، تحاول استخراجها من بين زحام أشياءها، في تلك اللحظات، تسمع أصوات تنبعث من داخل الشقة، بل وضجيج يصل إلى أذنيها بوضوح، يرتجف قلبها، تحاول التأكد فلربما أتت تلك الأصوات من مصدر آخر، يزداد يقينها بانبعاث تلك الأصوات، تتقلب الأفكار في لحظة واحدة لتتحد لأول مرة منذ فترة بعيدة في فكرة واحدة قاسية، ترتعد، تهرول مسرعة، تهبط درجات السلم في فزع، تبدأ في إخراج «موبايلها» تبحث

سريعا عن رقم الشرطي المسئول عن منطقتها، تمرر الأسماء تباعا ولا ترى أيا منها، تعاود البحث ثم تعاود، لا تستطيع السيطرة على نفسها، تتفجر داخلها في لحظات مشاعر من الفزع،القهر، الضعف لكنها لا تستسلم كعادتها، تتصل به، يأتيها رنين الهاتف، وصلت إلى الأسفل، تفر مسرعة خارج البناية، صوته يأتي عبر الهاتف:

«أهلا يا أستاذة «...

خرجت من العمارة، وقفت أمامها تنظر إليها، تعيد النظر ثم تعاود النظر ... تتلفت حولها ...

يواصل حديثه إليها :

«خير يا أستاذة ؟ أؤمري»

ترد : « حبيت بس أقول لحضرتك كل عام وحضرتك بخير «

تسير خطوات بائسة أخرى في إتجاه عمارتها، تغلق الهاتف، تدخل عمارتها.

الكمامة

أحماد بوتالوحت - المغرب

ـ لماذا يضع هذا السيد قناعاً على نصف وجهه ؟ يا أبي

ـ حتى لا يأكل الذباب أنفه .

ـ لماذا تكذب على الصغير ؟ قالت الكلبة لزوجها الكلب

ـ لقد قلت له ما اعتقدته صحيحا ، فطالما ضايقني الذباب وأنا أحشر أنفي في ركام النفايات باحثا عن فضلات طعام ، وطالما فكرت في وسيلة أذود بها عن أنفي كي أبعد عنه تلك الحشرات الوِقحة وها أن ذلك الشاب المهذب الأنيق والذي لم يرْمِنا بحجركعَادة أبناء الزِّنا ، قد ذكرني بكيفية الذود عن وطن أنفي .

ـ إن ذلك القناع يسمى كِمامة والذي يلبسه يفترض أن يكون طبيباً ، قالت الأم لابْنِها الجرو ثم

أضافت:

ـ لقد رأيت الأطباء يلبسون الكمامات في مستشفى عمومي حيث كان يصحبني كلبٍ مدير المشفى ، كان الكلب ابن أصُول ومدِينياً وكان الأكل متوفراً في بيت رئيس المستشفى .....

صرخ الجرو :

ـ أريد كمامة كي أصير طبيباً .

إضطجع على الأرض وشرع يتمرغ ويعوي ويَرْكل بقوائمه ، مرّ رجل قريباً منه وسدّد إليه نظرة أخْرَسَته ، كانت عينا الرجل جاحظتين و مخيفتين

ـ إنتظر حتى يلتحق أبوك بعمله في المدينة ، ثم يشتري لك دزينة من الكمامات تكفيك لسنوات

تابعت أسرة الكُليْب سيرها متوجهة خارج الحي حيث تضطجع حاويات مبقورة الأحشاء ومجردة من درّاجاتها ، عجب الكلب من خُلو الدروب من الأطفال الذين كانوا سابقا يملؤونها بضجيجهم وسبابهم المخل بالحياء وتَنابُزِهِم بألقاب ، أطلقوها على بعضهم البعض ، وهم يتقاذفون كرةَ مهترئة . كما لم يسمع أصوات بائعي السردين ينادون على بضاعتهم تتبعهم القطط الضالة طمعا في حسَكٍ سردينة أو رأسها ، كما لاحظ أن محل الحلاق حميد كان مغلقاً ومن عادته في ذلك الوقت أن يكون قد كنَس الجَزّة الأولى لأول زبون...وحده (سعيد) البقال كان يبدو من خلف الكونطوان وهو يهرش رأسه الصلعاء.

المسالك داخل الحي شبه خالية ، والأرجل القليلة التي تخطر في الدروب كانت تلبس كماماتها وتتجنب المرور قرب بعضها البعض .

- إني جائع يا أمي!! قال الصغير .

- إننا نكاد نصل إلى حيث نتوجه ، قالت الكلبة وأضافت :

- اسرِعا إذن ، قبل أن يحضر النبّاشون والمتشردون والمجانين ويمنعَون عنا الحاويات .

لمّا أشرفوا على مكان صناديق القمامة ، تفاجؤوا إذ لاحظوا كثرة النفايات التي أحاطت بها وامتدت على مساحة كبيرة ، لأن شركة تدبير قطاع النظافة لم تُخْل المكان من الأزبال نظرا لإضراب عِمال النظافة . كانت النَّثانة لا تحتمل . فكر الكلب ربما لهذا لَبس سِكان الحي الكمامات>> لكنه لم يكلم الكلبة في هذا الشأن خَوفاً من أن تسِمَه ب (البلادة والغباء) كما عهدت أن تفعل لما يختلفان في شيء .

لمح الصغيروالأسْرة تقترب من المَطْرح ، شيئاً أثار إنتباهه جرى في اتجاهه ثم إلتقطه وطفق يصرخ :

- كمامة ! كمامة !

لبسها ثم استدار ناحية أمه

ـ كيف أبدو لك

ـ كجرو جميل . قالت الأم

شرع الأب والأم يتشممان ركام القمامة كان الصغير قد نسي أمر الجوع وتابع تغيير وضع الكمامة على وجهه إلى أن ثبّتها على وضعية أخيرة أخفت معها خطمه ، مشى فوق كومات الأزبال إلى أن عثرعلى فردة جزمة مطاطية دخلها وَسَوّى نفسه في وسطها ولم يعد يبدو منه غير وجهه المَخْفي خلف الكمامة ، تسلّى بتأمل ما حوله ، كانت المزبلة غاصة بالحفاظات وأوراق المرحاض الصحية لكنها لم تَخْل من بعضٍ فُضلات الطعام ، هذا ما خمّنه لمّا رأى والديه يقتسمان شيئاً ما ويلوكانه ، لكنه لم يهتم لذلك حيث أسِرته السعادة التي إسْتشْعرها داخل الفردة الحذائية ولم يفق من غفلته إلا على صوتي والديه يدعوانه إلى الفرار .

ـ وآهرب آلمسخوط ، العتروس جاك .

ليس بعيدا منه ، يتقدم في اتجاهه شبح تعرّف عليه من خلال سواد بشرة جدعه العاري وشعره الأشعث ثم من خلال سرواله الجينز القصير ، بصعوبة طفر الجرو من فردة الحذاء وجرى ليلتحق بأبويه حيث ينتظرانه منخرطين في موجة من النباح الهستيري ، إستخرج العتروس حجرا من أحد جيوب سرواله ، قذفه في إتجاه الجرو ، مرّ الحجر محادياً لإحدى أذنيه .

ـ بقى ليك من الطبيب غير لكمامة ، قريتي بْحَال الطبيب «آلمجحوم « . قال العتروس ساخراً وغاضباً ثم إلتقط قنينة صادفها أمامه بجانب إحدى الحاويات و رشق بها الجرو الذي كان قد أسلم ساقيه للريح ، لم تُخْطئه الزجاجة التي إستقرت على رأسه ، إزداد عواؤه وكان مروَعاً ويسمع أزيزاً داخل جمجمته ، وبدت له المسافة التي تفصله عن أهله ، أبَدِية .

الحب والعدم

إيمان محمد كيلاني محمد- مصر

أشعر بأننى قمت متأخرة عن المعتاد في الساعة السابعة صباحًا، ففتحت عيني.. غير أنني وجدت ظلامًا دامسًا يخيم على الغرفة.. أشعر بتعب في جسدى.. لكننى خرجت من غرفتي في حالة تباطؤ بلا طاقة ولا قوة.. لكن مالى أرى الشقة كلها مظلمة.. هدوء وسكون.. كل شيء لا حراك فيه.. تجولت في الشقة اضغط أزرة الكهرباء.. فلا شيء يضىء الظلمة.. وجدت النوافذ كلها مغلقة، حاولت فتح إحداها.. إنها موصدة بإحكام غريب ولا جدوى من محاولاتي.

إذًا لأخرج الآن لشراء بعض الأشياء.. يبدو أن إخوتى نائمون وأمى أيضًا إنهم لا يشعرون بى.. لم يعتذر لى أىّ منهم بعدما أهانونى بالأمس لأننى ذهبت لإحدى صديقاتى واتهمونني بالتأخير.. لقد اعتادوا على إهانتهم وتجريحهم لى.. ومعاملة أبي وأمي لي بقسوة وعنف وتهجم.. إنهم يقولون إننى ولدت في يوم نحس عليهم لأن أبى خسر أموالا كثيرة يوم ولادتي في مشروع تجارى.. وما ذنبي أنا؟ هل كنت أدري من أمري شيئًا لأكون السبب؟ أليست الأرزاق بيد الله والله المعطى والمانع؟!.. صرت الشماعة التي يعلقون عليها أخطاءهم وسوء تصرفهم.. لقد ربح أبى الكثير فيما بعد.. فلِمَ لم يقل إننى جئت برزق واسع له وأصبح موضع حظ بدلًا من النحس الوهمي الذي عاشوا وأعاشوني فيه.

ما ذنبي أن أحرم من حبهما وحنانهما الذي أراهما من بعيد من نصيب أخوتي فلا عطف علىّ.. حتى أن أمى لم تأخذنى مرة واحدة بين ذراعيها.. لم تشعرني بالحب والاطمئنان.. ولم يشعرني أبي بالأمان.

حياتي حرمان وخوف وقلق مستمر.. أعيش في ضياع في هذا

البحر الكبير بحر الحياة.. قد ضلت سفينتى طريقها.. وضاعت مني المجاديف.. وصرت أسبح بلا بوصلة ولا سترة نجاة.. لا أدري أين بر الأمان.. أنا في تيه.

ما علىَّ الآن فلأخرج وأتركهم في سباتهم وهدوئهم واستقرارهم.. فتحت باب الشقة، وقد فتح بسهولة ونزلت على درجات السلم بتعثر وجدت السلم تغطيه طبقات كثيفة من التراب.. عجبًا!! ماهي الأشياء الغريبة التي أراها اليوم.. لقد كان السلم نظيفًا بالأمس.. كل ما حولي متغير لا أدري كيف؟ ومتى؟ حتى أنا.. دقات قلبي تنبض بلا انتظام..

وصلت إلى آخر درجة من السلم وخرجت من باب العمارة.. ما إن خرجت إلى الشارع حتى سمعت أصواتًا صاخبة.. ما هذا؟ ما هذا؟

صراخ وعويل ينبعث من أفواه نساء.. تقدمت قليلًا.. وجدت نفسى أسير في طريق خافت الضوء..على الجانبين نساء ترتدين ملابس الحداد لون الظلام.. يصرخن.. يولولن، دموعهن تنهمر بغزارة وحرقة.. كلهن ينظرن إلىّ ويصرخن.. يا للغرابة؟!! إن أمي وأبي وإخوتي يقفون معهم ويرتدون مثلهن ويبكون.. ينظرون إلىّ.. فتزداد صرخاتهم.. ماذا حدث؟ ماذا جرى؟ أنه مأتم كبير.. ترى !! لمن؟!

ينظر أبي إلىّ ويقول: « إن لله وإنا إليه راجعون « سمعت الآن صوتهم.. تنظر أمي إلىّ وتقول: « مسكينة يا صغيرتي.. تموتين وأنتِ في ريعان شبابك «.

ويلي.. ما هذا الذي اسمع.. أنا مت.. أنا كيف؟ كيف؟!، انسابت دموعى دون أن أدرى تندفع من أعماق قلبي ونفسي وجسدي كل شيء يبكي.. رأيت دموعى تسقط على الأرض.. تبللها كحبات المطر في شتاء قارس وقاسٍ.. حزين.. رائحة الموت تفوح من حولي.

سرت أردد: أنا مت.. انتهت حياتي.. كل شيء انتهي؟.. وأسمع

أمـى تقـول: سـامحينى يـا ابنتـي.. لقـد كنـت قاسـية معـكِ.. سـببت لـكِ آلامًـا كثيـرة. سـرت بينهـم وأنـا أحـاول أن أفهمهـم أننـى لـم أمـت، لكنهـم لا يسـمعون صوتـي.. إننـى أمشـى.. أتحـرك.. اتكلـم.. فكيـف أنـا ميتـة؟!

أمـوت النفـس أم الجسـد؟ أم موتهمـا معـا؟.. هـل ماتـت نفسـي فـي شـبابها؟ هـل ماتـت روحـي؟.. أماتهـا الظـلام والظلـم الـذي خيّـم علـى حياتهـا.. الضيـاع الـذي سـيطر عليهـا.. الحرمـان الـذي ذاقتـه.

أتمـوت النفـس فـي وجـود الجسـد.. ولكـن أليـس الموت هـو الموت؟! المـوت حقيقـة لا ندركهـا إلا فـي لحظتهـا.. أنـه الحقيقـة التـي تجعلنـا نـرى الحيـاة لا قيمـة لهـا.. ومـا قيمـة الحيـاة لنفـوس ميتـة تعيـش فـي ظـل الجسـد بـلا معنى.

آه.. مـا زلـت أسـير فـي الطريـق وأنـا أقـول لهـم: « أنـا لـم أمـت.. أنـا لازلـت موجـودة.. اسـمعونى... «، وإذا بـى أجـد امـرأة تشـير إلـىّ أن أنـزل فـي مـكان مـا.. فنظـرت إلـى المـكان وجدتـه قبـرًا اقتربـت منـه.. نزلـت فيـه مستسـلمة.. ألقيـت جسـدي.. فـإذا بالمـرأة تلقـى التـراب فـوق جسـدي فصرخـت صرخـة مدويـة مـن أعمـاق قلبـى وأنـا أقـول: « أنـا حيـة.. لـم أمـت « وأحسسـت أن رنيـن الصرخـات يـدوى صـداه فـي كل مـكان.. بـل فـي الكـون كلـه.. صرخاتـى ازدادت وفتحـت عينـي فوجـدت أبـى وأمـى واخوتـى بجانبـي.. يهدئـوا مـن روعـي.. ودموعـى تغـرق وسـادتي.. ورائحـة التـراب تفـوح حولـي.. بـل رائحـة المـوت!!

أصحاب الأخدود

فاتن فاروق عبدالمنعم - مصر

أصحاب الأخدود في زماننا ما قتلوا، بل علمونا أبجديات جديدة لمعاني الحرية، لم ينسوا وهم ذوي النفوس الأبية، الكرام أبناء الكرام، أشراف سليلي الأشراف، يوم أن اقتادوهم مقرنين في الأصفاد، مصحوبون بالسب واللعن، بعربية مثقلة بعجمتهم، أولئك مجهولوا الأصل والنسب سطوا على أرض الناطقين بلسان عربي مبين، الأسرى محاطون بأمارات قوة جلاديهم وسطوتهم، صوت أقدام الجلادين المدججين يبوح أن لا أحد يقدر علينا، الأصفاد تؤلمهم طيلة الوقت، صممت لذلك، هنا في قلعة السجان، ظلمات بعضها فوق بعض، الأسرى ملقون في السجون خارج نطاق كل القوانين الصادرة من المزيفين، لا أحد يلتفت إليهم من تلك الوجوه المصبوغة بأمارات الكذب الصراح، يصيغون مفردات مثل حقوق الإنسان وحق تقرير المصير، وهم أول الكافرين بها، يسلكون مسلك الذين يزاحمون الحيوانات في سكنى الغابات دون خجل.

هنا في هذا المرقد يقبعون سنوات تتلوها سنوات، يسمعون صوت أنفاس بعضهم البعض بل ربما يعرف كل منهم عدد مرات الشهيق والزفير لرفقائه في الدقيقة الواحدة، شعور بالقهر تراكمي، فكيف يدفعون هذا الشعور بمكونه اللزج والذي يلازمهم ولا يغادرهم.

لم يخطر ببالهم انتظار وعود مؤسسات أممية، ولا يؤمنون بها، فقط التطلع إلى السماء، فالمؤمن يكفيه رحيق الإيمان وإن سدت في وجهه كل الأبواب فيكفيه التضرع إلى الله والتفكر في مآلاته والتي بها يبلغ سبل الرشاد.

التغيير يبدأ بحلم، والحلم يلزمه مقومات التحقق على الأرض، وصاحب الحق يرى ثقب الضوء الباهت مهما بعدت المسافة،

عدوهم ينعت نفسه دوما «بالذي لا يقهر» نفوسهم المجلوة بالبلاء هدتهم إلى العدو الحقيقي، السامري الأول ذو العين الواحدة الذي صنع هؤلاء على عينه، عجول من كارتون، لم يعد يصنع عجولا من ذهب وإنما من كارتون، استخفافا وامتهانا لكل مذعن صاغر، الزنزانة صماء لا يوجد بها شباك يسرب لهم هواء يحمل حبوب لقاح الحرية، محاطون بأطنان من الحديد، الباب موصد دائما يعلوه طاقة تكفي لإدخال طبق الطعام فقط.

السماء لا تمطر ذهبا ولا فضة، والنخلة لن تساقط الرطب الجني دون أن تهزها الأيدي، والطفل الرضيع لن يحصل على اللبن من ثدي أمه دون أن يبذل جهد شفطه، فلماذا ينتظرون من يحررهم؟

استجابوا لأمر الله فأعدوا لهم ما استطاعوا، حتى ولو كانت عدتهم التي ما استطاعوا الحصول على أكثر منها ليست إلا الملعقة، قد يكون الوحي من الله بإلقاء الخاطرة في النفس كما أم موسى، الوحي الذي أمرها بإلقاء ابنها في اليم ليس إلا خاطرة ألقاها الله في نفسها، وقد يكون الوحي الإلهي رؤية منامية كما سيدنا إبراهيم الذي أمره الله بذبح ابنه من خلالها فأذعن وابنه للأمر الإلهي، فأي وحي هداهم إلى «الملعقة»؟

في ذلك المرقد المغلق وهاتيك الظلمات كما هي ظلمات يونس وهو في بطن الحوت، لا يكفون عن التسبيح والدعاء الذي يخترق الظلمات نافذا إلى الله.

الاختراق دائما يكون من أضعف المناطق، الأرض التي يجوسون فيها مغلفة بطبقة من الأسمنت بسمك نصف متر فكيف يخترقونها وهي الحصينة المنيعة، فقط الحمام موضع امتداد المواسير، قام أحدهم يعبث في البلاط بالملعقة على سبيل التجريب لتلتهم ما يأفك السجان، حتى نجح في انتزاع بلاطة في غسق الليل، وهو يحتبس أنفاسه شعر بزهو النجاح في تخطي أولى العقبات، ومع خلعها أصيبت يده بخدوش متناثرة وكأنه الإعداد الإلهي له، يمحص راحة يده لتجف طراوتها

ويزداد جلده تيبسا فلا تتألم ويستمر، وهل هناك ما يؤلمهم أكثر من الأسر؟! ينظر الرفقاء لبعضهم بأفواه فاغرة غير مصدقين، فيتحلقوا معا في دائرة ويشتركون في ذات الفعل كل ليلة، فالليل دثار لهم، كل بملعقته، فتشتعل نفوسهم بالأمل ويستمرون بحذر كاتمي الأنفاس عاقدي الألسن عن أي تعليق، فالفعل يشرح نفسه دون منطق اللسان الذي قد يكون سببا في هلاكهم.

الرتق يتسع والوجوه تتهلل بالأمل الذي يترجمه الفعل والابتسامات المتبادلة، يتسابقون في توسيع الرتق كأن كل منهم يوثق أسمه بأحرف ذهبية في لوحة الشرف والعزة، كأنهم يفسحون الطريق للمارد الصاعد رغم أنف كل المتجبرين والمتغطرسين في تحد سافر للسامري الأول وليس لعجوله فحسب.

أربع بلاطات كافية لأن تكون بقعة الضوء الباهتة التي تقودهم إلى النجاة المنشودة، اشتركت الأيدي والسواعد بحذر شديد بعد أن تيبس جلدهم فلا يألمهم الضغط والدفع الذي يسبب التعرق أحيانا ولكن في كل ليلة يحرزون نصرا غير معلن ليكون لهم دافعا للمزيد، يوزوعون التراب في جيوبهم كي يتخلصوا منه في باحة السجن في غفلة من السجان، النفوس تشتعل بشموع الأمل التي أوقدوها طويلا حد تغير بعض شعرات في رؤوسهم من السواد إلى البياض كأنها النور الذي لاح لهم في الأفق بعد المرور بالترتيب الحرفي لما يمر به المؤمن، ذنوب فابتلاء، فاستغفار وتوبة، وإنابة، وصبر جميل في غير شكوى وعدم استبطاء الفرج ثم النصر المبين.

أعقب نزع البلاط نبش الأرض تباعا مرارا وتكرارا بالملعقة والأظافر والأصابع المتيبسة لتكبر الفرجة يوما بعد يوم حتى أصبحت ممرا آمنا، فالله معهم يسمع ويرى، بالملاعق التي ما استطاعوا أن يعدوا أكثر منها يوسعون الممر ويفسحون لأنفسهم حتى تمام المقاسات التي حددوها من قبل، وكان لزاما عليهم عمل نظام غذائي به يبلغ كل منهم وزنا أقل كي يتمكنوا من المرور من خلال الفرجة، لم يعد يبقى غير اختراق بقعة الأرض التي منها سيصعدون إلى سطحها، وهذه هي الأخطر

لأنها مكشوفة لهم، فقال أحدهم ننبش مساحة تكفي لعبورنا ولا نترك سوى الطبقة الرقيقة النهائية وهذه نزيلها عند الخروج، واستكمالا لسيل الدعاء والابتهال إلى الله أخذوا يتلون سورة يس كما النبي الخاتم كي يجعل من بين أيدي المراقبين سدا ومن خلفهم سدا فيغشيهم فلا يبصرون، فاستجاب لهم الذي لا تأخذه سنة ولا نوم فجعل المراقبين تأخذهم سنة من النوم ليصعدوا واحدا تلو الآخر، ويقفزوا السور العالي ليغيروا كل الموازين والحسابات بعد أن صنعوا الأخدود في مؤخرة السامري الذي يرنو بعينه الواحدة صارخا من هول المفاجأة ويبطن التهديد والوعيد لعجوله الذين امتد الأخدود إلى مؤخراتهم ليبولوا فيها قبل أن ينطلقوا فاردين أجنحتهم، مخلفين ورائهم العجول الكارتونية يقفون حائرين مدججين بالسلاح يخترق كيانهم الهش شعاع شمس الغروب في إشارة إلهية لقرب أفولهم.

خرجوا خائفين يترقبوا، بعدت عليهم الشقة بينهم وبين الأرض التي جاسوا فيها منذ سنوات بعيدة، الوجوه ومعالم الشوارع تغيرت، أبطنوا اغترابا ملح، لا يسيرون وفق خطة مع ذويهم، فضلوا، وشقوا بعد شكوى أعضائهم الألم والجوع، الخطأ يبين العورة كما آدم وحواء، ويبدوا أنهم ارتكبوا جملة من الأخطاء فكان من السهل الوشاية بهم، فوقع منهم اثنان بين أيدي السجان، تلاهما اثنان آخران لم يبق غير اثنان، الأفق يلوح بالعودة إلى نقطة الصفر، العدو الغاشم يعذبهم آناء الليل والنهار، ولكنهم سطروا أسمائهم على لوحة شرف المؤمنين بكل ما هو جميل، عودتهم إلى نقطة الصفر ليست إلا تمحيص إلهي جديد يستوجب التجويد، مزيد من الحفر في نفق الحرية السرمدي، كي لا تذل قدم الجماعة بعد ثبوتها، دروس إلهية عملية يعجز عن قراءتها الذين هم في ضلالاتهم يعمهون، ولكن يقرأ شفرتها كل ذو قلب سليم

الثمن

مجدي جعفر- مصر

حفاة كنا نجرى في الوحل والمطر والويل لمن يقع نجرى وقلوبنا وجلة، وأنفاسنا لاهثة: " اجري يا واد اجري سيلحق بنا " "على بُعد خطوات منا، لا تنظر خلفك اجري ".

ويأتينا صوته المرعب: " لن أدعكم تفلتون منى هذه المرة يا أولاد الـ٠٠٠٠ "

وفلتنا منه هذه المرة، وأمسك بنا من قبل مرات، وأشبعنا ضرباً، ولكنا أبداً لم نكف عن التسلل إلى الجنينة طمعاً في سرقة العنب والبلح والبرتقال والخوخ والليمون، فجنينة البيه لا أول لها ولا آخر، فيها من الفواكه ما لا عين رأت ولا أذن سمعت، لا يحول بينها وبيننا سوى "حمد " الذى يخفرها، فكنا نبغضه ونخشاه وندعو عليه بالموت.

نأخذ ما نجحنا في الحصول عليه من فواكه، نتقاسمهما، ونتبادلها، فالعنب أحبه أنا، وليلى تموت في البلح، وفي غفلةٍ من الزملاء أدس في جيبها البلح وتسرب هي لي العنب، أنظر في عينيها، وتنظر في عيني، يدور بيننا حوار صامت خفي ، أكتم ضحكة، فتوئد هي بسمة ، ونعود إلى اللعب بعد أن نأكل،وليلى معي دوماً لا ضدي.

ويوماً بعد يوم بدأت ليلى تضيق بنا وبألعابنا، ظننت أن أحداً ضايقها أو أغضبها فأقسمت أن أعرفه، وأضربه، بل أقتله، فمن ذا الذى يجرؤ على مضايقة ليلى أو إغضابها!! ، هو ابن سنية القرعة أعرفه ، لسانه برئ منه"

" لا صدقني أنا بس اللي تعبانة ".

وانسحبت ليلى، فأحسستُ بأن اللعب فقد معناه، ورحت أرقبها وهى عائدة ، شعرت بخواء غريب، وتضاءل الكل أمامي،

ولم أتمالك نفسي فعدوت خلفها ، ولحقتها بالقرب من الجنينة ، فاستوقفتها ، ورحت أحادثها:

" ليلى أحقا أنت تعبانه ؟"

نظرت إليّ ونظرتُ إليها، تسلل إلى قلبي بريق عينيها، فأحسستُ به يختلج، عاجلتها بالحديث، همت أن تنطق، ولكنها في آخر لحظة ترددت، ابتلعت الكلمات، ذابت على شفتيها، يحدثني قلبي بأن ثمة شئ ما يقلقها، بأنها تحمل هماً في قلبها الصغير ، فقلت وأنا ألمح دمعاً يترقرق في مقلتيها .

- خبريني ليلى عما بك ، فأنا أفعل المحال من أجلك.

ابتلعت ريقها وحملقت في اللاشئ وقالت في صوت كسير:

ــ أنا

- أنت ماذا؟

وقبل أن تنطق، خرج "حمد" فجأة وانتهرني قائلاً: " قلت لك ميت مرة يا بن الملعونة ما عدت تمر من هنا " فعدوت، وأفزعني أن أراه يأخذ ليلى من يدها ويسير بها إلى داخل الجنينة، تسمرت مكاني فاغراً فاهي كالأبله ، لا أصدق أني سأصبح بدون ليلى بعد الآن، وقعت في قبضته، الويل لها إذا كل الويل ، بكيت خوفاً عليها، ومن بعيد رحت أزعق بأعلى صوتي ليلى ليلى، لعلّ صوتها يأتيني فأطمئن عليها ، فلم يتناه إلى مسامعي ما يؤكد أنه يضربها فصمت مخيف يخيم على المكان وسكون مرعب يلف الدنيا كلها، لا بد أنه قتلها، نعم، لابد أنه خبطها بيده الطرشة على نافوخها، فهوت، وماتت، جلست أبكي تحت الصفصافة ، ولا أدرى ماذا أفعل من أجل " ليلى " ولكني أفقت دهشاً على ليلى بجانبي، وحجرها مملوء بالبلح والعنب والجوافة، فقلت دهشاً: أنت ليلى أم عفريتها، خبريني ماذا فعل بك حمد ؟ وأني لك بهذه الفواكه؟!

لَوت بُوزها وعلى غير عادتها جلست تأكل، ولم تعطني شيئاً.

أيقنت أن حمد ذو قلب رهيف، وعزمت بيني وبين نفسي ألا أتسلل إلى الجنينة خلسة بعد اليوم، فأستئذنه في قطف عنب أو ثمرة جوافة، وجهرت بهذا الخاطر لليلى، بيد أنها لم تُبد رأياً

.. وذهبت إليه أطلب منه العنب بيد أنه سبني، وجرى ورائي، وكاد يضربني ، فضحكت ليلى وقهقهت، فتملكني الحنق الشديد، وصفعتها على وجهها، فنحبت وأجهشت، وقفت أنظر إليها ورأسها محشورة بين ذراعيها، ودموعها تتسّاقط على خديها، أحسست بجرم ما فعلته ، فجلست إلى جوارها أترضاها، ربت على كتفها، هدهدتها، مسحت دموعها ، رفعت ذقنها لأعلى ، نظرت في عينيها المغرورقتين بالدموع، مررت بيدي على خدها، فكفت عن النحيب ، انسابت يدي إلى عنقها ،وقعت يدي على صدرها، فتلألأ لي قرصين من عجين، ارتجفت، وأنا أخطفهما وصرخت في ضعف : بالراحة، وابتلعت ريقي وأحسست بخدر لذيذ يتسلل إلى بدني وأنا أضمها إلى صدري بعنف – وصرخًتُ ملتذاً، حينما كان حمد يعدو نحونا – فعدوت – ومن بعيد رأيته يتسلل وليلى إلى الجنينة ، فظللت أبكى وأبكى .. وتمنيت لو معي سكيناً أغمده في قلبه.

انعتاق

عبدالله عبدالإله باسلامه/ اليمن

ألقى على أذني نظرة سريعة، فتح عيني، وانحدر إلى أنفي، وأسناني، قبل أن يتراجع بكرسيه يتأمل البدلة -الواسعة قليلا- التي أرتديها، والساعة...!، ثم التفت يكلم الممرضة الرشيقة الواقفة غير بعيد بالإنجليزية، لتبتسم بسخرية مقتربة مني :

- يقول البروفيسور أن القوقعة سبب مشكلتك.

تجمدت مذهولا منبهرا، غير مصدق ما أسمعه، وأراه من إيماءة حانية برأسه الكبير، كأنه يرثى لحالي. كيف عرف الرجل حالتي؟ كيف شخص وضعي الذي طالما شكوته لمن حولي ولم يفهمني أحد، أو يشعر بمعاناتي في العيش حول حلقة مفرغة أدور فيها، داخل قوقعة صلدة لا انفراج لها، حتى أطبق على أذني وشيش وطنين أورثني صداعا، وضيقا في صدري اضطرني إلى البحث عن متخصص، ليس (مدع اختصاص) كما حذرني الكثيرون بل أن يكون (أجنبي).

أخذت أتأمل الطبيب بشعره الأشقر، وعيناه الزرقاوتان اللتان تطلان من خلف عوينات ذهبية الإطار شاعرا بالإمتنان نحو صديقي الذي دلني، بل وأصر أن ألبس بدلته، وساعته الروليكس المقلدة حتى أبدو كما قال: نظيفا محترما أمام الأجانب.

رعاك الله يا صاحبي لن تصدق أنني صرت عاريا تحت نظراته الثاقبة التي كشفت زيف البدلة والساعة، كما كشفت أحزاني الكامنة خلف عيني، وغربل حياتي البائسة، وحق للممرضة أن تسخر.

وقف الطبيب كأنه شمشون، واستدار عائدا إلى مكتبه؛ انسللت من سرير الفحص مقتعدا الكرسي أتأمل الجدار المؤثث بالصور والشهادات، سطح مكتبه اللامع المحفوف بالمجسمات، وتلك

الأجهـزة اللامعـة، ذات الأنابيـب والخراطيـم الغريبـة (كـم أنتـم عظمـاء، وأذكيـاء أيهـا الغـرب! تعرفـون كل شـيء وتفهمـون فـي كل شـيء..) ويبـدو أن همسـي لـم يكـن حصـرا علـى نفسـي إذ توقفـت أصابعـه عـن النقـر، وعينـاه عـن التحديـق فـي شاشـة الـلاب؛ تطلـع إلـي مـن حافـة نظارتـه المعلقـة علـى أرنبـة أنفـه المسـتقيم.

فبادرتـه مسـتعطفا الممرضـة أن تترجـم اسـتغاثتي، بـاذلا مـا يطلـب مـن تكاليـف، غيـر مبـال بصـورة(تحويشـة العمـر) التـي قفـزت إلـى ذهنـي فـي تلـك اللحظـة، خاصـة وأنـا ألحـظ عليـه التأثـر والاهتمـام وهـو يملـي بمـا «قـل ودل» مـن تعليمـات علميـة دقيقـة، وصـادقـة فـي ذات الوقـت كأنمـا تصـدر مـن قلبـه «والقلـوب شـواهد» كمـا يقولـون، وأنهـى كلامـه برفـع سـبابته.

تطلعت إلى الممرضة وأنا أشعر بقشعريرة سعادة :

- كأنـي بـه يقسـم بـكل مقـدس علـى انعتاقي..هـل سـأخرج وأتحـرر مـن قوقعتـي؟

ابتسمت الممرضة كاشفة عن أسنان كالؤلؤ وقالت مطمئنة :

يقـول البروفيسـور : أنـه سـيلغي القوقعـة التـي داخل رأسـك، ويزرع لـك قوقعـة سـمع خارجيـة بدلهـا، لكـن بشـرط واحـد وهـو الدفـع مقدمـا ونقـدا، وإذا لـم يكـن المـال متوفـرا لديـك يقـول البروفيسـور أن السـاعة تكفـي لتغطيـة التكاليـف.

الأصلم

عبدالحسين العبيدي- العراق

لم يكن مكبلا بالخوف , حينما مرق بالقرب مني. كنت كشخص غريب أعترض طريقه . رفعتُ ياقة معطفي لأخفي أذني ... ناديته فتجاهلني . اوحى اليّ حدسي انه يقوم بذلك عن عمد . وددتُ لو داهمته في هذا الحيز الذي اسمه السوق , كما فعلوا معي سابقا . بدت الهرولة وراءه مغامرة مضنية وهو يسير بين السابلة .تسربلت ملامحي بشعور رجراج من الخيبة . و كإنسان مهمل رحتُ اتطلع بالأشياء , التي لم تبدو نظيفة ولامعة بعد ليلة من المطر . بقيتُ أطوي جوانحي على بعض الوقائع , التي نفضتْ عنها تراب الذكريات , فاستعادتْ حضورها المقلق...في سنوات الوشاية حيث بدأتُ أحبو على درب القراءات الملغزة , البسوني عنوة بدلة اكبر من مقاسي بلون خاكي .لم اقبل أن يتصرفوا بحياتي كيفما يشاؤون ,خدمة لشخص لم أخطر له على بال . استوطنتني روح المغامرة فقررت التخلي عن البدلة العسكرية , التي تخنق الروح ,ولم يكن لدي ما احتمي به سوى سذاجتي . لمحتني عيونهم . غِضبتُ من نفسي لوقوعي في قبضتهم ,وتأكدتُ أن المقاومةَ لن تجدي نفعا فلم أتمسك بالبطولة. تحت اذلال قوة قاهرة ,وفي صخب القسوة والنميمة , لم تجدِ نفعا توسلاتي في ايقاف مزاجية جلاد من الانفلات .تهاويتُ بصورة صاخبة , واحتضنتُ ركبتيَّ الشخص المشرف على المهمة .ادخلوني في مهرجان من الصفعات بنبرة استعراضيه . أمطروني بجمل شديدة التشدق , عن ارض موغلة في القدم , اسموها الوطن . لم يسمحوا للوقت بتأجيل قراراتهم . نهضتُ وليس بي من الهمة ما يكفي للدفاع عن أذني . ونتيجة لمشقة الانهيار المتعب , شعرتُ بالثورة العاجزة , لعدم تمكني من التشبث بأذني , التي فقدتُ نصفها بطريقة سهلة الى حد مشين. وتأكد لي اني لم اتمكن من مواراتها كما

يقتضي العرف السائد . ببدائيتهم هذه , ظنوا انهم يعبرون عن إخلاصهم . كانت حملة قطع أذان الهاربين من حماقة الحرب , تبدو كحملة مباركة , في الوطن الحربي .من أين جاؤوا بهذا العقاب المهين . أيعقل أنهم يعرفون قصة فان كوخ ؟ هل شاهدوا لوحة الرجل ذو الأذن المبتورة ؟ . أكانت أذاننا وجبة شهية تفضلها النمور ؟

ببدلة عسكرية يقذفوك على تخوم حماقاتهم ... انها كارثة لا يمكن ايجاد تسمية لها , لنظام بلا مخيلة . تقبلت الآمر بخمود , وهو افضل من موت مجاني ....

حينما قفز الصباح من النافذة وملأ غرفتي بالضجيج , كان المطر قد طوى غلالته الرمادية الرجراجة , التي نشرها طوال اليوم الفائت .ارتديت ملابسي وخرجت كطير فر من قفصه .استعادت المدينة زحامها حينما لمحته . لقد كانت رؤيته كانبعاث صاخب للموت هذا الصباح .نفس الشخص الذي حفر وجهه , الذ ي قُدَّ من حديد , في احجار ذاكرتي بشفرة حادة التهمت نصف اذني , وجه حليق مكفهر, شاربان كثان صبغ دخان السكائر وسطهما بلونه الأصفر ,وملامح بانتْ عليها كدمات السنين . جرني من شعري . وانا احتضن ساقيه متوسلا بطريقة شديدة الخذلان ,لطمني بحماس نضالي . وأنا محاصرا وقد احاطت بي ثلة من العسكر. انزلتُ رأسي وتكورتُ على المي , لقد حولت الحادثة رتابتي الى كرب مستديم .

كنت زاهدا معتصما بصمت متكبر, وهم يستعرضوننا امام الحشد المزدحم في السوق , حيث حشوا رؤوسهم بهتافات تنسيهم قساوة عيشهم , وغرقت في ضجيج الجمع المتزايد . بقيتُ في أنتباه طوعي خوفا ان تعاود السكين مرورها ثانية عليّ ,لأن جزار متهور اكثر رأفة مع خرافه منهم . في ذلك اليوم حيث كنت بحاجة للقاء حميم مع الضوء لأبدد سأمي, رأيته في الزحام . كان لامباليا كأنه لم يقطع أذني ....كنا خمسة فتيان داروا بنا في السوق , مهيجين طاقة الأثارة في العامة , مستعرضين نضالهم وخرافاتهم التاريخية بمزيد من

التسلط والعنجهية . كان الحضور اللجوج للطاغية وراء كل ذلك العناء . أية قوة غاشمة خبأها الرجل ليواري يأسه , وليمهد لحماقة أخرى ؟.

. بعد حماقتين تبخر النظام وبقيتْ أذني مقطوعه .وها هو المسعور الذي منحني علامة فارقه يسير امامي دون ان يخشى شيئا .الغم من رؤيته جعلت ساقيّ عاجزتين عن اللحاق به .تلمستُ اذني وفكرت بجفاء انه حدث ضئيل في قدري البغيض .أعدتُ يدي الى جيب معطفي كما لو اني ابحث عما يمكنني من أخذ ثأر أذني . كان الانتقام والثأر يزمجران داخلي بالتسلط نفسه .

ورغم كثرة المسوغات التي أمتلكها لاسترداد الدين الدامي من الرجل , لبثتُ جامدا في مكاني تصطخب في راسي صورا وخيالات ,بينما المسعور يدور بالأسواق دون ان يقلقه احد , و ظلت ذاكرتي تحتفظ بأحداث تعسفية , متشنجة .

أنا والمدينة

عبدالله البقالي - المغرب

يمكنك الآن في هذا الوقت المتبقى أن تضحك أو تغضب . تبكي او حتى أن تحول الموت الى لعبة إن شئت. فلا شيء هناك يمكنه أن يشكل لك أفقا تركض صوبه. ولا الأطياف المكدسة في الماضي يمكنها أن توجد طريقها إليك لتنفعك أو تملأ بعضا من الفراغ الذي صار هو كل حصيلتك التي عدوت العمر كله من اجل بلوغه تتحفظ للحظات على أن يكون هذا هو كل واقعك. تصمت طويلا وأنت تنظر إلى دراجتك وقد بدت معرضة عنك وسئمت الدوران ما دام لا مهمة محددة تجعلها تحرك عجلتيها. تتأمل الأوراق والكتب المغرقة في الفوضى وقد بدت هي الأخرى تتساءل عن جدوى وجودها في هذه الغرفة الغارقة في العزلة والوحدة. تنقل بصرك إلى مذياعك الذي كنت قد تلمست منه بعض الأنس، قبل أن يتضح لك أنه منشغل بعالم غير عالمك. وأن كل المتحدثين عبره يفعلون ذلك وكأن الحياة مشكلة من فقاعات، وكائناتها من ورق. وحتى حين اقتنيت أسطوانات أغانيك المفضلة، فقد بدوت وكأنك أردت القول أن الواقع الحالي لا يمكن أن ينتج الجمال. وأن الرقي هو ابعد من أن يكون سمة من سماته لم تنجح منذ أعوام في رسم اي تقاطع لك مع العالم. وحتى الناس الذين يتحركون في العالم الخارجي ، لا ألفة بينك وبينهم. وهو ما نبهك إلى انه لم يعد لك أصدقاء. ماذا تفعل إذا في هذه المدينة؟ وهل الواقع يمكن أن يكون مختلفا في مكان آخر، ام أنك لم تعد تستقبل إشارات التفاعل مع الحياة؟

يتعاظم الصمت. تجده مخيفا. ترغب في أن تكسره.. ان تقوم بأي شئ.. ان تصرخ .. أن تأتي حركة ما بدافع التأكيد على أنك لا زلت هنا. و أنه ما زال بإمكانك أن تفعل شيئا ما.. مهمة ما. لا يهم ما إن كان العالم في حاجة إليها، أم انك في

وضع المحتاج إلى العالم تستوقفك الفكرة. تسال نفسك بصدق: هل لا يزال لك دور ما في هذه الحياة، أم أنك تتحصن وتخلق مبررات من أجل تبرير استمرارك فيها؟

تجد السؤال في منتهى الاستفزاز. تقطب حاجبيك. توضح لنفسك أنك لم تأت لهذه الدنيا بموجب عقد موقع مع طرف ما، يلزمك بموجبه تنفيذ برنامج أو تحقيق هدف. وان هذا يمنحك كامل المشروعية في أن لا تفصح عن شيء. بل ويمكنك أن تفسد أو تصلح. تبني أو تهدم. المهم هو أن تمارس العيش إلى أن يهجرك يرضيك الجواب لحد تبدو معه وكأنك وجهت لكمة عنيفة لخصم عنيد.. عدت لتنظر مجددا إلى فضاء الغرفة. تناهى إليك سؤال آخر. كيف انتهى بك المطاف في هذه الغرفة المعزولة من العالم، وقد كان بإمكانك أن تعيش في الوضع النقيض في مناسبات شتى؟

تنغلق مسالك هروبك. يهيمن الصمت من جديد. تتذكر أن اليهودي حين يبحث عن حل لافلاس حاضره، يراجع دفاتر الماضي. لكن دفاترك غير قابلة للمراجعة مادامت كل الأسماء المدونة فيها قد تحولت إلى أطياف لا يمكن مصادفتها إلا في مسرح يقع خارج رصد الحواس. و ينتابك اليقين بان تلك الأطياف هي الأجدر بالإجابة عن هذا السؤال. فهي التي لقنتك كيف تجري وراء الرصيد البشري بدل الرصيد المالي. وأن الحياة بصمة وليست كما زمانيا. وأن يكون لك قلب يسع الدنيا وليس دنيا تلسع القلوب تنتبه الى انك كشفت كل أوراقك بوجودك المعادي. وانه نتيجة لذلك، فأنت قد تخسر حتى غرفتك تلك. لأنه بعد ان يكتشف مكانك في الصباح، سيعمل على تحنيطك ونقلك إلى متحف مدينتهم، ليعرضوك كنموذج لفصيلة بشرية منقرضة. لذلك عليك بأن تعجل بمغادرة المدينة قبل طلوع الشمس.

الوثن

محسن الطوخي - مصر

مساقاً كنت إلى الجنوب، كالأشياء القدرية كانت رحلتي، كالحياة والموت، نظرتْ أمي فى عينيَ وتمتمت: ترحل وما أتيت إلا لنهارين وليلة؟

أشحت بعيني بعيداً: سألتقي بصديق. لم أقل لها شيئاً عن الأشياء القدرية

.....

عندما رأى أحد الرفاق عين الوثن الوحيدة، نصف مفتوحة، نصف مغمضة، عاد وحكى، حدد خط الطول، وحدد خط العرض، ولم يدر أن الوثن كان منذ الأمس صائماً، فسمح لعينه الوحيدة، أن تطل - حمراء واهنة - من فرجة بين التلال، فى تلك المرة، عند انبلاج الفجر، أفطر الوثن بمائة رجل، نصفهم من ذوي الدماء الحمراء، ونصفهم من ذوي الدماء الزرقاء ، وصحن، وعجن، أطناناً من الصلب القوي، فالوثن، يهوى اللهو بالصلب القوي*.

.....

كنتُ قد فارقتُ الرجال، لا أعرف مَنْ منهم سيبقى حياً حتى أعود، والقرابين لم تزل تقدم كل ليلة، والوثن لا يكاد يرتوي، يصحو فى الليل، أما فى النهار فيغفو، يميل برأسه خلف التلال، ويتوارى فى بقع الظل، ينكمش، ويوزع نفسه فى الحفر، ويتمدد فى الوديان، وفى مجاري السيول، وعندما تميل الشمس للغروب، يفتح عينه الحمراء، يلملم نفسه من الحفر، وينهض بجوعه الأبدي، نراه على مدى البصر، هناك، بعيداً عند الأفق، كأطياف سراب خيالية, ونلمح الضوء الباهت، المنعكس فوق ذنبه الشائك، المنفّر، وهو يتسلل متمسحاً بميول التباب المعتمة،

تلتقي أعيننا عند مغيب الشمس، وللقرابينَ طقوس نعرفها كلنا، قبضة اليد على الصلب البارد، الضحكة المبتورة، نظرة تتمسح بالمكان، ويبتلع الليل الخطوات الحذرة فى رحلة للمجهول.

.....

بالأمس فقط، كان «عبد الصمد» القربان الأخير، دفء جسدهِ في القلادة المعدنية، كان رفيقي وأنا أعبر الطريقِ الرملي الملتوي، تتزاحم في رأسى الأفكار، هل قدر لى حقاً أن أرى الأهل ؟، الولد، والأب الضرير، والطاحون، والحقول.

.....

قبل أن أطلق كفه قلت له: كن على حذر.

معزوفة اللسان الطويلة ترَكَزَتْ فى نظرة العين، فالوقت قد أزف. الوثن باق، يؤكد ذلك عزم العين المسددة، لا يدرك الجنوبى أن الوثن باق، سيميل، ينزع شوكة من الطرف المتلكئ.

لو فعلت ذلك ياعبد الصمد، سيستدير الوثن، يلقم يمناك، ثم يطوحها مخضبة، مهتوكة الأنسجة، فهو لا يهتم باللقم الصغيرة،

فكن على حذر .. كن على حذر.

.....

صوت القطار الصاخب كان هو الصوت الوحيد الذى رافقني طوال رحلتى إلى الجنوب، أعرف أنى ذاهب للقائه فى بلدته الجنوبية، أعرف أيضاً أنه ليس هناك. ودفءُ القلادة تسرب من يدي. حكى لي «عبد الصمد» في الليالي القمرية، عن المعدية التى سأستخدمها عندما يصل القطار مع الغروب، حكى لي عن الأرض السمراء، وصفّ أشجار الجازورينا التي تحرس مدخل القرية، قال عنها :

- أربعون شجرة، كل واحدة لي معها حكاية، كل واحدة بينها وبيني سر صغير.

.....

صحت به: لا تفعل ... كُنْ على حذر... خرج الصوت كالفحيح، أما هو فلم يتوقف، صوب بندقيته وأطلق وابلاً من النيران، بينما كنت أجاهد لأرفع صوتي، كانت الغريزة والمران الطويل أقوى أثراً، فلم أقترب، ضاع الصوت المجروح، حملته الريح فى الاتجاه الآخر، في اللحظة التالية كان علي أن أنغرس فى الرمال الباردة.

إيه ياعبدالصمد.. كان يجب أن يسبق الفعل تدبير، وها نحن مكشوفو الصدور، وأنت لم تكد تفيق من فورة الغضب، حتى اكتشفت أن أوان التدبير قد فات، والأمتار القليلة التى تفصل بيننا، دونها الدم والحديد والنار. وأنا الذي وعيت الدرس، أين أذهب من نظراتك التى لا تفهم؟

ماذا يجدي الصدرَ العاري الصدرُ العاري ؟

.....

منذ فارقَتْ كفُ الرقيبِ كتفي مودعاً، وبين أصابعى قلادة معدنية تحمل رقماً، وفى جيبى صورة الولد، مهوش الشعر، يحملق فى عدسة المصور. سرت البرودة فى أطرافى، سيحملق فيَّ الولدُ بنفس العينين.

.....

يأتي السعالُ من الداخل، والبيتُ يتصاعد فيه دُخْانُ الفرن، تحاصرني الأعينُ الذاهلة. وقع الخبر الجاثم فوق الأذهانِ يحلق كطيور البحر، الصرخةُ الملتاعة تذهب وتعود مضفورةٌ بحبال اليأس، والمرأةُ الشابة تحثو طين الأرض، والولدُ الغافل يلهو بقلادة.

جئتُ ياصديقي لِكى ألقاكَ فى هذه العيون الذاهلة، والولد لم يعد يحبو، غافلك وسار على قدمين. لو أقدرُ أن أمضي عمري بسريرةِ طفلٍ لاهٍ، أن أنسى أحزان الأم، والأخت، والجدة.

.....

حين عدتُ إلى بلدتى، ويممتُ شطرَ الحقلِ، شممتُ رائحةَ عرقهِ فى الممرات الضيقة بين الزراعات، وحينَ أمسكتُ بفأسي، رأيتُ بصمات أصابعه، وحين ملتُ على ماءِ النهر، عكستْ المياه الخالية من الطمى صورته. على مدخل بيتي كان واقي الرأس المموه بالبقع الملونة يعلو فوهة البندقية المستندة إلى الجدار، بالقرب منها كان هو بجسده الضخم متمدداً فى استرخاء، عاقداً ذراعيه فوق صدره، مغمض العينين، يبتسم، شأنه حين يكتشف بعد لجاج أنه على خطأ. حين ملتُ عليه بدهشة، لم يعد هناك، كان مدخل بيتي أيضا قد اختفى، والطريقُ المترب الذى خلفته ورائي غاب فى الظلمةِ، وكل ماكنتُ أعتقد أنى أعرفه من معالم بلدتي الهادئة، بتُّ أدركُ أنهِ شركٌ يستوجب الحذر، وأنى فى اللحظة التالية قد أرىَ الذيلَ ذا الحرافيش ينسحبُ بخفة، ينعكس على استدارة أجنابه ضوءُ القمرِ الشاحب

.

* في مخططات الحرب، ترسم مواقع قوات الدولة باللون الأحمر. وقوات العدو باللون الأزرق

سائق الخط الثالث

مرفت يس - مصر

كان يتأمل ملامحها في مرآة السيارة، وجهها الشاحب عيونها المستغرقة في النوم لما يخفيا جمالها الأربعيني الظاهر

مستغرقة في نومها؛ ترتجف من حين لآخر؛ ارتجافة جفنيها تشير إلى حلم مزعج يروادها.

أوقف السيارة وفرد ظهره على كرسيه ونظرة عينيه تتأملها في مرآته.ومابين فضوله ولهفته ظل يراقبها .

....كان سائق سرفيس الخط الثالث ينادي بصوته الجياش

موقف يا أستاذ

موقف يا أنسة

عندما همست في أذنه قبل أن تصعد.. بتلف كام مشوار في اليوم.. أمام اندهاشته من سؤالها انتابته لحظات صمت قبل أن يجيبها

- كله بالتساهيل ممكن عشرين لفة

هنا اخبرته أنها لم تنم منذ ليلتين

- في اللفة العشرين صحيني وأجرة الكرسي مدفوعة

شعر ببعض القلق؛ لكن شحوب وجهها واجهاد عينيها الحمراوين لم يجعلاه يبالي إلا بثمن الكرسي المدفوع لعشرين لفة .

.....

كانت ليالى من الأرق والرعب والكوابيس تراودها قبل أن تتخذ قرارها بصفع الباب وراءها

إلى طريق غير معروف.

كل ماشغل تفكيرها في هذه اللحظة هو حاجتها للنوم . للنوم فقط .قبل أن يغشى عليها من الإجهاد وتعجز قدماها عن حمل جسدها الواهن.

******

خلاف عادي ومتكرر لا يختلف كثيرا عما اعتادت عليه طوال نصف عمرها، إهانات تتحملها بموروث جيني تسرب إليها من حليب والدتها التي أصبحت عجوز تنتابها أمراض الشيخوخة

وذاكرة ضعيفة تنسى كل الأحداث والتواريخ باستثناء شيء واحد. أن توبخ ابنتها لشكايتها المستمرة، وتستنكر دموعها المنهمرة التي تتلمس فيها حضن الأم ودفء حنانها.

تعلمت مع تعنت الأم العجوز الصمت، وكبت الدموع ومع رحيلها قطعت الحبل السري الذي ربطها بها خلال تلك السنوات.

.....

ملامح وجهها الحزينة جعلته يتناسى أمر اللفات، وأوقف السرفيس يتأملها من خلال مرآته، لمح دموع تترقرق على خديها من عينيها المغمضتين،في قرارة نفسه تمنى أن يدخل إلى حلمها لعله يستطيع مسح تلك الدموع، أسند رأسه على كرسيه واستلم للنوم.

استيقظ على أصوات تتسائل ...موقف ياسطى؟!

التفت إلى مرآته ... .

كانت وريقة الخمسين جنيها تملأ ناظريه فيما ابتلعها الظلام

ورشة العذاب

عبدالله قاسم دامي – الصومال

بعد وفاة جَدِّه الضرير، لم يكن أمام فارح سوى خيارين، التشرّد أو العمل في ورشة العربات. التشرّد في هذه المدينة اللعينة ليس أمرا سهلا، هنا تقوم المليشيات بتجنيد الأطفال قهرا. لذا لم يكن أمام فارح سوى العمل في الورشة التي كان يديرُها رجلٌ خمسيني مستدير الوجه، يبدو رأسه تماما ككُرّة السلّة، طويل الأنف والقامة، بلا شارب ولا ذقن، كريها جدّا، حاقدا إلى حدٍّ لا يُصدّق، يقال أنه قتل صهره بعد أن تشاجرا في أمر بسيط، كومة موز. يعمل في الورشة ستة أطفال وامرأة وكلب أسود يحرس المكنات، بيئة العمل متدنّية جدا، يا إلهي كم هي نَتنة، تبدو وكأنها مكبٌ للنفايات. بدأ فارح عمله بعد وساطة جاره العجوز الذي كان صديقا لجدِّه. بدأ يتقاضى خمسة ألاف شلن مقابل إثنتا عشر ساعة من العمل المتعب، تقوم الورشة بتفكيك العربات المنهوبة وبيعها كقطع غيار. كانت وجبة الورشة كوبا من الشاي وخبزا عند الصباح والمساء، ماعدا الكلب الذي كان يتناول لحما كُل يوم. غدو فارح ويروح بلا حذاء، كراقصة أوروبية، كجثة في قبرها، إذ لا حاجة للحذاء في القبر والرقص وورشة العذاب. ما أصعب أن يمشي الإنسان حافيا، فقط من أجل البقاء، البقاء في حيٍّ قذرٍ داخل مدينة كالجحيم.

يتناول فارح الشاي والخبز مع صديقه أدم، طفل جميل في الثانية عشر من عمره، أسمر اللونِ، مفلفل الشعر، نحيفا كسائر زملائه، يتيما مثلهم. يشتمان يوميا صاحب الورشة، ذو الرائحة الكريهة، ويلعنان المدينة والشاي «أه كم أكره هذا الشاي المُرّ، لم يضيفوا فيه حتى ملعقة واحدة من السُكر».

«أنت تتحدث عن السُكر. إنه البول يا صديقي، شاهدتُ البارحة عندما بال ذلك الكلب اللعين في قِدر الشاي»

«يا إلهي، يبدو مالحا في بعض الشيء، لعلّه البول كما قُلتَ، اللعنة على هؤلاء الأبالسة»

بعد أسبوع من العمل الشّاق، تحقق حلم فارح أخيرا فاشترى نعالا، أه كم كان غاليا، خمسة عشر ألف شلن، لقد تعب كثيرا كي يشتري نعالا، فما بال مستقبله. كيف سيُحقِقُ حلمه المستحيل، الهجرة بعيدا عن هذا الوطن البائس الذي تفوح منه رائحة الدّم. قد يحتاج الأمر سنينا أو عقدا كاملا لكي يجني مالا كافيا للهجرة. وحدها السرقة قد تنجيه من طول العذاب، لكن من يسرق؟ السرقة ذاتها محتكرة لزعيم قطاع الطرق. عليه فقط أن يتَعب ويعمل، لستُ متأكدا بأن الأطفال العاملين سيصبحون غداً رجالا أقوياء، الشيء الوحيد الذي بمقدوري أن أؤكدِه لكم يا سادتي هو أنهم ضحايا اليوم، والضحية ستبقى ضحيةً للأبد ما لم تتحرر. كل أحد في هذه الورشة، حتى الكلب، كان بحاجة إلى تحرير، فاللحم الذي أخبرتكم عنه والذي كان يتناوله الكلب كل يوم، كان لحم الغُراب، لقد تعَوَّد عليه هذا الكلب المسكين.

في كل صباح يذهب صاحب الورشة حاملا بندقية الكلاشنكوف إلى السلخانة التي لو وُزعت جائزة النتانة لفازت بها. يطلق رصاصة أو اثنتين ليصطاد غُرابا، ثم يحمله إلى الورشة، ليُطعم كلبه. لا أحد يكترث لحقوق الغُراب في وطن أصبح فيه الإنسان بلا حقوق. يا للغرابة، كيف لرجلٍ أن يطلق رصاصة كي يقتل غُرابا مسكينا من أجل أن يُطعمَ كلبا لا يطيق بلحم الغُراب، وبعد هذا كله يُجَوِّع إنسانا بريئا. يبدو أن كل شيء أصبح مألوفا في هذه المدينَة.

بعد ستة أشهر من العمل الشاق، تحولت يدا فارح إلى كعبي حذاء، أصبح جلده قويا كالضّب تماما. إنها الحياة تجعل الغزالة عبر المحن ذئبا. ازداد مرتبه قليلا، ستة ألاف شلن، بدا يُدخر نقوده في كيس صغير بعيدا عن أعين الناس، كيسا خيَّطه بعناية، عساه أن يبلغ مقصده، كما وصاه جدّه، الفرار بعيدا عن الوطن، نحو وطنٍ أفضل

رَصاصَةُ الْجُوع

د. عبدالجبار العلمي- المغرب

وقف مستنداً إلى أكياسِ الدَّقيق المُتراكمةِ بعضُها فوق بعض في أرجاء المتجر الكبيرِ . كان الجو كدراً، ذراتُ الدقيق تسبح في الهواء، رائحة الزيت والدقيق وعرق العاملين تزكُمُ الأنوف. اسْتنشق ذراتِ الدَّقيق. كان يفكر، وكانتْ عيناه اللتان تحتهما سحابتا حُزْنٍ حائرتين، وملامِحُ وجهه المتجعِّد تتقلصُ وتتمدَّد ، وشفتاه ترتجفانِ. اسْتقرَّتْ عيناه علَى صاحبِ المَتْجَر. ماذا؟ أيُقدم على عمَلٍ كهذا الذي ترَعْرعَتْ فِكرتُه في رَأسِه منذُ البارحَة ؟ أنزلَ عينيهِ عن وجهِ التَّاجرِ المنهمِك في عدِّ الأوراقِ المالية التي تُطرح إليه كلَّ لحظة ، وقفَزتا في خِفَّة إلى الدرج ، وتَمَسَّحَتا بكلِّ ورقةٍ من الأوراق الخضراءِ المُتراكِمة فيه ، وشرعتْ أناملُه تتحسَّسُ بعضَها بعضاً في حركاتٍ لاشعورية كأنها ألسنة تَتَلَمَّظ البارحة طلبَ منه الطبيب أن يذهبَ بزوجته إلى مستشفى لتَتَلَقَّى العِلاج. إنّها في حالة سيئة ، تتألم، تموتُ شيئاً فشيئاً. أولادُه الصغار سَيُشرَّدونَ في ظلماتِ أزِقَّة الحياةِ إذا هي ماتَتْ . آه .. سَيُقضى عليهم بالشقاء ، كما قُضِيَ عليه .. كنتُ أنا وحدي الشَّقِي . وحدي .. فأصبحْنا سَبْعَةَ أشْقِياء. منذُ الأمسِ لمْ يذقْ طَعْماً للطعام. حتى أولادُه وزوجتُه العَليلة، لم تُدَغدِغ أفواهَهُم جميعاً قِطعةُ خُبز . طالَ بهم الانتظار ليلةَ أمس. عاد ليلاً، ودخل مسكنه الحقير حاملاً سلال الكآبة والحزنٍ، ولطمتْ سمعَه أنات زوجته ، وسكب سُعالها في صدره ألماً مريراً . وفي الصباح قبل أن تداعب الشمس عيونَ صغاره، وتستفيق زوجته من غيبوبة الحمى، غادر البيت

ضربَ بقبضةِ يمينِه على كيس الدَّقيق المتكئ عليه ، وارتفعتْ سحاباتٌ من الغبارِ الدقيق غيَّمتِ الجو . كان صاحبُ المَتجرِ ما يزالُ يَعُدُّ أوراقَ المَال ، فلمْ يأبَه بشيء .. يجب أن تعيش زوجتي . يجبُ أن يعيش أولادي .. يجب أن يجِدوا ما يأكلون

... وكادت كلماتُـه هـذه أن تُسْـمَع، وفَطـن إلـى نفسِـه، وعـاد فركـز عينيـه علـى الـدرج، وتمسَّـحتْ عينـاه بـالأوراق تلحَـسُ زركشـاتِها

بـدأتْ حركـةُ المتجـر تَخْفِـت ، ولملَـمَ صاحـبُ المتجـر فـي هـدوء ونظـام كلَّ مـا جمعَـهَ مـن مـال ، ودسَّـه فـي قـاع الـدرج , وأقفلـه بمفتـاح متيـن ، وطفقـتْ عينـا الرجـل الـذي تـرك مسـنَدَه ، وأخـذ يجـرُّ قدميْـهِ نحـو المنضـدةِ الطويلـة ، تتابـعُ حـركاتِ التَّاجـر بعصبية ، ورَكَّزتـا علـى المِفتـاح، وطَفِـقَ قلبُـه يَخْفـق بقـوَّة حيـنَ تـرك التاجـرُ المفتـاحَ مُلْقـى علـى المِنْضَـدة وَغفـل عنـه. أحـسَّ أنـه مُقْـدِمٌ علـى عَمَـلٍ دنـيء لـم يُقْـدم عليـه مـن قبـل، وشـعر أنـه خسِّـيس ، حقيـر ، وبـدأَتْ أصابعُـه تَرتَعش، واربـدَّ وجهُـه ، وارتجفـتْ شفتاه ، وهمس بداخِلـه أحـدٌ لـمْ يَسـمعْه مـن قبـل ، ذو صـوت مهيـب: يالـك مـن رجـل دنـيء ! كيـف تقـوم بهـذا العمـل ؟ ألا تخـافُ الله ؟ وتَسـارعتْ نبضـاتُ قلبـه، وزاد ارتعـاشُ يـده ، لكنهـا امتـدت إلـى المفتـاح ، والتاجـرُ عنَـه فـي غَفْلَـة، وعـاد الصَّـوتُ المهيـبُ أعلـى مـن ذي قبـل: يـا لـك مـن لِـص حقيـر! يالـك مـن لـص حقيـر! ولمسـت يـده المرتعشـة القطعـةَ المَعدنيـة ، وأحـسَّ كأن أفعـى لذَغَتْـه. وسـحَب يـدَهُ فـي خـوف، وأحـسَّ أنـه كَلـبٌ جائـع. أحـس أنـه كَلْـب ، وضخَّـم إحساسَـه الصـوتُ المهيـب : كَلـب .. كَلـب .. كَلـب. ووجد نفسـه يقفز إلـى الشـارع. أخـذ نفسـاً طويـلاً مـن الهـواء النقـي، وأحـس كأنـه تخلـص مـن هـم بغيـض. مـا أجمـلَ أن يكـون الإنسـان شـريفاً عفيفـاً، إنـه يكـون أغنـى النـاس ، وتذكـر صِغـارَه . إنهـم ينتظرونـه بشـوق ، سـتة أفـواه مفتوحـة تنتظـر خبـزاً وطعامـاً ، أيطعمهـا الشَّـرف ؟ أيُحْييهـا بالعِـزة والكَرامَـةُ ؟ وَمَضـى علـى غيْـرِ هُـدى يَشُـقُّ أمـواجَ النـاس المُتلاطِمَـةِ فـي الطُّرقـات، وَقـرَّرَ فـي نَفْسِـه أنْ يُعيـد الكـرَّة ، فيأخَـذَ ذلـك المـال . ورفـع عينيـه إلـى السَّـماء ، فوجَـدَ زُرْقَتَهـا بـدأتْ تَقْتُـم مؤذنـةً بغُـروب الشَّـمْس، وسَـمعَ مُـواءَ قطـطٍ صغيـرةٍ فـي زاويـةِ زُقـاق ضَيِّـق ، والتَفَـتَ إليْهـا : قطـطٌ مُشَـرَّدة ربَّمـا ماتـتْ أمَّهـا. قـارنَ بينهـا وبيـن صِغـاره، وتَصَـوَّرَ أنَّ أمهـا ماتـت بدائهـا، وأحَـسَّ أنَّـه يُريـد أنْ يَبْكـي. وقـفَ لحظـةً يتأمـلُ القِطـط الصَّغيـرة الضَّـارعَـة التـي تَمـوءُ مُـواءً أليمـاً ، ورآهـا وهـي تأخـذ طريقهـا

بوَهَـن وضُعـفٍ ، وَطَغـيِ علـى نَفْسِـه ضَـرْبٌ مـنَ الإشْـفاق علـي هَـذهِ القِطـط المُتَشـردَة الضَّعيفَـة ،وتابـعَ سـيْرَه إلـى جُحْـرِه، وطافتْ بذهنـهِ فِكْـرةٌ غَريبـة : هَذه القطط صغيـرةٌ وضَعيفَـة، لكنَّهـا تُحـاول أنْ تَعيـشَ، وَتعتمـدُ فـي مُحاولتِهـا هـذه علـى نَفْسِـها، فَهـيَ وإن كانـت صغيـرَة وضعيفَـة كأولاده، فهـي لا تعتمـدُ علـى الغَيـر ، فلمـاذا لا يكـون أولادُه مثـل هـذه القِطـط ؟ وَخُيِّـل إليْـهِ أنَّ القِطـط شَـريفَةٌ عزيـزةُ النفس ، لذلـك قَـرَّر فـي نفسـه مـرةً أخـرى أن يَظـلَّ شـرِيفاً مهمـا كانـت الأحْـوالِ. وكانـتْ أسْـتارُ الظـلام قـد أسْـدِلتْ علـى الكوْن ، وَأحَـسَّ وهُـو يَشُـقُّها بقـوةٍ لـم يُحِسَّـها مِـنْ قَبْـل، وقَصَـدَ بَيْتَـه

هـرَعَ إليـهِ ابنُـه الأصْغـر بَعْـدَ الرَّضيـع : « بَابـا .. بابـا، هَـلْ تَحمـلُ لنـا خُبْـزاً ؟ إنَّنـا جَائِعـون .. إنَّنـا جائِعـون»

أَحَـسَّ الأب بكلمـةِ الجُـوع كَرصَاصَـة تَسْـتَقرُّ فـي قَلْبـه، ورفَـعَ ابنَـه ليضمَّـهُ إلـى صَـدْرِه. واشـرَأبتْ رؤوسٌ صغيـرةٌ مـن حُجْـرة ضَيِّقـة ، وتبادلـتِ النَّظـراتُ مُتسـائِلةً ، ثُـمَّ انْحَنَـتْ خائِبَـةً. شـهِدَ الأبُ ذلـك ، وتَناهـى إلـى سَـمْعِه سُـعالُ زوجَتِـه، وَأحَـسَّ بقلبـهِ يَتَمـزَّق ، وبنَفسـه تَضْطـرم ، وَفَكَّـر أنْ يَعـودَ إلـى المَتْجَـر فـي الْغَـد...

(إحـدى تجـارب الكتابـة فـي مجـال القصـة القصيـرة ، عثـرتُ بهـا مصادفـة بيـن أوراق قديمـة)

نقطة دم

وداد معروف- مصر

حينما أويت إلى فراشي بعد نهاية يوم طويل، بدأته من السادسة صباحا، وتنقلت فيه من مهمة إلى أخرى، ما بين عملي الوظيفي، مرورا بأشغال بيتي، وختامه في المساء، بوردي اليومي في كتابة رسالتي العلمية، وضعت رأسي على المخدة، وأنا أرتب تفاصيل يوم الجمعة، سأبدأه بطقوسه التي أحب، سيكون الفطور كعادتي فيه طبق التونة مع البصل في الخل، فلا أستطيع تناول البصل بقية أيام الأسبوع؛ حيث الخروج للعمل ومحادثة الزملاء والمتعاملين مع المصلحة التي أعمل بها، سأشعل عود البخور السميك، الذي اشتريته من تلك المرأة التي تبيع لنا المعطرات والصابون في العمل، ثم بعد ذلك أتناول معشوقي شاي الكرك، وكالعادة لن تمر سوى ربع ساعة وأقوم لأعد قهوتي المضبوطة؛ بعدها سأجلس للحاسوب كي أكتب قصتي الجديدة التي لم أجد لها وقتا طوال الأسبوع الفائت، يااااه سأظل أثرثر بالتخطيط للغد حتى أتأخر في النوم؟، عليَّ أن أنام حالا؛ كي أصحو مبكرا لتنفيذ كل هذا الكم من الأعمال والطقوس, ولأترك بقية الأعمال لوقتها.

مع آخر رشفة من فنجان القهوة، قمت لمرآتي رتبت شعري، ووضعت بعض العطر، فأنا لا أجلس للكتابة إلا إذا تأنقت، جلس زوجي على الفراش يتابعني بعينيه، ضحكت لأن هذه عادته اليومية، ما هذا الذي علق بعيني؟ أهو رمش سقط في عيني؟ ربما، فلأحاول إبعاده عن عيني، لا، لا، ليس رمشا، إنه يسيل في عيني، سائل أسود يملأ عيني، يا أله ماذا فيك يا عين!!

ارتاب زوجي من حالي، أشار لي ماذا هناك؟

جلست على حافة الفراش أضع يدي على عيني وأقول له انظر فيها, نظر فلم يجد شيئا، نظرت في المرآه لا يظهر فيها

شيء, ملأ السواد عيني فلم أعد أرى بها شيئا، لا أعرف ما الذي ألقى على لساني عبارة (نزيف في عيني) قال زوجي: لا... لا تقولي ذلك، هو رمش وسيزول عنها, جلست على الأريكة بجوار الشرفة، مكان الكتابة المفضل لديَّ، أغلق عيني الصحيحة لأجرب عيني التي ملأها النزيف إلا نقاط ضوء صغيرة، لا تكتمل فيها الصورة؛ وإنما ثقوب ضوء، الرعب تملكني، الآن عين واحدة التي أرى بها، وهي في الأصل كليلة البصر، تصورت حالي لو... ؟ لو ماذا؟ لو فقدت الرؤية بها؟ كيف تكون الحياة بعين واحدة وكليلة؟ لم أتحمل الخيال؛ فكيف به لو كان حقيقة! اللهم لطفك بي.

مر يوم الجمعة الحزين، فلا أطباء ولا مستشفيات، ولم يعد هناك كتابة ولا قراءة، تمددت على أريكتي التي طالما جلست عليها للكتابة ولمتابعة التلفاز وللبحث الذي يمتد بي ساعات لا أحصيها، أفتح عيني فتزيد العتامة، تتسع دوائر القلق داخلي، كلما ضاقت ثقوب الضوء في عيني، عبر الواتس كتب زوجي للطبيب عن حالتي، أخبره الطبيب أنه في مؤتمر خارج البلاد، لكنه كتب أصنافا عديدة من الدواء، قطرة للعين؛ وحبوبا قبل كل وجبة، وحقنا كثيرة، لكنني سمعت تساؤلا أضغمه زوجي وسط الكلمات: «أوقد يحدث هذا؟» صمت زوجي لبرهة ثم قال: لعل الله يخلف الظنون.

حمق جميل

عبد الله فراجي- المغرب

تدخلُ متعبا في المساء، وذهنك مترع بالأفكار والتصورات والقصائد. وأحيانا تراها تتبعك إلى بيتك، مثل شخوص قفزت من قصص سردية غمرتك بهواها، ونقشت أحزانها وأفراحها في دماغك... تُزيل حذاءك ببطء، والجوارب الملتصقة برجليك ببطء أكبر، ثم تنظر إليها، وترى أن عليك تغييرها.

تصيخ السمع بعنت كبير -أنت الأصم أو القريب من الصمم- لتسمع صوت زوجتك من الغرفة المجاورة، وتفهم من صوتها المختلط بأصوات العيطةِ (١) والبِنْدِير(٢) وجرات الكمنجة المارقة، أنها تقول لك: عْلَى سْلامْتَك. بتثاقل لا حنين ولا حنان فيه، تُهَمْهِم بين شفتيك وكأنك ترد عليها، والحقيقة أنك تهمهم حتى لا تَجعلها تغضب من كونك لم ترد عليها.

ثم عندما تدخل عليها تسألك: كيف كان اللقاء الأدبي؟

قبل أن تجيبها، تدير كل الأفكار والإجابات الممكنة في رأسك، حتى تستخرج منها جوابا مقنعا (لها طبعا) يلخص كل شيء. تنظر إليك والسؤال يتمطط من جديد في ذهنها. أنت حينها تنظر إلى التلفزيون، فتشاهد شيخات (٣) سمينات، يتمايلن في فساتين وردية، فيما يشبه الرقص، أو كما يتخيل إليك، إن كان الرقص نوعا من أنواع الثقافة التي تعبر عن مستوى الحضارة لدى الإنسان.

تخرجك من وجومك السلبي: ألم تسمعني...؟

تفكر بعض الثواني قبل أن تُهمهم ردّا عليها، وتأكيدا على أنك سمعتها. تقول لها:

- نعم كان جيدا.

- هل كان هناك حضور كبير؟

- نعم... نعم.

- أقصد هل حضر غيركم، لأنني أعرف أنكم تحضرون في لقاءات بعضكم البعض، وتتبادلون التشجيع والتصفيق والتهاني. وحتى الهدايا أحيانا.

- نعم، مثقفون وطلبة ومتتبعون. كما العادة.

تنظر من جديد إلى الشاشة حيث المغني بصلعته البضة، وابتسامته الشبقية الآثمة، وهو يصدح بصوته الأنثوي، الشبيه بفحيح الأفعى. يهتز يمينا وشمالا، فيهتز معه الجمهور الغفير في الساحة الواسعة.

في هذه اللحظة الفارقة، تتذكر جمهور القاعة الذي كان يصفق أحيانا، وأحيانا أخرى يبدو عليه الملل والنعاس.

تكتشف أنك لا زلت تمسك بالجوارب النتنة في يديك. ودون أن تشعر زوجتك بأي شيء، تبتسم لنفسك، وأنت تردد بحمق جميل:

الرَّدْفُ أَصْدَقُ إِنْبَاءً مِنَ الْكُتُبِ = فِي رَقْصِهِ الْحَدُّ بَيْنَ الْجِدِّ وَالتَّعبِ.

عبد الله فراجي (المغرب)

(١) -العيطة فن غنائي شعبي في المغرب.

(٢) -البندير: الدف.

(٣) -الشيخة تجمع على شيخات مغنيات شعبيات في المغرب.

تتشكل مساران في قنينة لونها أبيض

حسن علي البطران- السعودية

١

(ثمرة تين)

سمع زقزقة عصافير ، لم يفتح النافذة ..!!

٢

(دليل).

أمسك قلمه ، اختفى

الناس ..!

٣

(أفق ..).

انتظرها ،

قطعت القلادة ..!

٤

(إيجار).

استأجرتُ سيارةً ،
خلعت حذاءها ومشت ..!

٥

(مقعد).

جلس مكانها ،
ألح على أمه بالزواج ..!

٦

(قنينة).

تأوهت ..
كُسر البابُ .!

٧

(بناء).

قالت له : ...
قلتُ لها : نبضه لك .!

٨

(شحن).

أهداه (دباسة) ،
طلب منه تذكرة سفر ..!!

٩

(خط متقطع).

تلفزيون ..
شُهدت العاريات ..!

١٠

(وفاء).

قيدوه ..
تناثرت منه رائحة العود .

١١

(زفاف).

زُفت إليه ، جاءها المخاض ..!

١٢

(إرث).

أنجبته ..
حرمته من الميراث .!

١٣

(فلك).

تشرق الشمس ، تمزقه شكوكه ..!

١٤

(تشكل).

يتنازع مع ملابسه ، لا تتمزق ..
تبقى مرنة .

١٥

(نقلة).

أضاء المدينة ،
مازالت الشمعة تحترق بهدوء .!

١٦

(مساران).

انتهى من صلاته ،
التفت خلفه ، بصق ..!!

١٧

(احتكار).

أحبته ،
أشربته السم ..!!!

١٨

(أبيض).

خرجتْ من بيتي ، تناهشتها السباع ..!

١٩

(حظيرة).

اشترى دجاجة ، منع عنها الماء ،
فباضت ..!!

٢٠

(غزال).

نظر إليها غزالاً ..

تحركت كل حواسها ..!

٢١

(بُعد ..) .

أحببتها كغزالة ، أحبتني كرجل ..!

٢٢(صيب)

أزاحته ،

وأدمنت حبه ..!

٢٣

(ثعلب)

أعطيته ،

حتى أمتلأت قربته ، لكنه للأسف ...؟!

٢٤

(وجع).

توجعَ .. ابتسمت

يا دنيا يا غرامي

محمد الدولتلي - مصر

الصورة اليومية التي لا تتغير لشوارع المدينة في وقت الذروة صباحا ، نفس مشهد الزحام واللون الرمادي الذي يغطيه ، رائحة العوادم التي تلفظها رئات من سكان المشهد لتستنشقها رئات أخري بالتبادل فتزيد من عصبيتهم وضيق صدورهم وهم يهرولون مربوطين من أعناقهم بسلاسل الوقت الذي تدور عجلاته داهسة من يفكر في التوقف لإلتقاط الأنفاس

وكأنه ساقط من زمن آخر ، دخل إلي تلك الصورة التي لا ينتمي إليها فأصبح بقعة شاذة عنها ، بملابسه البسيطة ودراجته العتيقة التي يبذل معها مجهودا أكثر من السير علي قدميه ليقوم بالتبديل علي تروسها مستحثا إياها لمواصلة السير ، كأن العشرة هي ما تمنعه عن الإستغناء عنها ، فتسير به الهوينا كأنه يتحرك بين مروج خضراء وليس غابة تحرقها سرعة الوتيرة .

حاول جاهدا أن يوقف الدراجة بالفرامل التي لم تسعفه قبل أن يصطدم بأحد المارة المسرعين ، فإضطر للميل ليتفاداه حتي سقط وسقطت الدراجة العتيقة فوقه ، مال عليه المار الذي إفتداه بالسقوط قائلا : هل أنت بخير يا حاج ؟

مرة أخري أوجد عنصرا جديدا شاذا في الصورة عندما إرتفع صوت ضحكته مغطية علي جزء يسير من صوت الزحام وجسده يهتز لضحكته وهو جالس علي الأرض قائلا : سمع الله منك وأذهب للحج .

إعتدل المار نادما علي اللحظات التي ضيعها في السؤال عنه، وانخرط مسرعا في دوره في الصورة قبل أن تدهسه عقارب الساعة .

قام ببساطة ينفض عن ملابسه آثار السقوط ، ورفع الدراجة

رفيقته لتعتدل وتكمل ما لم تعد تقوي عليه ، ونظر نظرة علي سكان الصورة كأنه يشاهدهم من مكان عال تملأ عينيه نظرة تجمع ما بين السخرية منهم والشفقة عليهم .

رفع قدمه معتليا الدراجة ، وأكمل تبديله علي تروسها غير عابئ بما تفرضه الصورة علي سكانها ، مرددا بلحن يملؤه نغمات الفرحة تلك الأغنية القديمة:

يا دنيا يا غرامي،

يا دمعي يا إبتسامي.

طفولة مشردة

سكينة شجاع الدين- اليمن

كنت على مقربة من سوق المدينة، أتضور جوعا، تشفق علي الطريق من صرخات بطني المتتالية، بينما أتقوس عليها وأضع حجرا علها تهدأ.

كلب صغير يرافقني كلما رآني أتلوى يأتي ليمسح جسده بي.

بعيدة لازالت الطريق للوصول إلى مكان قد أجد فيه من يرحني، أنا الطفل المتشرد. أبلغ من العمر أحد عشرة بؤسا.. ملاذي جامع في قرية مختلفة أو خرابة فارغة إلا من أنين الجائعين أو المتسولين،

ترافقني الخيبة كثير من الأحيان وأخرى أجد صدى لكلماتي الخاويات فتزهر الحياة في عيني، وأنام قرير العين ترقص بطني طربا لشبعها.

وصلت للمدينة بعد أن تعلقت بمؤخرة إحدى الشاحنات المتجهة إلى السوق، وجدت بعض أغصان شجرة العثرب فأكلت ماتيسر منها حتى سكتت ثورات بطني المتتالية.

نزلت وسط السوق قبل أن ينتبه إلي السائق أو علة انتبه وتغافل عني، تعنيفي بسبب طلوعي دون إذن لرؤيته ملابسي الرثة وحالتي التي تدعو للشفقة.

منذ بدأت الحرب كان هذا العام أشد قحطا على حياتي، لا أدري هل لأني رفضت البقاء مع أسرتي التي أرها تتلوى من جوعها بعد أن باعت كلما يصلح للبيع حتى تسد رمقها الذي لم تجد مايسنده لسنين؟

أم رافقتني دعوة أمي التي رفضت خروجي من البيت فخرجت رغما عنها هاربا بجوعي وملابسي الممزقة؟

تعثرت كثيرا وأنا أسير من مكان لآخر، وصورة أسرتي تطاردني لكني لا أجد عندها مايشجعني على البقاء.

في باحة السوق بدأت الحياة تدب والصراخ في أطراف السوق من قبل الباعة المتجولين، وكنت أبحث عمن يريد حمالا، أو من يريد من يفرغ شاحنته من حملها الثقيل، لا أدري أين اختفى جوعي؟ هل تلك الأوراق التي مضغتها كانت دسمة جدا حتى ألهت بها بطني عن وجعها؟!.

صرخ صاحب الشاحنة التي كنت على متنها

_من يشتغل معي بقوت يومه؟

فرحت بهذه العرض، وهرولت إليه مسرعا

_ أنا أنا ياعم..

نظر إلي من رأسي حتى قدمي ورد ثم قال ببتجهم خفيف

_ أنت لا تقدر على حمل الشوالات.

طلبت منه أن بحريني ولكنه

رفض قبل أن يزجرني بشدة.

عدت خائبا إلى الجانب الثاني انتظر حظا آخر عله يحظى بي.

ظلت قدماي تجوبان السوق يمنة ويسرة، علّ بريق يبتسم لي فأحظى بمن يعولني.

انتصف النهار والشمس مازالت تحرق وجهي بلهيبها، حين دخلت السوق شاحنة جديدة لا أدري سبب تأخرها حتى ذلك الوقت، تقدمت إلى مكان وقوفها وأنا أنظر إلى صاحبها وأرفع الصوت

_ أي خدمةياعم؟ تشتي حمال؟

نظر إلي من طرف عينيه، ثم مسح على لحيته، وتركني لهاجس التخمين.

خريفٌ متعجِّل

صديقة علي - سوريا

يداي اللتان اعتادتا على نثر حبّة القمح الذهبيّة، وعلى أقلام الطّباشير، لم تألفا هنا أشواك الأعشاب البريّة

- توت العليق... القبُار... قثّاء الحِمار

تكفّل العجوز بتعريفي بها، وأنا منهمك باقتلاعها المُضْني من أرض غرفة تسقفها السماء، قال لي إن مالكها قد استصلح الأرض؛ ليقيم عليها بيتًا كبيرًا على أطراف المدينة فبنى هذه الجدران كمحرس للبنّائين ومستودعٍ للمعدّات، لكنّ الحرب أوقفت حلمه واختفى مع اندلاعها، تاركًا للأعشاب البريّة مرتعًا لاستطالاتِها على الجدران، وغدَت الغرفة العارية مأوىً للقطط والكلابِ الشّاردة.

كانت البراميل الكبيرة الصدئة ملهمتي، فرحت أقصّها وأسوّي سطحها؛ لتشكّل سقفًا أستظلّ به، وقام الطين كما كنت أستخدمه في زريبة الخراف في قريتي بنفس المهمّة، فأربط بين كلّ قطعتين بشريطٍ طينيٍّ جبلته من ترابَ الغرفة.

البيوت المترامية حول الغرفة كانت تشرّع نوافذها على مسرح عمليّ، لم يعترض أحد ولم يساعدني أحد ما عدا العجوز الذي أمدني بما يلزمني من رفش وفأس وطعام بارد، لكنّه كان يهزأ بي، وكاد يثبِّط من عزيمتي بتكراره: لا جدوى، لا جدوى.

كنت أتجاهل نصائحه المتعلّقة بغرفتي المبتكرة، وتابعت عملي بجدٍ وحماس. سوَّيت أرض الغرفة ورحت أرصفها بأعواد التين والزيتون، أرصفها بجانب بعضها البعض، ثم أسكب الطين بينها أمسّدها بكفيّ؛ لتصبح ملساء وأتركها لتجفّ.

رحت أبحث عن عمل يناسب سنيني الخمسين، أبيع الخبز على الأرصفة، أحمل القمامة، أكنس سوق الخضار أنقي منه ما

يصلح للطعام، وبمال قليل حوّلت الباقي من قصاصات صفيح البراميل إلى درف بمفاصلها تغلق النوافذ وتفتحها، دعمتها بقطع بلاستيكية كنت قد التقطتها من السوق. دلّني العجوزُ على مركز معونات قريب يوزّع للوافدين بطّانيات، وفرشًا اسفنجيّة، طبّاخَ غاز، (طناجر)، أباريق شاي، كؤوساً، زيوتًا وسكّرا وأرزًا، بعد انتظار وازدحام مذلّ، فزت بما أريد وأصبحت غرفتي تزهو بأثاثها الضروريّ، وبالفيء المنعش، وتضجّ بالحنين. صار عندي مأوىً أهرب إليه من شمس حارقة، ومن رطوبة خانقة لم أعتدْ عليها بعدُ، أستلقي على الفراش أراقب السقف، أفكّر كيف سأخفي كلّ هذا الصدأ، فأهبّ لحيطان المقبرة، أقطع أغصان الرياحين أغطّي بواسطتها كلّ هذا القبح، كانت المعضلة التي تواجهني كلّ يوم هي تطفّل العجوز الثرثار الذي بدا غير راض بكلّ ما أقوم به، وأقحم أنفه بشؤوني، لكنَ طيبته جعلتني أحتمل وجوده الدائم معي، كنت أخجل من انكشاف عوزي أمامه، وكان كثيرًا ما يدعوني لبيته ويشرح لي وحدته؛ لكنّني لا أقوى على قبول دعوته، وأنا محمّل بكلّ هذه الأوساخ وهذا القهر.

ما يشغلُني فقط كيف سأجلب أسرتي إلى هنا، وهل تتحقّق معجزة الهروب مرتين.

- كيف الوضع عندكم؟ ... ادفعي كلّ ما معنا ودعيهم يسمحون لكما بالخروج.

رحتُ أهوِّن عليها وأدعوها لبيت مجانيّ:

لا لا لم أستأجرْ، هنا البيوت باهظة الإيجار لا... لا ليس مركز إيواء، هو بيتٍ مجانيّ لا ينقصه سواكم، فقد زوّدته من ماء المقبرة بالماء ومددت سلكا كهربائيًّا إليه مكّنني من إنارته

نعم أستحمّ بطست واسع وأغسل ثيابي... البحر؟ نعم، هو قريب جدًّا أخيرًا سترينه

رددت الهاتف النقّال للعجوز الذي كان يتابع حديثي باهتمام ببسمة ظافرة تقول: نجحنا أخيرًا بالاتّصال، قلت له أغالب

غَصّـة فـي حلقـي:

كنّـا بعـد كلّ موسـم نخطـط لسـياحة نقضيهـا علـى البحـر ونؤجِّلهـا إلـى موسـم آخـر

كـدت أطيـر مـن الفـرح، أخبرنـي العجـوز وهـو يلـوِّح بهاتفـه الذكـيّ مـن بعيـد أن زوجتـي وابنتـي فـي طريقهمـا إلينـا، رحـت أجـول بنظـري أتفقّـد مملكتـي الجديـدة، أتفقّـد مـا ينقصهـا. زوجتـي وابنتـي لـن يغفـرا لـي إهمالـي للمـرآة.

أتأبـطُ المـرآةَ حينـاً وأرفعهـا أمامـي أحيانـاً، أختلـس النظـر إلـى وجهـي، دهشـت لمـا حـلّ بـه، كـم هرمـت! علـيّ أن أحلـق ذقنـي قبـل وصولهمـا، ستسـتغرق رحلتهمـا يوميـن علـى الأكثـر مـازال لـديّ متسـع مـن الوقـت.

سـقط مـن حسـباني شـيء جوهـريّ صـادم كشـفه الخريـف المتعجّـل الـذي سـبقهم إلـيّ، الأمطـار المفاجئـة، كانـت غزيـرة جـدًّا أذابـت الطيـن الهـشّ. السـقف لـم يصمـد لسـاعات أمـام معركـةٍ شرسـةٍ أحالـت الغرفـة إلـى بركـة مـاء صاخبـة، وشـرّعت النوافـذ للريـح.

بيـن قبـور رخاميّـة، أغبطـت مـن فيهـا، أمضيـت ليلـي البهيـم فاضـت فيـه دموعـي مـدرارًا، كأنهـا تخـو سـباقاً مـع مـاء المطـر، أتذكّـر سـخرية العجـوز وهـو يهـز برأسـه ضاحـكاً: "أو تظـنّ أن مـا يقيـك حـرّ آب سـيقيكَ بـرد الشـتاء؟ " مـع شـروق الشـمس هـدأت الطبيعـة بأخـذ اسـتراحة مـن تعـب الأمـس، أشـفقت علـى العجـوز وهـو يـدور بعكّازه مـع الوحـول المندلقـة مـن غرفتـي والتـي تقيّـأتَ أثاثهـا البسـيط، سـمعته بصوتـه المرتجـف بـردًا يسـتغفر الله، وإذ كان ينسـى دائمًـا اسـمي راح ينادينـي بحرقـة

لا حـولَ ولا قـوةَ إلّا بـالله هـا... يـا بـن الفـرات، أيـن اختفيـت، أينـك وهـذا الطوفـان؟

طيف نجيب محفوظ،
أو "حلم نجيب محفوظ"

عبير سليمان عبد المالك - مصر

كنت نصف نائمة بجسد خاضع تماماً لأيادي الجراحين ، في غرفة عمليات وفريق كبير من الأطباء يتحركون حولي بنشاط وبجدية ، يبدو أن نصفي السفلي فقط هو المغيب عن العالم ، لكن عقلي يعي كل شيء وعيني ترى أكفا كثيرة مخضبة بدمائي ، تدخل الأيادي في قلبي المفتوح وتخرج كأنها تبحث عن أشياء مفقودة ، واحد منهم له هيئة وقورة ، كان رجل طويلٍ القامة ونحيل يبدو كأنه تخطى الستين ، لكنه أكثرهم نشاطاً ومهارة ، رأيته يخرج من قلبي دمىً وصورا صغيرة اختفت ملامح أصحابها بفضل بقع الدماء المتجلطة فوقها ، فلم يتبقَ إلا آثاراً من وجوه مطموسة تشبه المسوخ ، بالكاد لمحت إحداها ولم يبد من وجه صاحبها إلا عينا واحدة وفما قذرا بأسنان سوداء ، تكاد تنبعث منها رائحة كريهة لفم لم يُغسل منذ شهور ، جمعها الطبيب بأصابع رفيعة ماهرة وألقى بها في برطمان زجاجي ، تعجبت كيف لقلبي الصغير أن يحمل كل هذه الأشياء

بعدما أفقت جاءني الطبيب المسن فإذا به نجيب محفوظ بنظارته وشامته المميزة ووجهه المبتسم الجذاب ، لولا الجرح في صدري كنت أود النهوض لتحيته ، قلت له :" لا أقدر على وصف سعادتي لرؤيتك ، لكن طمني ماذا وجدت في قلبي؟

ضحك قائلا وهو يمسك في يده البرطمان "ما كل هذا الذي كنت تحملينه بداخلك ، هل أنت ممن يتلذذون بتعذيب أنفسهم ، وتحميلها ما لا تطيق؟ لقد أتعبنا انتزاع كل هذه الأشياء الملتصقة بالجدار الداخلي للقلب ، لكننا نجحنا في النهاية ؟

كان رأسي يؤلمني وعينيّ تعلوهما غشاوة من ضباب فقلت" لا أتبين ما كل هؤلاء

رد قائـلا : " الأفضـل أن تتسـيهم ، حتـى يتـم العـلاج وتمـر فتـرة النقاهـة دون مضاعفـات ، والآن لـدي مريضـات كثيـرات ، ولا وقت لـدي للثرثـرة ، فقـط أنصحـك بعـد الخـروج مـن هنـا بـأن تعاملـي قلبـك كأنـه شـقتك التـي تعيشـين فيهـا ؟بيـت الإنسـان منـا يحتـاج مـن فتـرة لأخـرى إلـى صيانـة ، وأن يُفـرغ مـن كل الأشـياء القديمـة ، والبشـر أيضـا ممـن يثقلـون كاهـل الآخريـن بالتنمـر وطـول اللسـان وانتهـاك حياتهـم الخاصـة وحريتهـم ، عليـكِ أن تمنحـي قلبـك فتـرة نقاهـة كل شـهر أو شـهرين ، تطهرينـه فيهـا مـن الذكريـات السـيئة ، ومـن اللغـو بـلا طائـل ، لابـد أن تفتحـي شـبابيكه للهـواء كـي يتجـدد ويظـل نقيـا وجديـداً وحـراً مثـل عصفـور صغيـر

وأتـم حديثـه :" " لقـد ركبنـا لقلبـك دعامـة حديثـة مـزودة بكشـاف يضـيء ذاتيـاً عنـد تعرضـه للخطـر مـن قبـل سـارقي المشـاعر والمتلاعبيـن بالقلـوب ، سيسـاعدك كثيـراً فهـو أيضـا مـزود بـرادار يرصـد ليـس فقـط قلـوب الرجـال الطامعيـن المحتالين ، إنمـا أيضـاً يعطـي إشـارات ضوئيـة للعقـل كـي يحـذره مـن بعـض المحيطيـن سـواء فـي العمـل أو أصحـاب القلـوب السـوداء الذيـن نتعثـر بهـم أثنـاء رحلـة حياتنـا

غرفة رقم ٧٧
مناف كاظم محسن- العراق

أيقظه منبه هاتفه النقال. فتح عينيه فرأى نور الصباح منتشراً في الغرفة رغم أن الستائر مسدلة. فكّر كم كانت رحلته بالأمس طويلة ومتعبة. لم يعتاد السفر دون زوجته وأبنائه او دون أحد من أصدقائه المقربين الّا عندما ينظم مديره اجتماعا لمدراء حسابات فروع الشركة الذي يعمل بها. لقد أحسّ بالغربة في هذه المدينة الجبلية منذ اللّحظة الأولى عندما وطئت اقدامه سلم الطائرة، مستنشقاً هوائها البارد الجاف. حاول النهوض من السرير قبل أن يتأخر عن موعد الاجتماع فلم يستطع. كرر المحاولة مرة أخرى لكنّها بائت بالفشل. لم يعرف ما الذي حدث له. أراد أنْ يمدّ يده لهاتفه النقال بجانبه لكنّها لم تتحرك هي الأخرى، أصابه الفزع، ولم يعرف كيف يتصرف. لقد أصبح مشلولاً فجأة دون سابق إنذار. فكر أنْ ينادي أحداً ما، عامل الفندق الذي حمل حقيبته ليلة البارحة وأرشده إلى هذه الغرفة دون أنْ يفهم لغة العامل الأجنبية وعندما حاول أنْ يتكلم معه باللغة الإنكليزية أجابه العامل بالإشارات انّه لا يعرف أنْ يتحدث بها.

انّه أمر غريب حقاً، فلم يشعر بألم في جسمه يبرر هذا العجز التام عن الحركة، لكنّه رغم ذلك لم يستطع أنْ يتحرك. صاح بصوت مرتفع جداً، متمنياً أن يسمعه أحد النزلاء أو ربما عاملاً من العاملين كي يأتي لإنقاذه من هذا الشلل الذي أصابه بالكامل لكن صوته ضاع في الصدى بين جدران هذه الغرفة المغلقة مثل قفص ضيق. لم يعد يفكر بتأخره عن الاجتماع وإنما في الخلاص من هذا الكابوس الذي حوله لجثة هامدة. اجتاحته موجة بكاء عارمة. بللت الدموع خديه فحاول أنْ يمسحها ولكن كيف وهو عاجز عن الحركة تماماً. وعندما تيقن أنْ كل ما يحدث له الآن هو الحقيقة المؤلمة ولم يكن يحلم استسلم وأخذ

يحدق في السقف تاركاً نفسه تتأمل تدريجياً في الأحداث التي مضت وصارت صورٍ مدفونة في أعماق الذاكرة، لكنّها تظهر ويصبح تأثيرها قوياً كلّما صار وجهاً لوجه مع نفسه. فتذكر قبل سنوات طويلة عندما كان لا يزال يدرس في الجامعة. نعم لقد حدثت له نفس الأعراض ونقل على أثرها إلى المستشفى، لكنّه لم يكن لوحده، لقد كان محاطاً بأخوته وأصدقائه، والأهم من ذلك كلّه وجود امّه وحنانها الذي يسع العالم كلّه. لكنّه الآن وحيد حزين منعزل ممدد على ضهره، فوق سرير خشبي في غرفة أحد فنادق الشمال حيث البرد القارص، يواجه المجهول المرعب. تمنى أنْ يكون في منزله بين أبنائه وزوجته. لقد ماتت امّه منذ زمن بعيد، ليتها تراه الآن بهذا الوضع العجيب لدرجة البكاء، أكيد سوف تمسح على رأسه وتقرأ له الأدعية وبعض سور القرآن بصوتها الشجي، كي تزيل عنه الخوف وتمنحه بركات الرّب وتبعد عنه وساوس الشيطان التي تزرع الرّعب في نفسه المسكينة.

أنصت لصوت ضئيل جداً، موسيقى ربما من الغرفة المجاورة له، انتشر صدها بين ذرات الهواء الذي مازال يستنشقه وهو بهذا الموقف المخيف جداً، فأخذته لمشاعر غريبة عاشها منذ زمن بعيد عندما كان لا يزال شابا يافعاً مندفعاً. ربما سمعها في مكان ما بالرغم من انّه يسمعها الآن للمرة الأولى. لكنّها تشبه الأحلام المنسية المدفونة في الاعماق والتي تأتي فجأة في لحظات التأمل فتثير الذكريات القديمة، أيام الحب الأول والامنيات التي تلاشت واختفت في خضم الحياة اليومية التي حولته من انسان يملك المشاعر المرهفة يحلم أنْ يكون رساماً او شاعراً الى موظف يركض خلف لقمة العيش. كانت لديه الكثير من الآمال الكبيرة التي يحاول تحقيقها كي يعيش في سعادة دائمة. لكنّه لم يتمكن وانتهى به المطاف الى هذه الغرفة المغلقة. شيء ما قتل أحلامه بوحشية. هذه الذكريات المنسية، هذه المشاعر التي تحاصره الآن جعلته مرتبكاً قلقاً. لوحاته التي رسمها قبل سنين وضاعت في خضم الأحداث، كتاباته الأدبية

التي أحرقها قبل سنين كردة فعل لحالة يأس اجتاحته في حينها بسبب ذلك الأديب المتغطرس الذي قال له بعد قراءتها (إنك لا تمتلك الموهبة كي تكون اديباً). سأل نفسه ما إذا كان وحده الذي تأخذه الهواجس لهذه الأحزان السماوية أم هو هذا العجز الرهيب قد أيقظ في نفسه كل ما كان قد نسيه كل تلك السنين الطويل.

سمع أصوات عاملات التنظيف خارج الغرفة، أنصت لثرثرتهن وانتظر يغمره الأمل أنْ يدخلن الى غرفته لتنظيفها. تخيلهن كيف سيصيبهن الرعب عندما يرينه بهذا الوضع المريب. أكيد سوف يخبرن إدارة الفندق بسرعة وسوف يأتون لإنقاذه وينقلونه الى المستشفى. تلاشت اصواتهن ولم يعد يسمع شيئا سوى وقع اقدامهن وهن يبتعدن دون أنْ يدخلن الى غرفته. أحس بالحزن ولم يعرف ما الذي يجب عليه أنْ يفعله الآن، لكنّه رغم ذلك تمنى أنْ يأتي أحد ما وينتشله من هذا الكابوس الخانق. رن هاتفه النقال ففرح كثيراً، اكيد هذا مديره يريد أنْ يعرف لماذا تأخر عن الاجتماع. رنٍ الهاتف مرة ثانية وثالثة ثم ساد السكون في الغرفة. ظل غارقاً في أفكاره المضطربة. الوقت يمضي دون أنْ يتغير أيّ شيء. وأخذ تدريجياً يفقد احساسه بجسمه. لم يشعر بالجوع ولا بألم في أيّ عضو من أعضاءه. كأنما هذا الجسد ليس جسده، فكر هل هو ميت وإذا كان ميتاً فلماذا لا يزال يفكر ويسمع صوت أفكاره يرتفع في ارجاء الغرفة.

رحل النهار فهبط الظلام رويداً رويداً. تيقن انه لن يأتي أحد بعد الآن، ربما لم يعد موجوداً وصار صوتاً ضائعاً في العدم. حتى الأصوات البعيدة الذي كان يسمعها ويشغل نفسه بالإنصات اليها تلاشت وساد السكون التام. صارت الغرفة مظلمة جداً فلم يبق له سوى الانتظار. (اذن انتظر هذا كل ما أستطيع ان افعله) قال لنفسه كي يقتل اليأس الذي أحسّه رغماً عنه ولم يستطع الخلاص منه.

أخيراً فُتحَ باب الغرفة ولم يذهب انتظاره سدى. ها قد أتوا لإنقاذه وسوف ينتهي هذا الكابوس المرعب حد الموت. لم

يستطع أن يلتفت ليرى من القادم. لكنّه سمع كل شيء بوضوح تام. كان نفس العامل الذي حمل حقيبته ليلة البارحة وأرشده للغرفة، لكنه الآن دخل مع شخص آخر حاملا الحقائب، وضعهم قرب خزانة الملابس وخرج دون أنْ يلتفت اليه، او يحاول إنقاذه، تاركاً المسافر المتعب يخلع حذائه ثم يرتمي على السرير كي ينام ليرتاح من تعب السفر.

المقامة الفيسبوكية

صالح الهنيدي - السعودية

حدثنا نهبُ بن عطاء قال : كنا ببلدة (فيسبوك) من أعمال (عنكبوت) ومعنا أبو الأمل الجريح , صاحب اللسان الفصيح , والمنطق المليح , فأخذنا نشرّق في الحديث ونغرّب قلت له : يا أبا الأمل حدثني عن أسفارك العديدة في أزمانك البعيدة .. فتنهّد ثم قال : يا بن أخي لقد أثرت أشجاني , ونبشت أحزاني . فاستطرد قائلاً :

قبل ارتحالي إلى بلدة (فيسبوك) كنت أقطن مدينة (المدونات) حيث يكثر الفتيان وتقل البنات , مدينة يحكمها الأفراد وليس الجماعات , عشتُ فيها ردحًا من الزمان , أرفل في ثياب الأمان حتى رأيت قافلة تنهب أرض (عنكبوت) قد شدت الرحال إلى أرض الآمال !! ظهر على أفرادها التعب , وكثرة النصب , فسألتهم من أين جئتم وإلى أين ترحلون ؟! قالوا : اسأل أميرنا , ولا تعطل مسيرنا , فأشاروا إلى فارس قد ربط (كيبورده) واشتمل عليه بردة , قلت من أين جئتم يا أخا التقنية ؟! قال : جئنا من بلاد (صخر) ولنا الفخر , وطفنا ببلاد (الحاسوب) بلدة بلدة , مررنا بـ (نوافذ) وأمر الله فينا نافذ , وعرجنا على (الويندوز) فهل هذا يجوز ؟! قلت : يا أخا التقنية لا تطل الكلام فتجد من رعيتك الملام !! أخبرني إلى أين ارتحالكم الساعة ؟ حتى نكون مع الجماعة ؟! قال سنرتحل إلى بلدة (فيسبوك) بلدة لم يرها جدك ولا أبوك !! قلت : سأحجز لي مقعدًا على لوحة المفاتيح , فهل فِعلي صحيح ؟! قال : أحسنت العمل يا أبا الأمل , وشددنا الرحال صوب (فيسبوك) وفي طريقنا رأينا مدينة ناضرة تسلب الألباب الحائرة , فسألت الأمير : أهذه واحة الأحلام أيها القائد الهمام ؟! فتعالت منه الضحكات وارتجز يقول :

يا واحة الأحلام في الآفاق * مهلاً فقلبي ذاب من أشواقي

أشعلتِ وجداني بنار محبةٍ * وبدا دخان الشوق في أحداقي

فانتشى (الكيبورد) ومشى , فقلت : رفقًا بنا أيها الشاعر , فقد سحرتَ المشاعر .. فتنهّد ثم صرخ : هذه واحة (المنتديات) مأوى الأدباء والأديبات , ألا ترى (إستايلها) الجميل قد شُدت أوتاده وأطنابه , واستقر في ظلاله مرتادوه وطلابه , ينعمون بالظل الظليل والأدب الجميل ؟! قلت : ما أسعد سكانها وما أبهى مكانها !! دعنا يا أخا التقنية نسترحْ من هذه الرحلة المضنية بالنزول في هذه البلدة المغنية .. قال سيد القافلة : أمامنا مسافة هائلة , وهاهي الشمس إلى الزوال مائلة , وجاوزنا واحة (المنتديات) أفسح البقاع في (عنكبوت) ...

وفي طريقنا المحفوفة بالخطر اعترضتنا عصابة من (الهكر) ليسوا من البدو ولا من الحضر ... فصوبوا نحونا برامج الاختراق حتى شارفنا على الاحتراق , وجردونا من (سيديهاتنا) فزادوا مأساةً إلى مأساتنا .. وغادرونا ونحن مشدوهون وفي مصيرنا مفكرون ... ونظرتُ إلى أبي الأمل وقد صمتْ , وعن إكمال الحكاية سكتْ !! قلت : يا أبا الأمل , أكمل الحكاية حتى نعرف النهاية , قال : حفظ الله فلاشك من الفيروسات , وفراشك من الناموسات.. فبعد أن جاوزنا بلدة (المنتديات) وما حصّلنا بعدها من التبعات, يممنا شطر بلاد الـ(فيسبوك) الشاسعة, وكانت رحلة ماتعة , وما أذّن العصر إلا ونحن في ذاك المصر , فاستقبلتنا التحايا والإضافات , بآخر الأخبار والمناسبات , ولأول وهلة , سرتْ في عقولنا الغفلة , ونكزة إثر نكزة ووخزة تعقب وخزة !! قلنا أيها القائد ألهتنا الموائد عن الفوائد , فابحث لنا عن مجموعة , فكلمتك هنا مسموعة , قال : لا بد أن تكتب التعليق حتى تحسن التحليق , وأن تُظهر الإعجاب بما لذّ وطاب .. وفيما نحن نسرح ونمرح ونكتب ونشرح ؛ أخذنا نفكر في هذه المدينة التي تُعلّق على جدرانها الصور المدهشة , ويتخاطب سكانها بنظام الدردشة , فكتبنا هذه العبارة , ولم نشعر إلا وقد تمت الإشارة , فقال أحدنا : مدينة تساوى فيها الرفيع والقمّة , بالوضيع وساقط الهمة كيف نسكن

فيها ونرتشف الثقافة من فيها ؟! انظروا إلى بعض أهل الثقافة والأدب قد نشروا على جدرانهم قلة الأدب , بكلمات فاضحة وردود جارحة , غزلهم جريء , ومنطقهم بذيء قلت له معاتبا : هذه حديقة غنّاء , وارفة الأفياء خذ منها المفيد ولا تطمح للمزيد , قال أميرنا وقد ظهر عليه التوتر : سنشد الرحال إلى (تويتر) قلنا له وما تويتر ؟! قال : بلدة تبعد من هنا مسافة القصر فلنشد الرحال بعد أن نصلي العصر فأمامنا رحلة شاقة , وأخشى أن ينشر الليل رواقه , حيث مدائن (الآي فون) و (الآي باد) وما أبعد تلك البلاد!!!

قلت له : أيها الأمير أضناني المسير , فامنحني فرصة المكوث حيث سأغلق عنكم (البلوتوث) , سأعيش هنا مدى العمر , ولله تصريف الأمر .....

فانتبهتُ إلى عيني أبي الأمل وقد فاضت بالدموع وأنشأ يقول بصوت غير مسموع :

أنا لا أعلم أحيا أو أموتْ

في بلاد العنكبوتْ

هدّني القول وأعياني السكوتْ

وعدتني امي لكنها لم تفعل

محمد الخرباش- المغرب

من يوميات رمضان ٣٢٠٢

الصباح مشرق ،انه أول يوم في فصل الربيع ،الزهور التي اشتريتها ووضعتها على الشرفة تبدوا مبتهجة ،وأغصان النعناع التي تركتها داخل كوب ماء قصد تجذيرها بدأت تطلق تفرعات صغيرة،بالشارع الناس أيضا مشرقون ومبتهجون ،ابنتي تطلب مني ان أشتري لها سجادة ومصحفا و (عباية)للصلاة ،تجزم ان غدا هو الفاتح من رمضان،زوجتي سلمتني لائحة الطلبات الضرورية للشهر الكريم،لقد حولت المطبخ إلى مختبر سري تعد فيها كل الحلويات والمأكولات الرمضانية ...جزار الحي طلب مني رقم هاتفي ،قال لي انه سيتصل بي بمجرد ان ينتهي من تجهيز طحال بقري بالتوابل الفاسية ،هاتفي يستقبل مجموعة من الصور والفيديوهات الخاصة بتهنئة رمضان ،معظم الذين بعثوها تكاسلوا عن التواصل المباشر ،صاحب مقهى يسأل عن أحد اصدقائي الذي طلب منه إحضار كمية كبيرة من تمر المجهول، لكنه لم يحضر لكي يدفع ثمنها ...شركة الاتصالات ترسل لي أيضًا رسالة تهنئة، وتشكرني على وفائي واخلاصي ،بعدما أنهي دوامي بالمكتب اتوجه لشراء كمية من البرتقال والخضروات وبعض الحلويات،في الطريق يصطف الناس في طوابير للحصول على اوراق لا علاقة لها باوراق الكتب ، اليوم استلقي على سريري واستسلم للنوم ، تزورني امي في احلامي ،تحضر ببهاء يجعلني اشعر بانتشاء يغمر صدري وتحرص كعادتها على ان لا تزعج منامي ، تضمني و تمسح على رأسي،وعدتني الليلة انها ستوقظني كما العادة عند موعد السحور ،وبأنها ستشرف على اعداد مائدة الافطار وستقشر لي البيض كما العادة ، لكنها لم تفعل !!

تراتيل إلى جدتي...

هدى المهتدي الريس/ لبنان

ما زالت رائحة التبغ تدغدغ ذاكرتي...

عبر زقاق.طويل يحمل عبق ماض اندثر تحت معاول الإهمال..والجشع...وجني المال...زقاق في حي يعتبر من أقدم آثار مدينتي الصغيرة هذا الميناء الأقدم في التاريخ الذي تطوف على شاطئه ذكريات اجداد واسماء عوائل عريقة مروا من هنا وضعوا لبنة وبصمة في معجم اسمه طرابلس الفيحاء ما زالت قلعتها تقاوم أنياب البشر قبل فواجع الأيام..هذه المدينة الصغيرة لم يرحمها من تربع على عرشها ونام بين بساتين ليمونها واكل من عيون عنبهاوتغذى وشبع من شفاه تينها ...

وما زالت حتى اللحظة شامخة تقاوم الإهمال والفقر وجشع الكراسي و المناصب وتعاقب الأيام....والأسماء..

كانت من أسرة معروفة متوسطة الحال ..تضم تحت جناحها عوائل كثيرة...

هل كانت جدتي تحس بالألم...

تشعر بتفاوت الحظ والفرص وبريق الجاه بين الطبقات... ؟ ؟!!

هل كان هذا ما يدفعها لبعثرة وامتصاص الامها مع سيجارة تمضغ جوع يتامى وفقراء يتغذون على فضلات موائد الكبار؟ ؟!! واحدة من ضحايا الفقر بائعة التبغ...

.كانت تصحبني جدتي إلى كوخها..

غرفة تتكدس فيها أطباق التبغ..كل طبق تفوح منه رائحة عرق سواعد من زرع ..وتمتمات اغاني نسوة وقت الحصاد وحبل تتهادى على اذرعه وريقات ذهبية اللون تراقصها خصلات الشمس..و.بائعة التبغ لا تكف عن سرد تاريخ وشجرة

عائلـة بضاعتهـا ...

نعم.....

كانت جدتي مدخنة...

علـى سـطح المنـزل كنـت اجلـس قبالتهـا ارقبهـا وهـي تقـص جدائـل أوراق التبـغ إلـى حلقـات صغيـرة فـوق صينية ترشـها بالماء وتنشـر فوقهـا حبيبـات مـن السـكر...حتى اللحظـة لا أدري لمـاذا السـكر كل مـا كان يهمنـي أن اغافلهـا والعـق كمية سـكر واهـرب....

نعـم كانـت مدخنة...لـم تكـن تخـاف جـدي ولكنهـا كانـت تخـاف خالي ابنهـا البكر...كانـت تـرش أرجـاء البيـت بمـاء الزهـر والـورد قبـل عودتـه مـن عملـه لتخفيـف الرائحـة ...التـي كانـت تعشـش فـي أرجـاء البيـت. كان يعلـم أنهـا تدخـن...وكان يضـع لهـا تحـت مخـدة نومهـا مبلغـا إضافيـا كل شـهر لشـراء حاجتهـا مـن دوائهـا..

نعـم كانـت سـيجارتها (اللـف) هـي رحلتهـا وسـفينتها إلـى عالـم ينسـيها تعبهـا والأم مرضهـا ....

يرحمهـا الله...لـم تمـت مـن التدخيـن ولكـن مـن هـم...أكل عمرهـا وتغـذى علـى ضجيـج قلبها...وصمـت شـفاهها.

عندما يهل هلال الجازية

سيدة بن جازية- تونس

نشأت في بيئة صحراوية حيث الصعاب و المسالك الوعرة فأكسبتني مراسا صعبا وقلبا صلباو عزيمة فولاذية وحكمة أشد بها شكيمة الجماح. رغم ما توفر لي من جاه وحسب ونسب إلا أنني مثابرة أقف على كل شؤوني وشؤون قبيلتي وقد حباني الله بمرتبة مرموقة بين ناظري والدي ،يرسم لي طريق المجد على عكس ما كانت تلاقيه النسوة في قبيلتي ربما لأنني كنت البنت الوحيدة بين إخوتي الذكور وربما قدر جميل ساقه ربي لعربية مثلي، وقد تمتعت بكل حريتي حتى في اختيار شريك الحياة على عكس عادات المجتمع القبلي أو البربر أو العرب، لكن لحسن تصرفي وشدة حبي لقبيلتي ثرت المصلحة العامة على المصلحة الخاصة فتركت حب شاب مولع بي للهيام والعشق واخترت الزواج بسيد من أسياد مكة وشريفا من شرفائها لأنجب سيدا من أسياد العرب يحمل بعض صفاتي. انت حياتنا مترفة لا تشوبها شائبة ، وسط بقية القبائل بيد أننا نعيش على تربية الإبل والماشية و تجارة الغنم في شبه الجزيرة حتى ذهب الكثير من الخير وحل الجفاف و الجوع للبشر والنعم و دخلنا مرحلة الحل والترحال والبحث عن الموقع المناسب ،وهذا لا يكون أمرا سهلاً لما ينشب من معارك للفوز بالموقع الأنسب و أصبحت القاعدة الجديدة البقاء الأقوى ... وهذا ما أقظ مضجعي و أربك حياتنا بعد الاستقرار.

أذكر أنني خضت مع قبيلتي سنوات الجفاف والقحط بنجد معارك حامية الوطيس تحتاج إلى الحنكة والدراية ،حيث استدرجت بعد رسم خطة مع أخي» أبو علي الهلالي « العدو إلى خندق كبير أهدرت على جانبيه القمح والشعير فسقط كل الأعداء و ردمناهم كي يكونوا عبرة لكل العرب وكل من يفكر في الإغارة على قبيلة الهلالية . سرى الخبر بين القبائل كالنار في الهشيم وفتحت

أمامنا أبواب رزق لم تحسب.فجلبنا مجدا وعزا لا يضام وملأنا المؤن والمخازن لضمان سنوات من القرار. منذ ذلك العهد أصبحت حكيمة وبعضهم يروننني صنديدة عتيدة يدعوننني إلى المجالس من وراء الحجب كي أفصل في النزاعات و خصوصيات العرب وبعض العجم... و أفوز دائما بحسن المشورة ولا يغادر أحد مجلسنا إلا وقد حقق بعض الرضى و القناعة لأن الحكمة مهارة وصناعة. ومرت الأشهر والاعوام لكن دوام الحال من المحال فدارت الأيام و نزحت القبائل بحثا عن مرعى وماء و اتقاء صولة بعض الشرساء ممن يسبون البنات ويسلبون كل ما يمكن حمله ولم يسعفنا الحظ في المقاومة فاضطررنا إلى الرحيل.

أين سيكون ؟ وهل عزنا سيدوم كما أوصانا الآباء والجدود ؟!!

هل نشرق أم نغرب أم نبعث رائدا يستكشف المكان ويقي أهل القبيلة العناء والشقاء؟!

اتفقنا على ارسال سيد الفرسان و مرت الأسابيع والكل ينتظر خبرا سعيد وميلادا للفرج قريبا حتى هل هلال ذياب رافعا راية الأمل أو السراب. . جمعنا الأمتعة وغادرنا ليلا إلى ناحية الغرب كي لا يلحق بنا عدو ولا منافس والغرب دائما يحمل الغريب و يا للغرابة من هول ما لقينا من متاعب وأهوال أفقدتنا العجائز والأطفال . وطال الطريق الصحراوي الجاف ونحن في ضيق حتى انتهى المطاف. بعد سير شهر بروضة كأنها الجنة اخضرارا وإشراقا هواؤها نقي ندي ينعش الروح و يداوي الجروح والقروح. أين الجازية لم نسمع لها حسيسا ولم نر لها بصيصا. صمتها قد يحمل هاجسا أو نبوءة زرقاء اليمامة تنهدت الجازية حتى كادت تقطع الأوصال ولم تصدق أنه سيحلو لها المقام بصدر مقبوض رغم جمال المكان اليانع وكثرة الينابيع .. وما إن بدأ الرجال يدقون الأوتاد وينصبون الخيام ويضعون الأثقال والأمتاع حتى تناهى إلى مسامعهم صهيل الجياد وقرقعة السيوف بين الأنداد. فنبهت صناديد القبيلة إلى الاستعداد وانطلقت حربا ضروسا طاحنة. اكتشفت بعد جهد

جهيد أن عدوها جاء يطلب الثأر لما فعلوه بهم في غابر الأيام ، فلم تستسلم الجازية للهزيمة وهي تعرف أنها الحكيمة وأن رجال القبيلة قبل نسائها ينتظرون منها حيلة فأهدلت شعورها و تزينت بردائها الفاخر الذهبي واعتلت صهوة جوادها ثم ارتمت وسط حرب حامية الوطيس ،فأدهشت كل المحاربين حتى إبليس. ذهلوا كيف لامرأة أن تحمل قلبا جسورا يخترق السيوف ؟! كيف لها أن تتزين و تتأنق والأعناق تقطع في الوغي؟!

سحرتهم وفعلت فعلتها دون تعويذة. أو قوة خارقة وكأنها قد بركت عزائمهم وأطفأت نار ثأرهم بينما ثارت ثائرة رجال القبيلة وأهل البيت كيف للجازية أن تقتحم المعترك و تكشف حرمة و لا تخشى سبيا أو هزيمة. فأخذوا يعملون السيوف يمنة ويسرة دون خوف أو تفكير بينما تعالى صوتها مزمجرا

« تطلبون ثأرا من الليوث وما تسلحتم بخطة أو عبوس ، تضحكون قليلا و لا يحل ليلكم إلا وأنتم في القبور تحت أقدام أم الشعور بين يدي سحاب وذياب»

بعثت عزيمة خرقاء في رجالها فقضوا نحب □خر فارس عظيم كان ذاهلا ساخرا مما تفوهت به الجازية ولم يدر طعنة غدرت به فلحقتها طعنات درأت هزيمتهم ودفنتها في خندق كبير زغردت النسوة لنصر حققه الرجال يفضل جازية الخصال . أما الفرسان فلم يعرفوا تفسيرا لما حصل ولم يستطعموا نجاحا تحقق بطلة بهية وسط الدماء لسيدتهم الحسناء فقد اشتدت عزيمتهم لقتل كل الأعداء حتى لا يتذاكروا هذه الحادثة الأليمة التي تخدش لهم الحياء وتطعن مروءتهم بين الأعراب وربما تقضي على شرف كل الهلالية والأصحاب بل منعوا عن كل أفراد القبيلة الحديث في هذا الشأن حتى بين الخيام .

ومنذ ذلك الحين لم يعد أحد يخشى صولة أحد غير صولات القائدة الحكيمة وسيدة القبيلة

طائرة ورقية

نشوان عزيز عمانوئيل- ستوكهولم

فـي داخـلِ كُل مِنـا صـوتٌ خـاص يظهـرُ علـى شـكلِ ومضـات خاطفـة مـن تريـاق الجنـون..أو الأسـى يأتـي أحيانـا علـى شـكل نـداء أو عصـارة وجـع لتارِيـخ مُهشـم.. أو سَـمِهِ ماشِـئت.. هـوِ فـي النهايـة صـوتٌ خـاصٌ بِـك ولايُشـبِهُ أحـد سِـواك كانـت تِلـك هـي المـرة الثالثـة التِـي احـاولُ فيهـا أن أكَتُـمَ هـذِهِ الأنفـاسِ التعيسـة..كنتُ قـد سـئمتُ حقـاً أن أكـونَ نِصفيـن ولكـن قَبـلَ ذِلـكَ كُلـهُ اتذكـرُ قبـلَ دخولـيَ المُستَشـفى بلحظـاتٌ قصيـرةٍ كانَ هُنـاكَ صـوت يُناديـني أنـا مِنَ الغابـة المجـاورةَ صـوتٌ ليس كَكُل الأصـوات.. لـهُ خصوصيتـه وأبعـادهُ.. صـوتٌ بَعيد بذبذبـات مجنونـة يسحَقني سَـحقاً رغمـاً عني.

كانَ ذلـكَ قبـلَ أن أسـتيقظ فَجـأة مِـن موتـي المؤجـل ومِـن كابـوس حياتـي ومِـن جَحيـمِ الاخريـن والوقـتُ كانَ فـي مـا بعـد منتصـف العمـر.. اتذكـرُ جيـداً كيـف أنـي قبـل ذلـك كنـتُ علـى نقالـة مُتهالِكـة تجـري بجنـونٍ عِبـر ممـراتٍ بيضـاء طويلـة جـداً ولانهائيـة ومِـنِ حولـي كائنـاتُ غريبـه تُحَـدقُ فـي وجهـي شـبه المُمَـزق. وهنـاك خلـفَ النقالـة شـبحٌ يدفعنـي بجنـون للأمـام ويُتَمتِـم بِكلمـاتٍ لـم أكُـن أفهـمُ مِنهـا أي شـيء.كل شـيء ليـس ككل شـيء. وكأننـي كنـتُ أركـضُ واركـضُ مثـل أبليـس هـارب مـن فـردوس مفقـود صـوبَ الغابـة و بوابـة الحلـم.. أو كأرملـة مذعـورة فـي زمـنِ الحـروبِ الأهليـة ولا أنسـى كيـفَ أن ذلـك الصـوت كان يَـرنُ فَـي رأسـي مثـل جـرس مـن أبـواب الجحيـم.. حَلِمـت كأنـي فـي غرفـة بلـون الحُلـمِ والـورد وكنـتُ أنـا أبكـي بجنـون فـوق مَخـدةٍ بلـون السـماء... رأيـتُ عصافيـر صَغيـرة بيضـاء تحـاول الطيـرانَ دونَ أن تقـدِر علـى التحليـق.. كأنهـا كانـت فـي سِـجن كبيـر...وغيمـة تَمـدُ يَدهـا صـوب النجـوم دونَ أن تلمسَ الضـوء رُغـمَ أننـي كنـتُ علـى حافـةِ الحيـاة إلا أننـي رأيـتُ اسـلاكاً كثيـرة تُغَطـي جَسَـدي...كنتُ اسـمعُ نبضـات قلبـي علـى آلـة نحاسـية ذات إطـار أبيـض تمتـدُ مِنهـا أسـلاك

ناعمة بألوانٍ مختلفة قلبي مازالَ ينبضُ.. يالهُ مِن قلب شُجاع.. تذكرتُ كيف أنني كنتُ مُختَلفا عن الآخرين.. كانتْ لدي أكثر من حياة.. وأكثر من موت حتى جنوني كان مُختلفا.. كان جنونا من نوع آخر كان هناك فوقَ رأسي ضوء ساطِع كالشمس يملأ عَقلي الفارِغ حينها بالنور مرت سنوات ضوئية طويلة أو لرُبَما لحظات قصيرة حين وجدتُ نفسي في حالة وسطى من الجنون والحِكمة.. حالة ضبابية.. فيها مسحة من الغموض. كنتُ في تلكَ الغُرفة البَيضاء المحُ بصعوبه خيوط من نور تبدو بعيدة ومُشَتتة بعض الشيء.. كأنني للحظة كنتُ انسلخُ عن ذاتي وكأنما كنتُ أنظرُ مِن فوق طائِرة ورقية من الأعلى.. وخُيل لي أني آرى كل الأشياء في ذاتِ الوقت. كل شيء هنا هو عكس ماناراه ويتحدى قوانين الفيزياء والطِبيعة. حتى حواسي هي الإخرى استيقظت فجأة وبقوة..وخيل لي أني كنت أشمُ رائحة الموت هُناك.. ورائحة الولاده. من حولي أجتمع حَشد مِن كائنات بيضاء ترتدي قُفازات رمادية كانت تنزلقُ على جُثتي الهامِدة والمُكَبَلة بألف عزرائيل فوق السرير. في السقف كانت هُناك فتحة صغيرة كنتُ اتأمل عبرها مرجوحة تتدلى من فوق الغيوم.. وانا اركض في مكان يشبه الغابة وعلى طول الطريق تلمعُ أمامي شرائط مُبهمِه مِن الذكرى.. أشكال بشرية وأخرى مُسوخ غير بشرية خُيل لي كأنما اؤلئك جاءوا فجأة من زمن كنت فيه وكنت جزء لايتجزأ منه الوقت ليس له معيار أو معنى.. كل شيء يظهر فجأة.. ويختفي فجأة وأنا مازلت أركض في ذلك الممر الذي يشبه غابة نائمة.. الأشياء من حولي تشدني إلى ذلك الصوت الجميل. الصوت الاعتيادي نسمعه جميعاً.. لكن ذلك الصوت كنت أراه أنا يقرع شبابيك غرفتي المجاورة للغابة كل يوم .. كنت أشم رائحته.. كأنما كرائحة صلوات أو أزهار ليلية.. صوت كحلاوة الروح حينا.. وتارة مثل أبواب الجحيم. يومها ولااعرف بأي شقاء وحزن ولهفة قررت أن أفتح ذلك الباب في عقلي.. حين لمست مقبض الباب كنت أنا في قلب الغابة.. رأيتها واقفه هناك مثل بقايا حلم.. بشعرها المُجعد.. وعيون مثل أساوِر المرجان والفيروز

قلت لها :

الاشجار كلها صارت كبيرة.. وكبُر حُزن الغابة وأنتِ مازلتِ صغيرة وكل العصافير تُحبُكِ ومازال شذا عطرك الحزَين هناك.. يأبى الزوال رغم تقادم الأيام، ومازال ثوبك يحتظن النوارس ويحتضن سريركِ المُغطى بالأعشاب والفراشات هل تعلمين شيئاً.. حين عدتُ من هناك.. عدتُ بجسدي.. روحي غلبها النُعاس بقُربكِ. مَدت يدها كي تسحبني هناك لكنها تلاشت مثل صلاة قصَيرة حاولت أن أدخل وبقوة لكن ذلك الصوت ظل يسحبها صوب الغابة.

استيقظت مِن جديد على صوت تِلكَ الألة النحاسية اللعينة .. قلبي كان لَم يَزَل ينبض بالنور.. يالِه من قلب شجاع.

تبدل الأماكن..

محمود أحمد على/ مصر

الشاب المهموم ظل يجوب شوارع القاهرة _ يحمل بين يديه كيسه الورقي المنتفخ عن آخره بشهادات التخرج، والعديد من الشهادات التي تثبت أنه خاض دورات تدريبية كثيرة في الحاسوب وفى شتى المجالات _ بحثا عن عمل أي فرصة عمل.

الأمل والتفاؤل يتملكانه، لذلك لم يملّ؛ رغم أن كل من يقابلهم من أصحاب المحلات التجارية يرفضون طالبين فتيات للعمل.

قدماه ملتا الخطى..

عقله شارد..

عيناه زائغتان تنظران هنا وهناك..

يدخل مبتسمًا في وجه أصحاب المحلات، وسرعان ما يخرج مهزومًا حزينًا..

فجأة..

صرخت فيه قدماه للتوقف للحظات..

توقف..

لحظات وعاود سيره وبحثه من جديد..

فجأة..

وجد كلبًا أنيقًا تسحبه سيدة طاعنة في السن..

فجأة..

وجد نفسه مدفوعًا دفعًا إليه حتى اقترب منه..

وجد نفسه يسير خلفه كما ظله..

شعر الكلب بوقع خطواته الحزينة فالتفت ينظر إليه، تبادلا النظرات، الشاب الطامح يعرف جيدًا لغة الكلاب، ولِمَ لا وهو الذي كان يعمل عند أحد الأثرياء لخدمة وإطعام ونظافة كلبه الضخم الذي كان يأكل في اليوم الواحد ما يزيد عن ثلاثة كيلو جرامات من اللحم البلدي الخالص، وما إن فكر الشاب ذات يوم في أن يشاركه طعامه حتى كان نصيبه الطرد من عمله

شر طرده.

الكلب الأنيق رمى الشاب بابتسامة، على الفور بادله الشاب نفس الابتسامة..

بصوت مهموس همس الكلب إلى الشاب:

- أتحقد عليَّ...؟!!

- نعم أحقد عليك..

- لماذا...؟!!

- لأنك تأكل وتشرب وتنام دون عناء..

صمت الكلب للحظات، ثم قال للشاب الذي لم يزل يسير بجواره:

- أتريد أن تكون مكاني...؟!!

- أتمنى ذلك، وسوف أعطيك كل ما معي من شهادات داخل هذا الكيس..

فكر الكلب في أمنية الشاب، ثم همس إلى نفسه:

- ولِمَ لا.. لقد حانت اللحظة المناسبة..

قالها الكلب مبتسمًا..

- لقد مللت هذا القيد.. نعم أنا في راحة ما بعدها راحة.. نعم هم يعتبرونني فردًا من أفراد الأسرة، ولكني أتوق إلى الحرية، أريد أن أسير وقتما أشاء، أذهب هنا وهناك وقتما أحب وأشاء،

أريد أن أقود نفسي بنفسي تمامًا مثل كلاب الشوارع أولستُ كلبًا مثلهم...؟!!

هكذا راح الكلب يحدث نفسه في تمنٍّ..

- اقترب منى أكثر حتى لا يسمعني أحد غيرك..

قالها الكلب للشاب الذي اقترب على الفور حتى لاصق جسد الكلب..

- ما رأيك في أن نتبادل الأدوار والأماكن..

قالها الكلب للشاب الذي لم يفهم مقصده..

- نعم نتبادل الأدوار والأماكن.. أنا أكون مكانك حرًّا طليقًا وأنت تكون مكاني كما تحلم وتتمنى..

قالها الكلب موضحًا مقصده..

- يا الله.. أأكون مكانك حقًا.. آكل اللحم البلدي كل يوم وأنام في فيلا، وطبيب يأتي إليَّ كل فترة للاطمئنان على صحتي، وأتنزه في شوارع القاهرة وقت العصاري.. أنا.. أنا ما طلبتُ أكثر من هذا في حياتي..

- نعم كل هذا وأكثر منه..

- متى وكيف يحدث ذلك أيها الكلب طيب القلب...؟!!

قالها الشاب للكلب في تمنٍّ..

- متى؟!! الآن.... خير البر عاجله، وكيف؟ أن تفك قيدي

في هدوء وحذر، ثم تربط نفسك بنفسك، وهكذا تصبح مكاني...

قالها الكلب شارحًا كيفية تبادل الأدوار والأماكن..

تبسم الشاب علامة على الرضي..

في اللحظة المناسبة لتبادل الأدوار والأماكن فتحت المرأة العجوز باب سيارتها وأدخلت الكلب الذي ظل يتبادل النظرات فيما بينه وبين الشاب في حسرة وألم.

سِسِّعيتْ*

منى محمد صالح - السودان

- تعالي.. إنه قلبي.. يهدر شاسعٌ في اختلاس تلاوته، يتَبَتِّلُ كالنبوءةِ بيننا.. في كل مرة يُتاوره حذر الصهيل.

تناهى إليها خطو ندائه البعيد، يُهرول نحوها ثمل الجوى، إيقاع آخر تغازله خطى "السِسِّعيتْ"* يضوع بذات العطر، كأنما هي المرة الأخيرة.. ومجرى البوح بينهما يلتقط رتم إيقاعه الحميم، عصفٌ يعشوشوب داخلها كلما مرّت من قربها تلك التراتيل؛

- رُبّما يسعفه حدثٌ واحد فقط لِـ ...

تمتمت برفق و ارتباك اللحظة.. العطر، تنبت كالأزاهرِ من حولها ، حيث الأشياء هناك في وحدتها، عارية إلّا.. منه، دفء يتمادى في مباغتته، وغريبان التقيا في مكانٍ ما.. كل منهما يرمم الآخر، عشبٌ نبتَ الفرح عليه خجولا، واجتازا معاً خدر النّهر.

تصاعدت تمتماتها، وإشتهاء حنون يتنامى في المنتصف:

كم تبدو مربكة تفاصيلي دونكَ.. كحبّة كستناءٍ تُراود في افتضاحها.. غلالة عطرها..

ياتيها صوته حنوٍّ آسر:

- هذا الحب أنجب كلا منا بطريقة وأخرى..

لا تغادريني.. أبقى معي إلى الأبد.

تتسلّل إنثناءات الوشاية.. حيث لا مفرَّ أبدًا، عصفور صغير يستأنس حقول قلبها، وخطوات "السَسّعيتْ" تتقارب في تمايلها كيفما شاءت. لا تدري كيف وجدتُ نفسها هناك، وقد استكانت ألوان عزلتها معه بدفءٍ حميم .. يتورّد حزنها بين يديه فيما يشبه الغيم، وطعم "القُشْر" في قهوته المُرّة يتقاطر مع تلك

الخطوط الساكنة بأسرارها.. تطير عصافير الوجع من أقفاصها لتحلق في فناء قلبه الفسيح. كان كل ما هنالك يُخبىءُ نجوم الليل في دفاتره، حقل من السونتات تعزف مَدافِئَ الحُب، وسحر الدهشة الآسرة هناك.. كأنه يمشي على دفقةِ موجٍ

- لا شأن لنا بالبعد بين مسافات الصمت، والحذر المرابط هناك.. قال لها؛

المسافة لمن هم عاجزون عن القربِ، وأضاف بذات البريق في عينيه:

- أوردة الوصال لا تفرّط في أسرارها،

بيني وبينك حديقة وبحر وسماء

غمازتان وشامة

يشبهكِ هذا الجمال، أنت المكان، مجدليّة البلاد التي أعشقُ،

كأننا كائن واحد يتكئ على الآخر.. ويُولدنا صدف المحار.

أخذ بيدها، نمى نجم وقمر وحقل توليب، كأنما وحيٌّ يشاركه هذا النزق الحنون، والألوان ترسم ذاكرة الربيع، تتقارب خطى "السِسِّعيتْ" أكثر من ذي قبل.. مناداة تُراقص زنابق الوجد العالقة على مزهرية صدرها، وضحكة تحتضن هديل البوح البعيد، تقود كلاهما نحو الآخر.. روح يعانق الليل قلبها وقُبلتها المشتهاة.

* سِسِّعيتْ: من تراث الرقص الإرتري

.

القشة

توفيق بوشري/المغرب

القصة حدثت فعلا،

فقدت طفلا كان يمكن أن أحتفظ به،

يكون الاعتراض على القدر

عندما لا يصبح للفعل البشري جدوى،

في حالتي لم يكن هناك فعل بشري في الأصل..

تريدين أن نغادر؟

تقولين إلى تلك الجزيرة المهجورة تقريبا. يسكنها أناس لا يشبهوننا. يبتسمون. يسرون إلى جوز الهند يحضنونه فينزل معهم إلى أرض لا تختلف عن السماء ليهبهم مشروبا يبدو أنه سحري. لعله ما يجعل منهم ثمارا محببة. هل ستكون تلك الأرض كما شاهدناها على تلفازنا ذي الكرش المريبة؟

اتكأ يتفحص صور المجلة..

- ماذا عن أرضنا؟

منذ أن ضاع منها مولودها في ظروف غير غامضة.. لم تعد هناك أرض في وجدانها..

المستشفى الأول بدا يتيما وهو يعلن أنه لا يملك حضّانة! الثاني يطور نظرية بشعة في الانتظار. الثالث كان سوقا كبيرا فيه كل شيء مقابل وسخ وفير، قال بأنهم تأخروا كثيرا.

- أرضنا؟ قهقهت. إنها مجرد تراب خادع. يحاول باستمرار أن يمغنطنا بوساوس عفنة تحاول أن تبدو لهبا ثائرا..

- ابحث على الحاسوب عن إمكانات الحجز وثمن التذكرة.

عادت إلى صور جنينها الصوتية. هذه عندما كانت في شهرها الثالث. رغم أنها مكبرة للغاية. يبدو كأصبع مضروب بمطرقة. ماذا؟ لقد مات في ظروف غير غامضة.. الوصف لا يعني شيئا الآن. هذه عندما بلغت شهرها السادس. هنا يظهر كضفدع جميل. لم يبق منه شيء..

- احرص على ألا تحجز لدى شركة وطنية بين قوسين..

ثبّت عود أسنان بين شفتيه بينما يراقص أزرار لوحة الحروف.

في الشهر السابع. فاجأها المخاض. وضعت الضفدع. اكتفى بصرخة وحيدة. رحل ولم يستمع إلى المبررات التي بقيت في الدنيا لوقت ما. إنه ضئيل للغاية. حاولنا ولكن.. لقد تأخرتم وأنتم تتجولون بين مدافن الدولة.

والآن؟

مازالت أمامكما تمثيلية مضحكة للحصول على حفرة بحجم فأر لضفدعكما. حمله بين يديه أبوه لثوان خلت. بدا الطريق إلى المقبرة طويلا. دموع الأم تتبع الخطوات الحزينة بوقع مهزوم. انتهى كل شيء. احتفظ بأوراقك للذكرى. شهادة وفاة ضفدع مغمور. ورقة ولادة مجازية. تفاصيل كأوراق الخريف مع فارق بسيط. لن تصير ذبالا عجيبا. لقد حالت جذورا مقتلعة..

- هناك رحلة الأسبوع القادم.

أخذت تتلفت يمنة ويسرة تفكر ماذا سيأخذان من هذه البركة الراكدة. الثياب المستوردة فقط.. تحولت نحو حقيبة الضفدع.. مازالت هناك في مكانها تحوي لوازمه وثيابه التي لم تحظ قط بملامسة جسده الغض الناعم، اقتربت بخشوع ورهبة.. فتحت الحقيبة.. أخذت تتفحص المحتويات برعشة، ابتسمت، احتقنت مقلتاها.. سالت دموعها.. ترك الحاسوب وهرع إليها، حضنها بقوة:

- نأخذها معنا..

وضعت كل شيء جانبا، مسحت عبراتها الساخنة بطرف سبابته.. قالت:

- لا.. إنها محلية الصنع..

الدائرة والمفتاح

عبدالحليم مهودر/ العراق

تضاءل العالم كله في نظري حتى تلاشت رهبته، موجة من الحزن تغلّفني، وكل تاريخي تجمّع في لحظة واحدة.

أيها الكاتب اعرض حالي.. دوّن طلبي .

أنّى لمثلي أن يبقى كل هذه السنوات لو لم يكن لديه حق في البقاء مع ذلك الإنكليزي الذي كان يجلس تحت القبة .

أحضرَ نموذج البناء مجسَّما، مصغَّرا وملوناً، واضعاً القبة على أربع دعائم كأنها أقلام رصاص. (لو تطاله يداي لأخذت بثأري منه)

كان يوماً متعباً خالياً من الأحلام، يحيطه الهمّ من كل جانب .

هو جنرال أشقر، متغطرس يرى في نفسه عالم بناء، الآخرون يخافونه، قل يتجنبونه، حتى قومه الإنكليز. أصرّ على جعل القبة محارة مقلوبة أو مظلة من خلال حدس البنّاء . البناء الضخم بالحجر المنجور، عالي الجدران. القبة لها وظيفة في هذا المبنى ، وتضم في داخلها فراغاً بلا بداية ولا زمان، فراغاً وحيداً يعطيها قدسية مفتقدة في دائرة الدهر.

أقسم لك اني أوقفته ، خوذته المغلفة بالقماش العسكري ، كسرت إطارها الذي يشبه الحلقة ، انتزعت جزءها العلوي ووضعتها على الأرض ، رفض ذلك و عدَّه خروجاً وتجاوزاً .زارني في الفجر وتريث حتى انتهيت من صلاتي. (أنا إبراهيم بلغت مشارف المدينة قادماً من بغداد بالقطار وكان الليل يغشاها مخلفاً فوق النهر غلالة من الأسى).

عليك أن تركز اهتمامك على مركز القبة حيث يلتقي كل

شـيء ويتفـرع.

أمامـك معضلة.اجعـل الأسـس علـى شـكل مربـع وعليـك تحويلـه إلـى شـكل دائـري. طلـب منـي دراسـة القبـاب .. زرت كل قبـة فـي جامـع ، زرت قبابـاً منسـية، زرت قبـاب الأوليـاء مـن مختلـف العصور-السـلجوقية، المغوليـة، العثمانيـة - وأنـا أركـز علـى لمسـة الحجـر ، أحجـار يعشـق بعضهـا بعضـاً، تتداخـل ممـا يجعلهـا تـزداد تماسـكاً كلمـا وقـع ضغـط عليهـا مـن الأعلـى. طـرق سـمعي مـن بعيـد خشـوع الأصـوات تحـت القبـاب الذهبيـة، تمتـد مـع أشـعة الشـمس وهـي تبتهـل و تدعـو لتمـلأ الطمأنينـة النفـوس الحائـرة.

نفسـي حائـرة . وجـدت نفسـي مـع هـذا الخشـوع والصمـت احتضنـه بذراعـي و أدور دورات صامتـة. نـدم يمـلأ القلـب رويـداً رويـداً، ويغسـله فيجعلـه نقيـاً عبـر أنيـن الحـزن الهابـط . خلعـت بدلـة عملـي السـوداء ودرت بهـا أمسـح منسـرحا مـع هـذا المفتـاح الأثيـري الـذي لـه القـدرة علـى المشـاركة و دحـر الأخطـاء.

إصبر عليَّ قليلاً ..

أسـمع المدائـح بمتعـة.. إنهـا انعـكاس لمتعـة المشـاركة تحـت القبـاب تحرسـها الشـمس.. تتملكنـي رغبـة ملحّـة فـي أن أركـع بهـدوء.

أنـا فـي محنـة دائمـة و امتحـان مسـتمر وعلـيَّ أن أثبـت يومياً انـي أسـتحق هـذه المنـزلة . ألا يحـق لـي ذلـك ؟

أنا أملك كل الحق .

هو بسخريته وأنا بقلقي .

كان البنـاء يشـبُّ مـن مـكان إلـى مـكان بسـرعة وأنـا غيـر مطمئـن لعمـل النجـار الأعـرج ، تأملـت القالـب الدائري من الأسـفل ، أربعـة أضـلاع مسـتقيمة و مطويـة الـى الأعلـى مرتبطـة بزعانـف تسـند انحنـاء الأضـلاع .. محنيـة تـؤدي صلاتهـا لتغطـي الدائـرة كلهـا.

الأعرج السكير لم يتخلص من بدائية خياله. جاء يعرِج (لا يوجد خطأ في القالب أنت كثير الوساوس). وثب واقفاً على الأخشاب وهي تلتقي عند نقطة واحدة ، ثم أخرج زجاجته الحمراء و سكب عليها خمراً:

« انظر سأعطيها تميمة، بل أعطيها أضحية«

يسكر الشيطان وتكف يداه و تهمدان. سال الخمر بلونه الأحمر بطيئاً... اختلت يداه، فسقطت الزجاجة على الأخشاب، انكسرت وتحولت إلى قطعٍ متناثرة. كف عن تهكمه .. أضحى ايقاع يديه بطيئاً وخاملاً.. حملناه والنهار يسد آخر فتحة في وجه الشمس التي أخذت تسطع كأنها خرز مسبحة ملونة لا يكاد ينقطع خيطها ، تتفرط كأنها قطرات زجاجية ما إن تلامس السطح حتى تنزلق مبتعدة عن ظل القبة الخشبية و تختفي ملوّحة لها بشيء من عزلتها في الفضاء.

غريب أنا هجرتني الظلال وهي تصل السماء بالأرض.

أهلاً بالعمل، ليتك تراهم وهم يبنون ويدبكون وجداً وهمًّا، و ذلك الأشقر الذي يرطن بعصبية ينقلهم من جانب إلى جانب...

حبي المخلص لهذه القبة صامت ودفين وهامس مكسور الملامح . دربي الذي تهت في وِسطه لم يوصلني إلى مفتاحي (أضيع في خيالات عارية) حتماً سمعت دبكات تأتي مع الظلال التائهة ، تتسكب من خلال صفير الريح القادم كهمهمة أليفة مع المد و الجزر ، ككفل كبير في المدى المتسع له القدرة على ابتلاع الأصوات.

داخلي يرتعش عندما أصغي إلى نفير البواخر العابرة . تشدني خيوط الصوت (عند اقترابك من الماء أول ما يلفت انتباهك تكاثف الضباب والدخان مثل قبة تعلو رؤوس النخيل). خط من الدخان يصعد من آبار النفط ما إن يأخذ استقراره حتى يسيح في خط أفقي في جهة المدينة الغربية ، أما خط

الدخان المتصاعد من جهة الشمال من محطة الكهرباء فانه يأخذ استقراره هو الآخر في الأفق حتى يتحركا معاً نحو الجنوب متخذين خط النهر والطريق العام في سيرهما و سرعان ما يلتقيان مشكّلين حلقة غير مستقرة تحيط بالمدينة

ألتمس في طلبي أن تعيرني أقواساً تهبط معي لتلتقي مع ظلي الحزين يطوقها أفق منكسر. البناء على شكل بهو دائري تحفّه كوى يمرّ منها الزمن، محاط بعمودين ناقصين شكّلا تجويفاً من الداخل على شكل صدفة من أصداف البحر (رمى ذلك الإنكليزي بنصفها) سرعان ما تسترد انكسارها برفع العمودين إلى الحاجز الوحيد الذي يسند القبة و يحيط بها وهي ترتفع عالياً وحيدة تحرس ما حولها وتراقبه بيقظة ، وفي الوقت نفسه تهيمن على فضاء شاسع مع خيمة السماء التي يمتد أفقها ليضم المدينة بأسرها.

رفض ذلك الإنكليزي أن أرصّع محيطها الخارجي بالكلمات، أصرّ على بقائها خالية ، بسيطة ، تشبه سعف نخلة منسرحاً، متوّجة بقبة صغيرة على هيأة عمامة ذات لون أزرق فيروزي يكتسب تألقه عند السحر، ما إن تستقر فوق القبة حتى تنفتح في هيأة تاج.

النوارس تحجّ إليها عندما تترك النهر في رقصها الفاجر و عندما تنحدر لتلتقط اسماك النهر وهي تشع بريقاً يتواصل مع لونها الأبيض ما إن تدور و تطلق صراخها ، صراخ الفرح و ذلك الصراخ المكتوم للضحية .

لعلك تنتظر لحظة صراخها... أنا بنيتها.. من شوقي و لهفتي أكاد أصرخ ، الصرخة تدور في نفسي داخل القبة فتجعلها تأخذ شكلها المدور بهدوء و أنا أدور معها إلى أن يتوقف أحدنا عن الدوران.

مرة أخرى أكتب لك طلباً.. فقد حرّرت عشرات الطلبات لعل أحداً ممن جلسوا تحت قبتي يعيرني حلاً ويعتقني من أسري و دوراني.

(أنا إبراهيم محمد الكاطع المولود عام ١٩١٠ في بغداد، قدمت الى البصرة عام ١٩٣٠ لبناء قبة لدائرة الموانئ).

دعني أزر وأطف حول جدار هذه القبة، أشمّ رائحة الحجارة و أستفيء بظلالها مثل طائر لا عش له، أبحث عن صوت يكتم أنفاسي، أضناني البحث فلم يعد لحياتي معنى. أحصي خيباتي و أنتكس. استرجع أكداس ذنوبي و أنحني أقبّل عتباتها الخشبية العتيقة ذات الحواف المهشمة و الملمس الخشن . أجد نفسي على الرغم من طول المدة أعرف انفصام العتبة و عتبات الأبواب.. أعرف الممرات و انحناءاتها ، أعرف الفراغات المجهولة التي تنفتح على وحدتي .. أمسح عليها بيدي لعلي أزيل عنها غبار الهوان و أرفع وجهها المهان ببدلتي السوداء. (برغم إلحاحي المتواصل ترددت في الصعود حيث أعلو فوق النخيل و البواخر والرافعات المتراصة على رصيف الميناء).

سريعاً ما نسيت نفسي، نداء مرخم تطلقه الأشباح الحارسة للعتبة ، لا تبرح مكانها. لاحت لي بعد تأملي متعة كمن يبحث عن كنز ليس له وجود و لاتصفو له النفوس بعد إعادة نسخه. يجعل من يوم واحد وجوداً لاحدود له.

(كل القباب تحتها مفاتيح فلماذا لا يكون لقبتي مفتاح ؟).

أنا الذي بنى هذه القبة التي تتفيأ تحت ظلالها ، ألا يحق لي ... ؟

أنا أملك كل الحق ..

أقبل أن تشطرها نصفين من الأسفل أومن الأعلى، سيّان.

يحق لي الآن، ونحن في خريف ١٩٦٤، و أنا أملك هذه الوثيقة بتوقيع ذلك الإنكليزي .

لي الحق.

أن أدفن تحتها.

الاستاذ والتلميذة

إيمان بوغانمي- تونس

القصص الجميلة والساحرة المعبّرة التي كنّا نسمعها بطفولتنا من أجدادنا و جدّاتنا تتحدث عن الهموم و المشاكل التي نواجهها لمّا نكونُ كبارًا. ما أرقى و ما أجمل تلك اللحظة الرائعة والراقية عندما نكون صغارًا بلا هموم، والكبارُ يتحدّثون لنا عن مشاكل الحياة و قساواتها مرَّة من واقعهم المؤلم ذو ذوق الحياة المرير ومرّة خرافات من قديم الزمانِ... لمّا اصبحت كبيرة لاحظت أنّ تلك الأناس المحتاجينَ الذينَ يسرقون أملاكك منك والأميرات المدلّلات اللاتي يعشن في قصور وهم لا يعرفون شيئا عن الحياة و تعبها كلهم موجودون في الواقع... يا ترى أين مكاني بين كل هذه الحكايات!؟

هل من المعقول أن أكون أنا الأميرة النائمة والتي تستيقظ من نومها ومن أحلامها تفتش

عن طائر القطرس التي تبحث عنه كلّ يوم... أو أنا البنت المغفّلة التي أحبّت الملك السيّء..

أين هذا الملك الشرير السيّء و ما إسمه؟

إنُّه ملكُ ظالم و هو يخبئ كل شيء حلو وراء إبتسامته الجميلة ويستطيع أن يكون ساحرًا عبقريًّا للكل..

عندما كنت أدرس في الثانوية أحببت أستاذ العربية وأحبّني، فبالرغم من الحب الذي جمعنا الا انه كان في المعهد صارمًا حتى معي لدرجة أنّه كان يظلمني أحيانًا، وعندما إنتهى العام الدراسي تقدم لخطبتي.. واصلت دراستي و تخرجت من الجامعة أستاذة عربية و بقي الحب الذي بيننا يزهر أيّاما في طريقنا و ختمنا الحب بزواج جميل قد هزّ عرش تلك المدينة، الأستاذ والتلميذة التي إنتهت قصّة حبهما بالزواج..

سيزيف خرق الحجر الصحي
الحسين أقديم- المغرب

توقف سيزيف عن رفع جذوع الشجر من سفح الوادي نحو أعلى الجبل إشفاقا على حماره الذي أنهكه الصعود والنزول حتى كاد يلفظ أنفاسه الأخيرة.

توجه نحو البئر ليسقي حماره، فإذا بالمخبر قادم يمتطي بغلة رفيعة العماد، أدار الحمار أذنيه ثم بعدها أدار رأسه بالكامل، لم يمنعه التعب والإنهاك من النهيق حين حدج البغلة. استوقفه المخبر الذي أقبل نحوه رفقة عونيه اللذين يحمل كل منهما بوقا. قال المخبر بلهجة تواشج بين الغضب والتهكم:

- تعب سيزيف فاتخذ له أتانا جرباء. لقد حذرناك مرارا وتكرارا، لكنك تتقن لعبة العناد، أخشى أنك لا تعلم ما ينتظرك. ألا تقرأ البلاغات والمذكرات والاستنكارات. أ لا دراية لك بالعقوبات.

- أنا لست بقارئ يا سيادة المخبر، أنا مجرد حمال بئيس، أجبرته الظروف على تكسير عظام ظهره ليحصل على ما يسد رمق أبنائه الجوعى. هذا حمار يا سيدي لا أتانا.

ترجل المخبر من فوق البغلة، دنا من سيزيف تاركا مسافة متر بينهما، خاطبه بلهجة ساخرة وبصوت مرتفع وكأنه يكلم شخصا بعيدا:

- يا حمال الحطب، اللعنة عليك، سأعتقلك اليوم، لأنك خرقت قانون الحجر الصحي للمرة الثالثة والرابعة والخامسة والألف، حياة الناس مهددة وأنت تجوب وتجول دروب القرية دون حسيب أو رقيب. من أنت؟ من أين لك هذه الحرية التي تتيح لك التجول في زمن الحظر.

عقب العون على كلام المخبر:

ـ إنه كالكلب له سبع أرواح، لم يسبق لي أن رأيته يعاني من شيء يا سيدي، لم يسبق له أن مرض كالناس. لا سكري، ولا كوليسطيرول.

رد العون الثاني على العون الأول:

ـ إنه يقتصد في استعمال السكر لذلك لم يصب بالسكري، ولا يأكل من اللحم إلا ما يغدق عليه من صدقات العيد فمن أين يأتيه الكوليسطيرول.

رد سيزيف على المخبر بعفوية:

ـ كيف، اشرح لي يا سيدي، لا علم لي بما يجري، أنت تكتفي بنهري وسبي دون إخباري بدواعي هذا السب، ها قد حانت الفرصة لتخبرني.

أجابه المخبر:

ـ ألا تملك تلفازا؟ أ لست كالناس، الكل يعلم بأن كورونا التاسع عشر فيروس قاتل، هذا الفيروس مرض يصيب الجهاز التنفسي...

قاطعه العون الثاني:

ـ سيدي لن يفهم معنى الجهاز التنفسي، قل له: يصيب الرئة على سبيل الايضاح.

زجره المخبر:

ـ لا تقاطعني مجددا، سأواصل كلامي: شاع وباء في جميع بقاع العالم، وقبيلتنا ليست استثناء. لكي لا ينتشر الوباء في قبيلتنا. ولا يمس أهلها سوء.

ـ لكن قبيلتنا معزولة من أين يأتيها الوباء؟

ـ يا غبي لقد دخلها الاغبياء الفارون من الموت أبناء هذه القبيلة الذين تنكروا لها، والآن هاهم عادوا إليها بسياراتهم المحملة ببضائع المرجان. ومن المحتمل إصابتهم بالفيروس

وهـم لا يعلمـون.

ـ هكـذا إذن. أنـت أيهـا المخبـر تخشـى علـى صحتـي وتخـاف علـي مـن العـدوى.

استطرد سيزيف:

ـ بالمناسبة لم أتوصل بالدعم يا سيدي.

ـ الحقيقـة يـا سـيزيف، أننـي أخشـى أن تأتـي بالعـدوى مـن الوافديـن أيهـا الحمـال اللعيـن. وأن تعدينـا بالوبـاء. أمـا حرصنا علـى صحتك، فليطمئـن قلبـك مـن هـذه الناحيـة، أمثالـك لا يدركهـم الموت.

انطفاء

اسماء الرومي- العراق

بعيونٍ تملؤها الحيرة والخوف و يدين باردتين وصوت خافت كان زميلها مصطفى يحدثها عن الموت بعد أن شاهد حادثاً في طريقه أودى بحياة سائق سيارة.

لمحت انطفاء الضوء في عينيه وهو يتحدث فأحست جهان بالمرارة إذ اعتادت عليه مبتسماً كل صباح، إذ اعتادا أن يتبادلا الأحاديث وبعض النكات مع باقي الاصدقاء قبل دخول المحاضرة، وهو من كان يحاول دائما تلطيف الأجواء وقبل مقاطعة إحدى الزميلات حديثهما معلنة ابتداء المحاضرة قالت له:

- مالذي يخيفنا من الموت ؟

الموت الذي لا نعرف ماهو، وما هيأته، وما يخبئ لنا؟

الأحرى بنا أن نخاف من الحياة التي نعرف أشكالها وتقلباتها وجورها وعدم إنصافها وعبثيتها؛ الحياة التي لولاها ماكان للموت وجود؛ الحياة الغريبة بمواقيتها والصارمة بأحكامها، في حين أنك لم تُخيّر يوماً أن تكون فيها، ولن تكون أنت من يختار الرحيل منها .

- إذن، هل الحياة مصيبة ؟

- علينا نحن غير الراغبين فيها أن نتحملها كأي مصيبة تصيبنا؛ أن نقف أمامها بحزم؛ أن نمارس عاداتنا اليومية كي نجتازها !

- ولكن كيف ؟

لا أدري كيف لنا أن نتخطى الحياة، هل نقفز للنهاية أو نختصر مراحلها أو نقلب أوراقها على عجل ؟

- طالما نعتوها برحلة ..

-الرحـلات معلومـة عـادة ونحـن مـن نختـار طريقهـا ووجهتهـا ووسـائل نقلهـا .

إن كانـت الحيـاة رحلـةً فهـي رحلـة المجهـول، وهـي أسـوء رحلـة وأيضـاً لـم تكـن خيـارك .

قـد أكـون بالغـت وربمـا هنـاك مـن لا يراهـا بهـذا السـوء لا أدري، وربمـا ربمـا علـي أن أعتـذر للحيـاة !

وحـال مـا سـمع مصطفـى ببـدء المحاضـرة قـال وعلـى شـفته نصـف ابتسـامة

ونحن دائما باعتذار لها بدليل المواصلة .

فهرست

كلمة الناشر- عبد الكريم العامري	٥
تقديم- أ.د. محمد عبد الرحمن يونس	٧
كتاب مرافئ.. على سبيل التقديم- نقوس المهدي - اليوسفية - المغرب	١٤
جابر خليفة جابر- العراق	١٨
فرات صالح- العراق	٢٨
سي حاميد اليوسفي (المغرب)	٣١
نقوس المهدي - المغرب	٣٤
أ. د. محمد عبد الرحمن يونس- سوريا	٣٦
ليلى مهيدرة - المغرب	٤٦
تماضر الطاهر- السودان	٤٨
فتحي البوكاري- تونس	٥١
ثورية الكور- المغرب	٥٦
ليلى تباني - الجزائر	٥٨
أيمن ماردیني - سوريا	٦٢
عبد الرحيم التدلاوي / المغرب	٦٤
عبدالكريم غازي- المغرب	٦٥
هشام بن الشاوي- المغرب	٦٧
متولي محمد متولي- مصر	٧١
حسن أجبوه- المغرب	٧٦
نبيل حامد- مصر	٨٠
تركية لوصيف- الجزائر	٨٢
علي سيف الرعيني- اليمن	٨٤
لينا يوسف قنجراوي- سوريا	٨٧
محمود سلطان - مصر	٩١
العربي الرودالي - المغرب	٩٤
مريم بن بخثة- المغرب	٩٧
عبدالله الميّالي- العراق	١٠٠
د. حلمي نجم/العراق- انجلترا	١٠٣

د. محمد عباس محمد عرابي- مصر	١١٤
تيسيرالمغاصبه- الأردن	١١٦
عبد السلام مصباح- المغرب	١٢٠
د. حسين جداونه- الأردن	١٢٢
رغد النابلسي- سوريا	١٢٤
مهدي الجابري- العراق	١٢٧
حورية اقريمع- المغرب	١٢٩
أحمد غانم عبد الجليل- العراق	١٣٢
د. سيد شعبان - مصر	١٣٥
أليسار عمران - سوريا	١٣٨
ناصر الجاسم - السعودية	١٤٠
د. مصطفى العارف- العراق	١٤٢
عبير محمد كيلاني- مصر	١٤٦
أحماد بوتالوحت - المغرب	١٤٨
إيمان محمد كيلاني محمد- مصر	١٥١
فاتن فاروق عبدالمنعم - مصر	١٥٤
مجدي جعفر- مصر	١٥٨
عبدالله عبدالإله باسلامه/ اليمن	١٦١
عبدالحسين العبيدي- العراق	١٦٣
عبدالله البقالي - المغرب	١٦٦
محسن الطوخي - مصر	١٦٨
مرفت يس - مصر	١٧٢
عبدالله قاسم دامي — الصومال	١٧٤
د. عبدالجبار العلمي- المغرب	١٧٦
وداد معروف- مصر	١٧٩
عبد الله فراجي- المغرب	١٨١
حسن علي البطران- السعودية	١٨٣
محمد الدولتلي - مصر	١٨٩
سكينة شجاع الدين- اليمن	١٩١
صديقة علي - سوريا	١٩٣

عبير سليمان عبد المالك - مصر	١٩٦
مناف كاظم محسن- العراق	١٩٨
صالح الهنيدي - السعودية	٢٠٢
محمد الخرباش- المغرب	٢٠٥
هدى المهتدي الريس/ لبنان	٢٠٦
سيدة بن جازية- تونس	٢٠٨
نشوان عزيز عمانوئيل- ستوكهولم	٢١١
محمود أحمد على/ مصر	٢١٤
منى محمد صالح - السودان	٢١٧
توفيق بوشري/المغرب	٢١٩
عبدالحليم مهودر/ العراق	٢٢٢
إيمان بوغانمي- تونس	٢٢٧
الحسين أقديم- المغرب	٢٢٨
اسماء الرومي- العراق	٢٣١

اصداراتنا

١- كتاب الشباب يكتبون- خاص بمسابقة القصة القصيرة جدا للشباب التي اقامتها مجلة بصرياثا الثقافية الأدبية عام ٢٠٢٣

تـأتي مجلتنـا الثقافيـة، مجلـة بصرياثـا، المجلـة الإلكترونيـة الأكثر انتشـارا، و الأكثر أهميـة مـن بين المـجلات العربيـة التي تـعنى بالشـأن الثقـافي بكل تجلياته و أشكاله، لتحتفي احتفاء كـبيرا بالإبداع العربي، نثرا و شـعرا و بالثقافة الإنسـانية العالمية أنّى كانت بلدانها، و أنّى كانـت أطروحاتهـا و نظرياتهـا المعرفيـة، ولتنجز هـذه الكتاب الموسـوم بـــ(مـرافئ) الذي يُعَدّ موسـعة مصغرة للقصـة القصيرة الجديـدة ، وعلى قـدر كـبير مـن الإبـداع و الجمـال، محتضنـا مجموعـة مـن الأقلام القصصيـة المتـميزة التي لهـا بـاع في كتابـة القصة القصيرة في فضاءات كثير من دول الوطن العربي.

ا.د. محمد عبد الرحمن يونس

من سلسـلة إصـدارات مجلـة بصرياثـا الثقافيـة الأدبية - 2 قصص
مجلـة بصرياثـا الثقافيـة الأدبية
WWW.BASRAYATHA.COM